obeikandl.com

أتروبس

atropous

الكتاب : أتروبس
المؤلف : دعاء سرحان
تصميم الغلاف : إسلام علام
تدقيق لغوي : أحمد أسامه
رقم الإيداع : 2015/15543
الترقيم الدولي : 978-977-778-035-3
الطبعة الأولى : 2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

أتروبس

atropous

رواية لـ

دعاء سرحان

obeikandl.com

obeikandl.com

عندما تسيطر غرائزنا ورغباتنا، على قدرنا

When our instincts and desires controlls us it will control our destiniez

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء ..

إلى من آمن بالفكرة

حتى أصبحت واقعًا ..

هؤلاء لولاهم ما كانت (أتروبس) خرجت إلى النور

لهم كتبت .. وسأظل ..

دعاء سرحان

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة ..

الإنسان مخلوق مختلف الغرائز والرغبات، تارة يكون مفكر وأخرى نراه جاهلًا...

وبينما نحن غارقين في دوامة الصراع بين العقل والشهوة، نتحول لا إراديًا إلى أشياء أخرى !

فقد جبل الإنسان على التفكير في كافة أبعاد الكون، وليس كالحيوان ذا بعد واحد تحكمه شهوته فقط!

لكننا نجد بعض من بني البشر ممن يشذون عن القاعدة، ويتحول إلى حيوان مفترس،يفترس أقرب الناس إليه مخالفًا بذلك نواميس الكون...

عندما تستحوذ علينا شهواتنا، لتتحكم في مصائرنا، يصبح الصراع في عجزنا عن التفريق ما إذا كنا بشرًا أم وحوشًا؟

تخيلت بعض الأشياء الإيجابية، بينما نعاني في حياتنا من نقائضها، عسى أن تصبح يومًا حقيقة ...

فالفضول خطيئة، لكن ليس في كل الأحوال، إذ ربما يصبح الموت مبررًا للحياة.

أضع بين أيديكم (أتروبس) عسى أن تنال إعجابكم، مثيرة في عقولكم ... شهوة التفكير.

دعاء سرحان

obeikandl.com

سيل الذكريات

كانت أروقة مبنى قسم (المعادي) هادئة على غير العادة ، ساخنة ملتهبة كما حرارة الجو وطقس أغسطس الذي يلفح الأنفاس، وقد أجبر الجميع على مغادرة المكاتب هاربين إما بالمكوث بالمنزل تحت هواء المكيفات الباردة وتناول المثلجات، أو بالرحيل إلى شاطئ البحر كي يتمتعوا بالهواء العليل.

وكان ذلك اليوم من تلك الأيام التي من الممكن أن يشرد المرء فيها بخياله ليحلق في آفاق بعيدة تجعله يتصور ويعيش أشياء لم تحدث بالفعل على أرض الواقع.

فقد تراءى أمام العقيد/ رمزي عاصم ، رئيس مباحث قسم المعادي أن يطارد قطعانًا من الحيوانات المفترسة ويطاردها في تؤدة وإصرار، حتى إنه لم يشعر بتواجد العسكري الذي ظل واقفًا أمامه يسأله بإلحاح ما إذا كان في حاجة إلى فنجان جديد من القهوة .

ولكن كيف لا يشرد ذهنه وكل ما حوله يوحي بالتراخ والكسل، لذلك فقد طلب مزيدًا من القهوة وهم بمطالعة جريدة قديمة أمامه على المكتب،

ولكن فجأة ارتفع في الغرفة صوت رنين الهاتف كما لو كان يعلن أن من في المكان لا يزالون أحياءًا بعد .

وكان العسكري المتواجد في الاستقبال على الجانب الآخر يتحدث بحذر، خشية أن يكون سبب لرئيس المباحث الإزعاج ، فقال بشيء من الرهبة...

-هناك سيدة تقف أمامي وتصر على أن تتحدث إليك شخصيًا في أمر ضروري!

قطب رمزي حاجبيه قبل أن يجيب وكأنه آلة ميكانيكية ...

-هل هي أحد نعرفه ؟

أجاب العسكري... لأ سيادتك .

فعاد رمزي للتكرار...

-هل رأيتها هنا من قبل؟ أو تعرفها بشكل أو بآخر؟

فأجاب العسكري بحذر...

-هي تقول أنها تعرفك منذ مدة طويلة يا افندم !

تسلل الشك والريبة إلى عقل رمزي , فسأل في خشونة ...

-هل ذكرت لك اسمها أو وظيفتها؟

تهللت أسارير العسكري وكأن رمزي سأله سؤال من داخل المنهج وهو يعلم إجابته , فقال على الفور :

obeikanal.com

-إنها تقول أن اسمها .. سوسن مصيلحي، كما قالت أن سيادتك ستذكرها فور أن اذكر لك الاسم.

صمت رمزي للحظات وعاد للشرود في بحر ذكرياته وقد بدأ يتذكر صاحبة الاسم ...

واحتاج إلى الرجوع خمسة عشر عامًا إلى الوراء ، فقد كان لا يزال شابًا وضابطًا حديث التخرج يريد أن يثبت ذاته وتواجده بالإدارة، وقد أتته الفرصة على طبق من ذهب عندما كلف بالقبض على (لبنى) محتالة متخصصة في النصب والسرقة تم تحرير محضر ضدها في منطقة وسط البلد .

و بالفعل داهم الضابط الشاب البنسيون القديم المهترئ، وسأل عن الفتاة المنشودة , لكنه لم يجد في الغرفة سوى فتاة واحدة ذكرت أن اسمها (سوسن) وليست (لبنى) !

لم يتأثر كثيرًا بإنكار الاسم ، خاصة وأن كل من تواجدوا في موقع الحادث أنكروا معرفتهم أصلا بالفتاة بغض النظر عن اسمها ! لذلك لم يجد أمامه بدًّا من القبض على الفتاة وتم حبسها لمدة عام .

نظر لسماعة الهاتف في يده ، فتذكر العسكري الذي لا يزال منتظرًا على الخط , فقال في هدوء ...

-دعها تصعد إلى المكتب , وأغلق الخط دون انتظار الرد!

كان سيل الذكريات يواصل انهماره داخل عقله بغزارة في تلك اللحظة...

تذكر كم كانت نحيلة، متوسطة الطول، قاسية في ردود أفعالها، ولديها نظرة حزينة تنظرها بجانب عينها ، تجعل من يراها يشفق عليها حتى وإن كانت مذنبة !

ولم ينس أنه ظل أسابيع كاملة يتألم لم يستطع النوم بسبب تلك النظرات التي سددتها له في قاعة المحكمة عندما نطق القاضي الحكم عليها بالحبس، خاصة بعد أن تم القبض على (لبنى) الحقيقية بعدها في حادث نصب عن طريق الصدفة البحتة.

أفاق من تأملاته وذكرياته عندما سمع طرق العسكري على الباب وهو يعلن عن وصولها ...

نظر له رمزي طويلًا وكأنه يراه لأول مرة وقال في هدوء غريب ...

-دعها تدخل.

دخلت سوسن إلى الغرفة في هدوء، كانت لا تزال كما كانت مخيلته تتذكرها تمامًا , لم يتغير فيها شيئًا سوى شحوب وجهها، وعينها التي بدت أكثر حزنًا من ذي قبل ، وقد استقرت بمقلتيها (نظرة من صادف وتحمل الكثير من الهموم في حياته، فهانت عليه بعد ذلك أمور الحياة كلها)

كانت ترتدي قميصًا خفيفًا مزركشًا ، وبنطال أسود باهت اللون ، وتحمل في يدها حقيبة جلدية صغيرة الحجم ، زهيدة الثمن ؛ لذلك لم يكن من الصعب استنتاج الحالة المادية لها خاصة بعد ظهورها المتواضع بعد تلك السنوات...

قال رمزي في لهجة آمرة ...

-اجلسي.

جلست وعينيها لا تزال مثبتة على الأرض في شيء من الصبر، وقالت في هدوء وروية:

-أراكَ ِلا تزال تذكرني بعد مرور كل تلك السنوات !

لم يكن رمزي بحال أفضل من حالها ، فمع ارتفاع حرارة الجو، وذكرياته القاسية بعض الشيء مع تلك الزائرة الغريبة ، وجد حلقه جافًا وشفتاه تكاد أن تلتصق ببعضهما البعض , لذلك تنحنح وقال في شيء من التوتر...

-إذا كان الهدف من الزيارة هو اختبار للذاكرة ... فإن ذاكرتي تعمل حتى الآن بشكل جيد ومنتظم كالساعة ، ولكن العسكري أخبرني أنكِ بحاجة لمقابلتي لأمر هام , فهل من الممكن أن أعرف ما هو هذا الأمر الهام الذي يدفعك لمقابلة رئيس المباحث شخصيًا ؟

obeikandl.com

تمهلت سوسن قليلًا كما لو كانت تبحث عن مدخل تبدأ به حديثها الذي أتت من أجله ... فقالت بتؤدة

-أود أن أبدأ حديثي معك بأن أبارك لك على الترقية ، فقد قرأت اسمك ورأيت أيضًا صورتك بالجريدة اليومية.

كما أنني لا زلت أنكر قيامي بتلك الواقعة في تلك الليلة المشؤومة فالسرقة هي آخر شيء قد ألجأ إليه ، وعلى الرغم من ذلك فقد تم حبسي لمدة سنة، كفرت فيها عن جريرة لم أرتكبها .

ورغم أنك وقتها لم تكلف نفسك عناء البحث عن تلك الفتاة المزعومة ، إلا أنني لا أكن لك سوى التقدير والاحترام .

فكل إنسان في هذه الدنيا معرض أن يحالفه الحظ أو يجانبه التوفيق!!

ومع انتهاء سوسن من الجملة الأخيرة بدأ رمزي يتململ في مقعده بشيء من العصبية , وأخرج علبة سجائره وبدأ يدخن وهو يقول ...

-ألهذا السبب أتيت إلى هنا؟ رأيتي صورتي فقررت أن تأتي وتذكريني بأنني كنت ضابط فاشل في بداية حياتي...

قاطعته سوسن في ضراعة قائلة ...

-لا أقسم لك أن هناك سببًا آخر أخطر وأهم، لقد أتيت إليك بسبب (جابر).

ارتفع حاجبا رمزي في دهشة وكادت أن تفلت منه ضحكة ساخرة لولا دمعة الحزن المنحسرة بين جفنيها , فقال بعصبية وأصابعه تنقر على المكتب ...

-و من هو جابر؟

قالت في وداعة ...

-إنه زوجي , جابر عوض، ولكنه معروف لديكم باسم(جابر الخفيف).

اعتدل رمزي في مكانه وهو يصرخ عليها ...

-لص الخزائن!!

نكثت سوسن رأسها وهي تجيب في هدوء ...

-نعم يا سيدي، هل تعرفه؟

هز رمزي رأسه في حيرة، ثم قال في شيء من الضيق ...

-أذكر أني رأيته مرة أو مرتين، فقد كان يخضع للتحقيق مع الضابط / عصام نصحي .

وعاد عقل رمزي يعمل بنشاط مرة أخرى، إذ تذكر ذلك اللص الشهير الذي برع في سرقة جميع أنواع الخزائن، ورغم مهارة أنامله إلا أنه كان يعاني من هزال جسماني غريب بسبب ضآلة جسده، وكان ذلك سببًا في أن أطلق عليه الجميع لقب الخفيف.

obeikandi.com

قالت وقد انفرجت أساريرها ...

-نعم بالضبط ...إنه الضابط الذي دائمًا ما يتولى التحقيق معه.

سدد لها رمزي نظرة ثاقبة، ثم سألها بخبث ...

-هل هو متورط في أحداث السرقة الأخيرة لذلك المركز التجاري الشهير؟

لكنها قالت في توتر ...

-ليتني أعلم أين هو بالتحديد، ولكن كل ما أستطيع أن أجزم به هو أنه واقع في ورطة كبيرة قد تودي بحياته !

نظر لهارمزي بغيظ ، قائلا بسخرية ..

-طلبك يتبع إدارة المفقودين، وليس هنا!

نظرت له نظرة مطولة ، ثم قالت كما لو كانت ستلقي بقنبلة ..

-حتى لو كان للأمر علاقة بجريمة قتل ؟

لم تكن تبغي من ذلك أكثر من أن تلفت انتباهه وتكتسب احترامه، كانت بحاجة لأن تكسر الحاجز النفسي بينهما حتى تتحدث بحرية وتلقائية ، فقالت في لهجة منضبطة ...

اسمح لي أن أقص عليك الأمر بالكامل ...

opeikandi.com

-بعد خروجي من الحبس عملت نادلة في الفندق الصغير الذي ألقيت القبض على فيه , وهناك قابلت جابر , وجدته شخص عطوف هادئ الطباع، خجول قليل الكلام، ورغمًا عنك مع نظرة عينيه الحزينة تشعر بالإشفاق عليه مما يدل على أن بداخله شيئًا مجروحًا او مكسورًا.

كما أنه صريح بشكل لافت للنظر، فقد قص علي قصة حياته بجميع مراحلها منذ ولادته وطلاق والديه ، مرورًا بتعليمه المتوسط ، وفراره من زوجة والده ...

ثم حصوله على اول عمل له ، ومن ثم استهتار الناس به ، وتعمد السخرية منه وصولًا لاحترافه سرقة الخزن ...

حتى أيامه داخل السجن رواها لي، وعدد مرات القبض عليه والمدد التي حكمت عليه حتى أسماء السجون ذكرها !!

و بعد أن انتهى ...

تكررت زياراته لمكان عملي حتى طلب مني أن أكون شريكة حياته ، ولا أعلم حتى الآن سببًا لموافقتي على الزواج منه سوى أنني منذ التقيته وحتى الآن متعاطفة معه ومشفقة عليه ...

فهو بالنسبة لي كالطفل الذي لم أحظ به ، كما أن هناك معلومة يجب أن تعلمها وهي أن جابر لديه وجهة نظر وتفسير لاحترافه السرقة...

فهو (لا يمد يده للسرقة إلا إذا كان محتاجًا لذلك، ولا يسرق إلا الأشخاص الذين يستحقون ذلك !)

كما أنه لا يفصح أبدًا لأي شخص عن تفاصيل عملياته التي يقوم بها حتى أنا , فهو يفضل دائمًا العمل منفردًا، ولكني أستطيع أن أعرف متى يبدأ في التخطيط لشيء ما، فإن لديه طقوس خاصة.
قاطعها رمزي بتذمر وقد بدأ يمل طريقتها في السرد البطيء، فقال مهددًا:
-توقفي من فضلك , فإنكِ بالتأكيد لم تأتِ إلى هنا كي تمدحي أمامي أمجاد زوجك البطل المفقود ، أو تروي لي قصة اللقاء العاطفي المؤثر بينكما ، هل من الممكن أن تختصري هذه القصة المؤثرة ؟

تملكها الشعور بالإحراج بعض الشيء، ولكنها تنحنحت وواصلت بعزيمة من قرر أن ينهي المشوار مهما كلفه الثمن من تضحيات ...

-منذ أسبوعين تحديدًا بدأ جابر في طقوسه المعهودة عندما يقرر السطو على صيد ثمين، فهو يخرج كل ليلة في تمام التاسعة ولا يعود إلا بعد أن تتجاوز الساعة منتصف الليل بساعة تقريبًا...
وخلال هذه المدة تختمر الخطة في رأسه ، بداية من كيفية الدخول وحتى طريقة الهروب ...
و منذ ثلاثة أيام تحديدًا خرج من المنزل ومعه أدواته الخاصة للسطو، فعلمت أنها الليلة المنشودة التي كان يخطط لها ، وراودني ذلك الشعور الغريب بالخطر كلما مرت علينا تلك اللحظة مجددًا ، وحاولت عبثًا أن أثنيه ، أو أعلم منه خط سيره لكنه رفض الإفصاح لي عن المكان الذي سيذهب إليه أو حتى عن الطريق الذي سيسلكه.

بدأ حديثها يدخل ضمن النطاق الذي يهتم به رمزي نوعًا ما، فاعتدل في مجلسه وضغط زر الاستدعاء وطلب من العسكري أن يحضر فنجانين من القهوة المركزة , ثم حثها على مواصلة السرد ...
فأردفت قائلة ...

-لقد خرج بالتحديد في تمام الساعة التاسعة ، وحاولت أن أغالب النوم الذي ظل يهاجمني بضراوة لكني لم أستطع ، فاستسلمت للنوم على الأريكة في انتظار وصوله .

ولكنني استفقت على رنين الهاتف المتواصل في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحًا ، وعلى الجانب الآخر سمعت همس جابر , كأنه محموم يعاني من نوبة صرع تحت وطأة رعب محقق يسيطر على أوصاله...
لذلك لم يقل كثيرًا، كل ما قاله تلخص في بعض الجمل المقتضبة...

-سوف أسافر لفترة ! ولما سألت عن السبب أخبرني في عجالة أن أحدهم قد رآه ...

فعدت لأسأله عما إذا كان أنهى ما كان ذاهبًا لأجله , رد مرتعبًا ...

- لقد انتهى كل شيء قبل حتى أن يبدأ , فعندما كنت أتجه صوب الخزانة وقع ضوء المصباح على ركن الغرفة ، وما أن رأت عيناي ما على المقعد الذي يوجد بالركن حتى هربت كل قطرات دمي من جسدي...

فقد كان هناك شخصًا ما يجلس على المقعد وكأنه يراقبني أو ينتظرني ، ولكن عندما استجمعت شجاعتي واقتربت مرتعبًا ، تبين لي أن ذلك الشخص ميت ... فقد ذهب عن عينيه بريق الحياة ...

***

أخرج رمزي سيجارة جديدة يشربها مع القهوة التي حضرت ، وقد بدى على وجهه علامات الاهتمام والقلق في نفس الوقت ... فسأل في جدية...

-فقط ذلك !! هل ذكر لك شيئًا عن تلك الجثة؟

أجابت بانفعال ...

-نعم ، قال أنها لامرأة والدماء تلوث صدرها ، كما أنها كانت ممسكة بسماعة هاتف في يدها ، وأن عينيها كانت جاحظة بشكل غريب ...

نظر إليها رمزي مستحثًّا إياها على مواصلة السرد الانفعالي...

-و ماذا بعد؟

قالت وهي تلهث من فرط الانفعال ، كما لو أنها انتهت لتوها من سباق للعدو ...

-قال أنه حاول أن لا يضيع الوقت ، ويكمل ما أتى من أجله منذ البداية ، ولكنه ما لبث أن تناهى إلى سمعه صوت سيارة تتوقف بجانب المكان، وصوت أحدهم يدخل عبر الباب الأمامي للمكان ...

obeikandi.com

وبلغ الرعب به مبلغه عندما سمع صوت قفل الباب يتحرك ، لم يفكر كثيرًا حتى قرر أن يقفز من الشباك إلى حديقة المنزل ، فقط جرى وكأن كل شياطين جهنم تطارده ...

و ما زاد الطين بلة أنه بينما كان يفر هاربًا ترك خلفه حقيبته التي تحتوي على عدة السرقة، ولكن ما أثار ذعره ، هو ضوء المصباح الذي سلط عليه من شباك الغرفة ، وجعله يعتقد أن هناك من تعرف عليه، و سوف يقتفي أثره أو يهدده ...

أخذ رمزي يدون بعض الكلمات في أوراقه، قبل أن يقول في اهتمام ...

-إذن فالمكان كان به حديقة , وله باب أمامي كبير نوعًا ما حتى تتمكن سيارة من الوقوف أمامه...

هزت سوسن رأسها بعصبية علامة الإيجاب ، وقالت باهتمام ... نعم كانت من داخلها تشعر بالسعادة لأنها استطاعت أن تكتسب ثقته واحترامه ، خاصة بعد المقابلة الفاترة التي بدأ بها لقاءهم ، وبقي أملًا واحدًا لها هو أن يهتم بتلك القضية وأن يوليها رعايته ...و لكنه فاجأها بسؤال مباغت قطع عليها حبل تأملاتها ...

-و لماذا لا يكون هو القاتل؟ من الطبيعي أن يتفاجأ بمن يقطنون المنزل فيضطر للتعامل معهم !!

مرت فترة من الصمت والتساؤل قبل أن تستطرد سوسن ...

-ليس جابر , لعدة أسباب، أولها أنه من الذين يرتعبون من ظلهم خوفًا ، بل وترتعد فرائصه من الأماكن الساكنة ، كما أنه يخشى الهدوء ولا يعمل إلا في الضوضاء المستمرة، لذلك فإنه من المستحيل أن يسطو على منزل غير مأهول بالسكان ...

ثانيًا ، لديه مزية أنه لا يقتحم أبدًا المكان إلا من خلال النوافذ حتى إذا كانت الأبواب مفتوحة على مصراعيها أمامه ، فهو يمتلك موهبة غريبة تمكنه من التجول حولك في المكان دون ان تلحظ حتى وجوده أصلًا ...

ولذلك أطلق عليه الجميع لقب (الخفيف)!!

نظر إليها رمزي مطولًا قبل أن يسأل في اهتمام ...

-وماذا عن معاقرة الخمر، أو أنه هاجم تلك السيدة وهو تحت تأثير أي نوع من أنواع المخدرات؟

هزت سوسن رأسها نفيًا وهي تجيب بهدوء ...

-جابر مريض باركنسون أي (شلل رعاش) والخمر، التدخين والمخدرات يجعلانه يتعرض لما يشبه النوبات العرضية من جراء هذا المرض.

ومن المستحيل أن يتناول أي منها خاصة في ليلة مثل هذه ، يحتاج فيها إلى يديه في حالة قوية وحساسة ، خاصة وأنه لا يستطيع التعامل

إلا مع الخزنات ذات الطابع القديم حيث الاعتماد على مهارة اليد وحدة السمع .

عاد رمزي يعتدل في مقعده ، وقد بدأ عقله يستعيد نشاطه ويتبدد الملل والشرود شيئًا فشيئًا، وقد انقشعت من رأسه كل السحب والشوائب التي تكونت نتيجة سخونة وحرارة الجو ... أطال النظر إليها وسألها فجأة ...

-مريض باركنسون!! لص خزائن ؟

أليس غريبًا ما تحاولين أن تقنعيني به؟ منطقيًا لن يفلح لسرقة المارة في الشارع , فكيف يكون لص خزائن وأيضًا محترف !!

هزت رأسها نفيًا، وهي تردد ...

-كانت النوبات تفاجئ جابر في البداية ، لكن الأطباء أرشدوه أن لها علامات ودلائل أولية ومقدمات إذا ما شعر بها يمكنه التنبؤ بوقت حدوثها ...

قد استفزه هدوءها ومنطقية إجاباتها على كل الأسئلة المطروحة ، فقد كان ذلك يعزز مقدار الثقة بين الاثنين في كل مرحلة من مراحل الاستجواب ، فحاول أن يبتعد قليلًا عن مجريات التحقيق , فسأل مستفسرًا ...

-و أين محل سكنك أنت و جابر؟

اجابت بطريقة طبيعية ...

-في نفس الفندق الذي تقابلنا فيه معًا منذ 15 عامًا ، ولكننا أصبحنا زبائن دائمين ندفع مبلغ زهيدًا من المال كل أول شهر .

فهو كما تعلم مكان حقير نوعًا ما، وقلما نرى فيه وجهًا جديدًا غير الوجوه التي تعودنا أن نراها منذ زمن .

ولكنه بالطبع يمتاز كونه في منطقة وسط المدينة ، وأيضًا لدينا هاتف خاص بنا في الغرفة التي نقطن فيها أنا وجابر كوننا أقدم المستأجرين.

ابتسم رمزي بطريقة طبيعية ، نظرًا لعفويتها في السرد ، ثم بدأ ينقر بأصابعه على المكتب ، وقال وهو يرفع نظره إليها عما إذا كانت لديها أي فكرة عن المكان أو المنطقة التي خطط جابر للسطو عليه؟

صمتت قليلًا وفكرت ، ثم طرقت برأسها كما لوكانت قررت شيئًا مصيريًا ...

-اعتقد أنه في مكان ما ناحية المعادي، لأنني أذكر أنه منذ خمسة أيام عندما كان يخرج في دوريات الاستطلاع اليومية الخاصة به ، عاد متذمرًا لأن هناك لجنة من رجال الشرطة أوقفت (الميكرو باص) الذي كان يستقله ، مما تسبب في تعطل الطريق وتأخره في العودة .

حكى لي ذلك عفويًّا دون أن يستشف أنني قد استنتج مكان العملية مما قاله منذ قليل .

ذوى رمزي ما بين حاجبيه وقال في تساؤل ...

-المعادي حي كبير جدًّا ، ومنقسم إلى جزءين ، في أي جزء منهم على وجه التحديد؟

هزت سوسن رأسها علامة النفي وهي تقول :

-لا أعلم بالتحديد ، لكنك يجب أن تعلم أن جابر ليس من النوع الذي يهوى السطو على الشقق السكنية ، بل يحب دائما السطو على الأماكن ذات الوحدة الواحدة أو الطابق الواحد ، هل وصلت إليك الفكرة التي أرنو إليها؟

زم رمزي شفتيه وقال في اقتضاب ...

-نعم، إنك تظنين أن المكان الذي كان جابر يخطط للسطو عليه تقريبًا في حي المعادي القديمة .

عاد رمزي للصمت ، ثم سألها مرة أخرى ...

-و لماذا تظنين أن سوءًا قد وقع له ؟ ولماذا تتسرعين وتخاطري بإبلاغ الشرطة , أليس من الجائز أنك تلحقين به الأذى بتسرعك هذا؟

هزت سوسن رأسها وقالت مؤكدة بثبات ...

-لا يمكن أن اكون قد ألحقت به أي نوع من أنواع الأذى، ذلك لأنك لم تشعر بنوبة الرعب الهائل التي بلغتني واستشفيتها من صوته ، والتي انتقلت إلي بدورها تلقائيًا عبر الأثير، كما أنني تابعت واشتريت جميع الصحف على أمل أن أجد أي خبر أتى على ذكر ذلك الحادث، ولكني لم أجد .

صدقني لقد كان يشعر بخوف لا حدود له ، خوف جعلني أسمع خفقان قلبه وكأنه هزيم الرعد !

مط رمزي شفتيه وقال في شيء من التذمر ...

-هل ذكر لك في تلك المكالمة المقتضبة أي شيء عن المكان الذي يتحدث منه أو يتواجد فيه ؟

هزت سوسن رأسها علامة الإيجاب وقالت بتلقائية ...

-نعم ، قال أنه يتحدث من محطة الجيزة ، وأنه على وشك أن يسافر إلى ...الإسكندرية !!

رفع رمزي حاجبيه في دهشة وهو يقول ...

-و هل لديكم أي أقارب في الإسكندرية ، أو مكان لديكم فيه أي ذكريات عزيزة عليه تجعله من الممكن أن يلوذ إليه؟

مطت سوسن شفتيها ثم قالت في جدية مطلقة :

-هذا إذا كان جابر سافر فعلًا على متن هذا القطار!!

نظر لها رمزي بتساؤل حثها على الاستطراد , فقالت ..

-لقد ذهبت بالأمس إلى محطة قطارات الجيزة ، وبالفعل كان هناك قطارًا مغادرًا إلى الإسكندرية في تمام الخامسة والنصف ، لكن هناك شعورًا غريبًا يعتريني بأنه اتخذ وجهة مغايرة لما قاله .

قال رمزي بعد صمت طويل ...

-إذن فإنه أثناء سطوه على أحد الفيلات في منطقة المعادي القديمة (مجازًا بالطبع) شاهد جابر جثة في ركن الغرفة على المقعد المجاور

للخزنة ، وبعد ذلك هرب إلى محطة القطارات واستقل قطارًا منها إلى وجهة غير معلومة ..

هذا هو ملخص ما حدث منذ يومين بينك وبين زوجك جابر الخفيف... وماذا لو كانت تلك القصة الطويلة من نسج خيالك أنتِ وزوجك، للتمويه أو التغطية عن خطة وعملية كبرى تم الإعداد لها بكل جرأة وجسارة وذكاء !!

قالت سوسن في ضراعة ...

-أقسم لك يا سيدي أني لا أنطق إلا صدقًا ، فأنا تابعت جميع الجرائد اليومية ومحطات التليفزيون عسى أن تأتي على ذكر تلك الواقعة ، ولكن شيء من هذا لم يحدث !!

أضف إلى ذلك أن القدوم إليك هوآخر ما كنت أتمنى اللجوء إليه .

هز رمزي رأسه متفهمًا ، ورفع سماعة الهاتف أمامه قائلًا في لهجة آمرة...

-هنا مكتب رئيس مباحث المعادي ، صلني بمكتب رئيس مباحث العاصمة .

وما إن أتى صوت الضابط على الجانب الآخر حتى سأله رمزي بهدوء ...

-هل وردت إليكم أي بلاغات عن جريمة قتل في منطقة المعادي القديمة خلال الـ 48 ساعة الماضية ؟

كادت سوسن أن تقفز على المكتب ، متلهفة لمعرفة الرد ، والذي كان قيد البحث من الجانب الآخر، وما إن سمعت رمزي يشكر الضابط ، ويغلق السماعة حتى نظرت إليه مستجدية .

ولكن رمزي هز رأسه علامة النفي وقال في هدوء ...

-الضابط ينفي وقوع أي جرائم قتل طوال الأسبوع الماضي، هل لي أن أسألك سؤالًا شخصيًّا بعض الشيء؟

هزت سوسن رأسها بيأس علامة الإيجاب.

فقال رمزي في حذر ..

-ماذا إذا كان في الأمر امرأة أخرى قرر الهرب معها متعللًا بتلك القصة المحبوكة من وحي خياله !

كادت ضحكة أن تفلت من بين شفتي سوسن وهي تقول ...

-وإذا كان الأمر كذلك ، هل كنت سألجأ إلى رئيس المباحث كي يعيد جابر لص الخزائن إلى رغمًا عنه !! هذا أمر مستبعد وأنت تعلم ذلك جيدًا .

هز رأسه مبتسما، ثم قال وكأنه يود إنهاء المقابلة :

-هل تطلعيني على أي مستجدات تحدث ، أي مكالمات هاتفية على الفندق أو الموبايل أو حتى رسائل بريدية ؟ هل تعديني بذلك؟

ابتسمت سوسن مرة أخرى ، وهي تقول بعفويتها :

-ستعرف أي شيء وكل شيء قبل أن أبلغك به لأنك ستخضعني للرقابة المشددة قبل حتى أن أخرج من هذا المبنى ، أليس كذلك؟

ثم نهضت قائلة في ود :

-إنك لاتزال على عهدي بك عنيد ذكي مثابر، ولا أظن أنك بالسذاجة التي تجعلك تتخبط وتتأرجح ، دون أن تتمكن أو تفرق ما بين الغث والسمين ...

ما أعلمه وقرأته عنك يؤكد أنك لديك القدرة على شم رائحة الكذب والغش ، والتفريق بينه وبين الصدق وقول الحقيقة .

نظر للأوراق أمامه ، ثم سألها مودعًا ...

-هل معكِ نقود؟

ضحكت بسخرية , وقالت ببراءة :

-لا، ولكني أتدبر أموري جيدًا ...

فقط عليك أن تعلم يا سيدي أنني ما كنت أهدر لحظة واحدة من وقتك الثمين لو لم يكن كل ما سردته عليك حقيقة مجردة ...

وجد نفسه متعاطفًا معها رغمًا عنه، فمد يده مصافحًا إياها، فتابعت تقول :

-هل تعدني أن تولي تلك القضية اهتمامك الخاص ، وأن لا توكلها لأي ضابط عندك ؟ إنني أطمع في أن تتولاها بنفسك .

قال وهو يجلس على مقعده مرة أخرى:

-أعدكِ بذلك ...

عادت تقول في إصرار:

-وهل تعدني أن تطلعني على كافة ما تتوصل إليه في تحقيقاتك؟

هنا ظهر شبح ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يقول:

-لقد أتيتِ وطلبتِ يد المعاونة ، وسوف أعاونك شريطة أن تتحلي بالثقة والصبر، هذا كل ما سوف أعدك به في هذه المرحلة ...

نظرت إليه وهي تحاول أن تستشف ما يعتمل داخله ، ولكنه أشار إليها علامة انتهاء الوقت وضرورة الانصراف ، فانصرفت في هدوء تاركة وراءها لغز كبير محكم ...

ظل رمزي يتساءل في هدوء وصمت بينه وبين نفسه، كيف سيتمكن من حل طلاسمه ؟

***

عبق التاريخ

لم يدر بخلد الضابط الكندي/ الكابتن ألكسندر آدامز مؤسس حي المعادي ومهندس التخطيط لإنشائها ، أن مدينته الصغيرة الهادئة ستصبح يومًا ما الاستثناء الوحيد في العاصمة الأكثر ازدحامًا في الشرق.

ففي خضم الصخب والضجيج اليومي الملازم لشوارع وأحياء القاهرة ، تبدو المعادي وشوارعها غارقين في صمت يثير الدهشة والعجب، بل ويكاد يحاكي في بعض الأحيان صمت القبور .

ومع ذلك لا تزال تحتفظ برونقها وخصوصيتها في إطار تلك الأصوات التي دعت قبل 100 عام تقريبًا لإنشاء حي سكني مميز وخاص لطبقة الارستقراط المصريين، والتي كانت تضم النخبة الحاكمة وبعض المثقفين بالإضافة إلى الجالية الإنجليزية .

تدين المعادي بالفضل في نشأتها إلى الخديوي إسماعيل 1830-1895 الذي قرر في نهاية القرن التاسع عشر إقامة منتجع سياحي استشفائي متكامل في المدينة الصغيرة ذات الحدائق الغناء وعيون المياه الكبريتية.

وفي عام 1868 أرسل اسماعيل مجموعة من الخبراء بينهم طبيبه الخاص إلى حلوان لبحث طبيعة الآبار وإمكانية تنمية المكان واستثماره.

وأشار الخبراء إلى الخصائص الطبية الهامة لآبار حلوان ، فقرر الخديوى بناء قصر بها عام 1877، ثم وهبه لأمه وأطلق عليه اسم (قصر الوالدة باشا) .

مما شجع أبناء الأسرة المالكة والأثرياء والأجانب إلى إنشاء القصور والفيلات الفخمة في ذات المنطقة ، كما تم افتتاح خط سكك حديدية عام 1880 ليربط ما بين القاهرة وحلوان .

لذلك بدأ المستثمرون الأجانب في شراء الأراضي ، وكان أشهرهم (موصيري) أحد أهم أبناء الجالية اليهودية ، ولكن الضابط الكندي آدامز هو من خطط الهندسة العمرانية لذلك الحي .

وقام الضابط الكندي آدامز بالتخطيط لإنشاء المدينة كحي سكني ذي نسق واحد على الطراز البريطاني الاستعماري من خلال الشوارع المستقيمة وبناء الفيلات ذات الطابقين والحديقة الأمامية المليئة بأشجار الزينة النادرة .

ومن محطة قطار المعادي كانت تتفرع شوارع المنطقة بشكل مستقيم نحو الميادين الرئيسية، وحمل الشارعان الرئيسيان اسمي

ملوك مصر آنذاك (فؤاد الأول – الأمير فاروق) بينما سميت الشوارع الأخرى بأسماء مؤسسيها من اليهود والبريطانيين.

ومع تزايد هجرة القاهريين إلى المعادي أنشأت الأقلية اليهودية معبدا في عام 1934 بناه الثري مائير بيتون وأسماه مائير عينايم ، وأسس بعدها الحي اليهودي في المعادي وأصبح الحي مركز جذب لليهود المصريين ، حيث شيدت فيه الفيلات الفاخرة لأثرياء الطائفة أمثال عائلة شيكوريل ومزراحي إلى جوارمنازل اليهود الأشكناز .

وبلغ عددهم في منتصف الأربعينيات ما يقرب من 20 ألف شخص شكلوا ثلث سكان الحي ، بعدها أنشأ المسيحيون كنيسة

كاثوليكية ، كما شيد المسلمون أول مسجد في المعادي عام 1939افتتحه الملك فاروق ملك مصر وأطلق عليه مسجد الفاروق .

كانت المعادي على موعد مع الحرب العالمية الثانية إذ وصل إليها عام 1940 ما يقرب من 76 ألف جندي من نيوزيلندا ، استقروا في معسكر ضخم في منطقة يطلق عليه (وادي دجلة) جنوب المعادي.

وتعايش الجنود مع أهل المعادي، واختلطوا مع سكان الحي بل إن بعضهم قرر الاستقرار في مصر بعد نهاية مصر .

حتى بعد أن غادرت الفرقة إلى نيوزيلندا عام 1946 قدم الجنود قبل رحيلهم نصبًا تذكاريًّا يشكرون فيه سكان الحي على كرم الضيافة.

وعلى الرغم من مرور السنوات ورحيل الأجانب عن مصر، إلا أن حي المعادي ما زال مفضلًا من قبل الجاليات الأجنبية، إذ لا تزال أعداد كبيرة منهم تعيش فيه نظرًا لطابعه الغربي الذي يبدو

جليًّا في مؤسسات التعليم المنتشرة فضلًا عن النوادي الرياضية والمؤسسات الاجتماعية والدينية.

كما فضلت دول كثيرة تشييد سفاراتها هناك إذ تتواجد بالمعادي اليوم 26 سفارة إجنبية.

***

ظل اللغز الذي فجرته زيارة سوسن مصيلحي إلى مكتب رمزي كناقوس يدق بلا سأم أو ملل ، يغدو ويعود دون أي إبطاء أو توقف حتى كادت رأسه أن تنفجر !! نظر إلى ساعة يده فوجدها قاربت السادسة مساءًا .

الطقس بدأ في التحسن والجو يتنسم بالهواء العليل بعد انتصاف قرص الشمس الناري ليتوارى خلف سماء أروع عواصم الشرق الأوسط (القاهرة) ...

فكر أن يتحدث مع صديقه/ عصام نصحي... ويعرض عليه تلك القضية، لا سيما أنه بطبيعة الحال متخصص في ذلك النوع من القضايا، كما أنه يعرف جابر الخفيف أفضل منه.

لكنه تذكر زوجته (مها) التي تنتظره على الغداء منذ ساعتين ، فقرر أن يذهب إلى المنزل على أن يبدأ في التحرك من الصباح الباكر.

***

وبالفعل تحرك باتجاه باب المكتب متأهبًا للمغادرة ، ولكن ما إن أمسك بالباب حتى وجد أمامه صديقه الرائد/ عصام ، وقد جاء ليسأل عن قضية تم إغلاقها منذ عدة أيام.

وما أن رآه رمزي حتى تلاشت من عقله كليًّا فكرة الذهاب إلى المنزل، ولم يضع كثيرًا من الوقت – فقط – طلب زوجته على الهاتف ،

ليخبرها حدوث أمر هام وطارئ يستدعي وجوده في العمل ، لذلك سيكون من الأفضل عدم انتظاره .

ثم جذب عصام من يده وأجلسه وهو يقول :

لقد كنت أفكر فيك عندما رأيتك أمامي !!

ابتسم عصام بدوره قائلًا:

ألهذه الدرجة !! فيما يمكن أن أفيد سيادتك ؟

طرق رمزي المكتب بأصابعه ، ثم قال :

جابر الخفيف؟

زوى عصام ما بين حاجبيه قائلًا في سخرية...

ذلك الفاشل لص الخزائن !! لماذ تسأل عنه ؟

رد رمزي في تعجل ...

يهمني أمره بعض الشيء ، هل لديك أي معلومات عنه ؟

هز عصام رأسه ، ثم قال بسخرية ...

من المؤكد أن لدي ملف كامل عنه ، ولكن ما يدعو للدهشة هو أنك مهتم به !!

obeikandl.com

مط رمزي شفتيه قائلًا في تساؤل غريب ...

و ما الذي يدعوك للدهشة؟

اعتدل عصام في مجلسه ، كما لو كان سيدلي بشهادة ما، ثم قال:

إذا ما كنت تشتبه فيه لأي من جرائم القتل التي تتولى التحقيق فيها ، فهو آخر الاحتمالات ، بل أمر مستحيل الحدوث !

جابر لص خزائن ماهر جدًّا، ولكنه من الذين يموتون رعبًا عند رؤية الدماء ، خاصة إذا ما كانت دماء آدمية ، فهو جبان بشكل لافت للنظر!

نظر له رمزي بفضول ، وكأنه يستحثه على استكمال ما بدأ ...

وماذا أيضًا ؟؟

رفع عصام حاجبيه بدهشة، وقال في هدوء:

أنا لدي العديد من المعلومات ، عن جميع المشتبه بهم، ولكني لاأعلم بالضبط ماذا يدور بذهنك ؟

ابتسم رمزي بعصبية ، وكأن صبره ينفذ تدريجيًّا ...

ما الذي يستعصى عليك فهمه ؟ إنني أسألك عما تعرفه عن مشتبه فيه بذاته ؟ ولا أتحدث عن جميع اللصوص الذين تكتظ بهم السجون ، فقط سألتك عن ملف جابر الخفيف تحديدًا !

اعتدل عصام وأخرج إحدى سجائره , وهو يقول :

أنا أعلم جيدًا أن الفضول .. خطيئة ! ولكن اعذرني كنت أود أن أعلم سر ذلك الاهتمام المفاجئ بذلك اللص التعس .

ثم ابتسم بعفوية مازحًا في صدق ...

لكن إذا كنت لا تود أن تطلعني على التفاصيل ، فلك في ذلك كل الحق ... ما لك علي سوى أن أروي لك قصة حياته :

لقد تم إلقاء القبض عليه أكثر من مرة في عمليات سطو على محلات ومصانع ، وكان الهدف من كل ذلك هو سرقة مبلغ كبير من المال يهيئ له فرصة حياة كريمة .

ودائمًا ما كان يردد ذلك في كل تحقيق ، متزوج من امرأة لديها سابقة سجن واحدة ، ليس لديهم أطفال .

هو من النوع الهادئ الصامت ، واسمه الحقيقي (جابر عوض) أما لقب الخفيف فقد أطلق عليه بسبب خفة الحركة في المكان ، فهو لديه القدرة على التواجد معك في نفس المكان دون أن تشعر حتى بوجوده!

كما أنه لا يدخل المكان أو يخرج منه أبدًا إلا من خلال النافذة ، حتى إذا كانت كل الأبواب مفتوحة أمامه .

ساد صمت طويل على الغرفة ، وما لبثت الحيرة أن خيمت على عقل رمزي، فقد كانت المعلومات التي يسردها عصام مطابقة تمامًا مع كل ما أخبرته به سوسن منذ قليل.

مما جعله على يقين من أن ثمة أمر حدث بالفعل ، فما من مرة يبدأ فيها ذلك الناقوس بالحراك داخل رأسه ، إلا ليخبره بحادث غامض ، لذلك فقد قرر أن يولي تلك القضية مزيدًا من البحث والاهتمام.

ولكن من وجهة نظره كانت هناك حلقة مفقودة ضائعة من سلسلة تلك الأحداث ، شوشت على جميع الأفكار في رأسه ، وجعلته يتلون باللون الرمادي، كان عقله مضبب بسبب شيء مبهم ، فهو على الرغم من كل المعلومات التي زودوه بها سوسن وعصام ، إلا أن هناك حلقة لا تزال ضائعة !!

***

عاد رمزي إلى منزله في حدود الساعة التاسعة مساءًا ، بعد أن فوت موعد الغداء بينه وبين زوجته مها ، ولطالما كانت تلك المواعيد المتضاربة سببًا جوهريًّا في توتر العلاقات بينهما.

وبعد عشر سنوات من الزواج لم ينجح رمزي أبدًا في الانفصال عن جو العمل داخل المنزل ، مما حول الحياة بينهما إلى خليط من الضغوطات والمشاكل.

هو يعشق عمله هذا منذ أن كان طفلًا صغيرًا ، ولم يرغب في شيء آخر سوى أن يصبح ضابط شرطة .

فهو لم يزل يذكر هوايته منذ نعومة أظافره ، وهو يتابع بشغف صفحات الحوادث بشكل يومي ، وكذلك أفلام التجسس البوليسية ، والتي لم تلبث أن تحولت بالفعل إلى واقع بعد أن أصبح ضابطًا بالشرطة .

ورغم قصة الحب الطويلة التي جمعت بينه وبين مها ، إلا أن بعد زواج دام عشر سنوات – وطفلة جميلة – لم تنجح قط في التأقلم مع مواعيد زوجها الغريبة الطارئة .

وطبيعتها كأنثى لم تترك لها خيار آخر سوى أن تثق بنفسها وزوجها، ولكن رغما عنها كان يشتعل غضبها حقًّا إذا ما وعدها وأخلف، معتذرا بمكالمة هاتفية ,وقد اقترف هذا الذنب مجددًا.

وقد كان ذلك أحد الأسباب الرئيسية في تفاقم الخلافات بينهما في الفترة الأخيرة ، لاسيما بعد الترقية التي حصل عليها رمزي مؤخرًا، والتي كانت تعلم جيدًا أنها ستكون بمثابة وبال عليها ، فبعد أن كان يصل إلى المنزل في السادسة مساءًا، لن يدخله الآن قبل التاسعة مساءًا .

حتى في ذلك الصيف الحارق ، وقد اعتادت أن يقضي معهما بضعة أيام في الإسكندرية مثل كل عام ، أصبح لا يملك الوقت حتى كي يشاهد معهما التليفزيون .

لذلك فقد دخل رمزي إلى المنزل ذلك اليوم وهو يتوقع شجارًا عنيفًا ، ولكنه على العكس وجد الهدوء والسكينة يسيطران على المنزل بشكل لافت للنظر.

و قد أثار ذلك الريبة في نفسه ، فأخذ ينادي على زوجته (مها)، وابنته (يارا)، لم يجيبه أحد.

كما وجد رسالة مثبتة على المنضدة ، وقد كتبت فيها كلمات مقتضبة (رحلت مع يارا إلى منزل والدي حتى تتفرغ بشكل كامل لعملك الهام).

ألقى بالورقة أرضًا بعد أن اعتصرها داخل راحة يده ، وأمسك بسماعة الهاتف متحفزًا، ثم فكر قليلًا ؛ فأعادها إلى مكانها مرة أخرى.

وما إن دخل غرفة نومه حتى ارتمى على السرير، حاول أن يستسلم للنوم ، فجسده كان منهك القوى، لكن عقله أبى ذلك وظل يعمل بنشاط دون توقف ، خاصة وهو يفكر في تلك الحلقة الضائعة.

***

الأرق ...أسوأ شعور من الممكن أن ينتاب الإنسان ويتملكه ، خاصة إذا ما كان مرهقًا ، فالجسد ليس فقط هو من يحتاج للراحة ، بل العقل.

ولا يبالغ العلماء إذ أثبت العلم الحديث أن راحة العقل أهم بكثير من راحة الجسد ، لا سيما إذا كان عليك الاستيقاظ مبكرًا لإنجاز العديد من المهام.

ونجد أن العقل إذا ما أخذ الوقت الكافي من النوم ، فإنه يبعث بإشارات تلقائية إلى سائر أعضاء الجسد كي تبث بهم طاقة إيجابية هائلة وهي ما نطلق عليه نحن اسم (النشاط).

وعلى النقيض ، عندما يستيقظ شخصًا ما لم ينل القسط الكافي من النوم ، نجد علامات الإرهاق بادية وواضحة عليه كانتفاخ الوجه ، واعتلال الصحة ، وتعكر المزاج والثورة لأتفه الأسباب ، مما يبث به وبمن حوله كم هائل من الطاقة السلبية.

وهكذا فسر علماء (علم النفس) تلك الظواهر الغريبة في تغير مزاج البعض لمجرد أنهم فقط استيقظوا من النوم.

وعند التمعن في تلك الظاهرة نجد أن أكثر من يعانون من هذه المشكلة هم العلماء، المفكرين، السياسين والعسكريين.

وعندما دقت الساعة السادسة صباحًا في منزل العقيد /رمزي عاصم ، كان لم يزل مستيقظًا منذ الليلة الماضية ، على الرغم من محاولاته المتكررة كي يستسلم للنوم أكثر من مرة ، لكن الأخير رفض أن يدنو أو حتى يقترب من جفنيه ، عسى أن يجد في يقظته تلك الحلقة الضائعة.

وفجأة قفز من الفراش ، والتقط سماعة الهاتف ، وما إن سمع صوت مساعده الأول النقيب/ كريم حافظ حتى أمره بإعداد قائمة يحصر فيها جميع فيلات المعادي القديمة التي يتواجد بها خزانات من الطراز

القديم ، على أن يجدها على مكتبه بعد أربع ساعات فقط !! أي في العاشرة صباحًا .

وكم كان ذلك الطلب غريبًا جدًّا بالنسبة للمساعد ، والأغرب منه هو وقت المكالمة التي حدثت منذ قليل .

ولطالما كان رمزي يفخر دائمًا أمام أصدقائه بأن لديه ما يطلق عليه البعض (الحاسة السابعة) ، فقد كانت تنتابه أثناء نومه في شكل أحلام متعاقبة ، قد تمكنه فيما بعد من حل كل القضايا الهامة التي يتولاها ، لكنه لسبب ما كان يشعر أن تلك القضية ستكون لها نكهة خاصة بالنسبة إليه .

فإنها على الرغم من كونها قضية غامضة مفككة ، ويصعب العمل عليها ، إلا أنه قد تمكن من العثور على نقطة البداية ، عساها تكون بداية جيدة ، أو تكون هي الحلقة الضائعة !!

فقد تذكر أن سوسن ذكرت عرضًا أثناء سردها ، أن جابر لا يمكنه التعامل مع النظام الحديث للخزن ذات الدوائر الكهربائية ، إنما يفضل الخزن ذات الطراز القديم .

حاول من خلال حمامه اليومي أن يجدد نشاط عقله ، كما جدد نشاط جسده ، ولكن شيئًا ما وقف حائلًا بينه وبين تحقيق ذلك .

وما إن وضع نفسه في السيارة متوجهًا للعمل حتى تذكر زوجته مها وابنته يارا، وقد قرر سلفًا من الليلة الماضية بأنه سوف يعتذر من زوجته .

رغم قناعته التامة من أنه لم يصدر منه أي خطأ ، بل أن عقله لم يستطع أن يتذكر أنه اقترف أي ذنب يذكر، فهو من وجهة نظره لم يقصر في شيء، مما يجعلها تغضب بهذا الشكل ، أو حتى تترك المنزل , فقد اتصل بها هاتفيا !

وعلى الرغم من ذلك سوف يعتذر لها ، عملًا بنصائح علماء النفس حول تلك الإشكالية (إذا أخطأت في حق المرأة فاعتذر منها، وإذا لم تخطأ أيضا عليك ان تعتذر منها) .

فقط من أجل ذلك المبدأ كان عليه الاعتذار، فهو كان يحب دائمًا أن ينعم بحياة مليئة بالسلام – خاصة داخل المنزل – ولكن ذلك يختلف كل الاختلاف مع وجهة نظره كضابط للشرطة .

وشرد بعيدًا متذكرًا الأيام الأولى لهما معًا , فقد ذكرها جيدًا أن من مميزات زوجة رجل الشرطة أنها يجب أن تكون متكيفة دائمًا مع مواعيده ومتغيرات عمله التي قد تطرأ في أي وقت ، طالما أنها واثقة من أنه لا يتواجد إلا في المكان الذي من المفترض أن يكون فيه .

وعلى الرغم من أن تلك الزيجة كانت عن اقتناع تام ، حيث جمعت بينهما قصة حب قوية ، إلا أنه لعدة أسباب استطاع أن يتجاوزها بسهولة بعد مرور عقد من الزواج .

فقد كانت زوجته تتفهم كل ما يدور في عمله من مصاعب ، كل شيء ، إلا أن يجعل العمل الأولوية الأولى في حياته .

ومع مزيد من النجاحات في العمل ، تعددت الخلافات ، وقد جعلت مها من نفسها قاضيًا ومجني عليها في الوقت ذاته ، وتعود رمزي أن يعالج كل المشكلات ، بإعتذار واحد !

لكنها تركت المنزل ، متعللة بأنها تعرضت للظلم والقهر، وقد جرحت كرامتها وكبرياءها ، كما أنها لن ترضي في كل مرة بالإعتذار حلًا.

كان قد اقترب من قسم الشرطة ، حينما تراءت له كل تلك الذكريات ، فكم كانت مفعمة بالحب والحيوية ، عندما رأها أول مرة ، حتى أنها كانت تقدر مصاعب مهنته وظروفها أثناء فترة الخطوبة .

أما الآن , بعد عشر سنوات من الزواج ، وهو رجلًا مسؤولًا ، كان لابد من الوقوف معها على رأس المشكلة حتى لا تتكرر.

لذا فقد قرر الذهاب إليها ، وقد ألغى تمامًا فكرة الاعتذار، ولسان حاله يقول :

*لا وقت لدي للتدليل ، إنني لا أجد الوقت كي أتحدث مع طفلتي ، فكيف علي أن أدلل والدتها !!

نفض رمزي تلك الأفكار من رأسه ، وحاول أن يصفي ذهنه ويتمهل في اتخاذ القرار المناسب ، ريثما يجد مخرجًا لتلك القضية الغامضة التي تكتنف رأسه وتسيطر على كيانه .

لذلك فقد عكس اتجاه السيارة ، وقرر أن يؤجل تلك القضية العائلية إلى أن تنتهي ملابسات قضية جابر الخفيف ، خاصة وأن تواجده في الإدارة بدون قيود عائلية سيعجل بحل ذلك اللغز.

***

وصل رمزي إلى مكتبه في تمام الساعة التاسعة صباحًا ، ليجد مساعده الأول/ كريم حفظي يجلس بانتظاره ، وأمامه على المكتب عددًا كبيرًا من الملفات .

كان مساعداه الأول هو النقيب/ كريم حفظي ، والمساعد الثاني هو النقيب/ حسن عاطف ، وقد اعتمد عليهما بشكل كلي ، ودائمًا ما تباهى بهم (رمزي) لتميزهما بالذكاء والالتزام ، لذلك قلما تعامل معهما على أنهما أصغر منه سنًا أو رتبة .

كالعادة اتخذ جلسته خلف المكتب ، وطلب قهوته، وسأل كريم إذا ما كان سيتناول شيئًا ، ولكن الأخير ظل ينظر إليه كما لو كان يراه لأول مرة .

فهو يعرف رمزي تمام المعرفة ، فمنذ تخرجه لم يعمل مع أحد سواه تقريبًا ، أي ما يقارب الخمس سنوات أو يزيد...
ولم يذكر أن رآه في مثل ذلك المزاج الذي كان عليه هذا الصباح ، لذلك قال بعد تفكير عميق :

-لقد جمعت لسيادتك كل المعلومات التي طلبتها مني على الهاتف ، كما ترك لسيادتك عصام باشا هذا الملف .

نظر رمزي إلى الملفات أمامه ثم قال باهتمام :

فلنترك ملف عصام باشا جانبًا الآن ، وحدثني عما وجدت في معلوماتك التي جمعتها .

تنحنح كريم كما لو كان ينتظر ذلك السؤال ، وبدأ يقرأ في ثبات:

تم حصر جميع الفيلات التي لم تزل تمتلك ذلك النوع من الخزن في حي المعادي القديمة ، وعددهم ثلاث فيلات , وأصحاب تلك الفيلات هم..
(الأولى): فيلا المهندس (سمير صمويل) ، ويرجع تاريخ إنشاء هذه الفيلا إلى عام 1945، فقد كان من اشهر المهندسين المعماريين في ذلك الوقت ، جمع ثروة لا بأس بها وقد توفي عام 1960 حزنًا على وفاة زوجته (عزيزة إسكندر).
وترك خلفه ثلاث بنات هن (نرجس – سامية –فايزة) دخلت الأولى (نرجس) ديرًا للراهبات وانقطعت كل أخبارها عن أخواتها فيما بعد.

أما الثانية ، سامية .. تزوجت من طبيب مخ وأعصاب اسمه (فريد عزمي) وهاجرت معه إلى كندا عام 1975, ولم تعد إلى مصر منذ ذلك التاريخ.
أما الثالثة (فايزة) تزوجت عام 1980 من رجل الأعمال (يوسف مطر) وانجبت منه ابن وابنة.

وبعد وفاة فايزة ويوسف ، تزوجت الابنة (نيفين) من طبيب أسنان، ولا تزال تقطن نفس الفيلا مناصفة مع أخيها (هاني) الذي تخرج من كلية الهندسة ليدير أعمال والده الراحل، وقد تزوج بدوره من مهندسة تعمل معه في نفس الشركة .

أما عن وضع الخزانة فهي في بدروم الفيلا فارغة تمامًا اللهم إلا من مستندات قديمة وأثرية منذ أيام الجد (سمير صمويل) .

أما (الثانية) .. فهي فيلا التاجر (إلياس هواري) ، وهو مصري له أصول يهودية ، من أوائل الناس الذين تملكوا فيلات في تلك المنطقة، وقد تم بناء الفيلا عام 1942.

تزوج من (راشيل هواري) عام 1950، انجب منها ابن واحد ، هو (إيمار هواري) وقد هاجر الابن إلى الولايات المتحدة فى عام 1973، ولم يعد مطلقًا .

obeikandl.com

كان عمل الخواجة اليهودي تجارة التحف والأنتيكات الأصلية ، وأغلب زبائنه كانوا من أبناء الأسرة المالكة ، ورغم ذلك الثراء الذي تميز به ذلك التاجر إلا انه تميز ببخل لا حدود له .

فقد عاش في تلك الفيلا وحيدًا مع زوجته ، حتى ذلك اليوم في شهر مايو عام 1975، والذي استيقظ فيه حي المعادي بأكمله على حريق مروع هائل نشب – فقط - في غرفة نوم التاجر اليهودي وزوجته .

وعبثا حاول رجال الإطفاء التعامل معه ، أو إخماد النيران والسيطرة عليها ، أو حتى إنقاذ الخواجة وزوجته .

لكن هيهات , فقد أتت النيران على أجسادهم وأكلتهم بلا رحمة أو هوادة ، وظل حريق غرفة النوم وحدها لغز بلا حل في ذلك الوقت ، ولكن ما كتب في التقرير النهائي ، وما تأكد منه رجال الأمن في ذلك الوقت أن من أشعل الحريق ، لم يكن له هدف سوى قتل وحرق و تعذيب إلياس هواري .

ومع ذلك فإن هناك بعض الناس لا يزالون يرددون أنهم يسمعون بعض الأصوات تتكسر داخل الفيلا ، كما أن الأنوار بها قد تكون مضاءة ليلًا من آن لآخر .

ما تم ذكره في السجلات والأرشيف بعد ذلك ، أن الوفاة تمت نتيجة حريق غامض ، وأن الفيلا خالية من سكانها ومن الحياة .

فيما بعد تم تحديد موعد لعمل مزاد علني لبيع محتويات الفيلا الفخمة أكثر من مرة ، ولكن الغريب أنه دائمًا ما كان يحدث أمر ما من شأنه تأجيل الموعد أوتغييره حتى تم إخراج الفيلا من جدول المزادات نهائيًا .

وحتى الآن هي مغلقة بأمر قضائي ، وكل ما فيها لا يزال مجهول المصير بما فيهم الخزنة .

أما الفيلا (الأخيرة) فهي فيلا المستشار/ رفعت رستم ، أحد أشهر رجال القانون في الستينات، تزوج من السيدة (إقبال المراغي) عام 1960 وأنجب منها ابنا وحيدًا (نهاد) عام 1965.

برع الرجل ولمع نجمه في مجال عمله القانوني وتدرج في السلك القضائي حتى وصل إلى درجة رئيس محكمة النقض المصرية عام 1982، ثم توفي نتيجة أزمة قلبية في نفس العام .

كان له العديد من الصداقات في كافة الأوساط العلمية والأدبية والفنية ، وكان يطلقون عليه (أبقراط القانون).

وبعد وفاته واصلت أرملته (إقبال) حياتها بشكل طبيعي جدًّا في منزلها الذي كان أشبه بالقصر الصامت ، وعاشت مع ولدها في عزلة تامة عن من حولها سواء من الجيران أو الحي بأكمله .

نهاد تخرج من كلية الطب وهو متخصص في طب (العيون) ، ولديه نظام غريب في إدارة عيادته ، ولعلك لن تتفاجأ عندما تعلم أنها تقع

أيضا داخل ذلك القصر المنيف ، ويتواجد بها ثلاث أيام من الأسبوع (السبت – الاثنين – الأربعاء) من الواحدة ظهرًا وحتى الخامسة مساءًا فقط !!

لا أحد يعلم كيف يديرون شؤونهم ، ولكن ما استطعت التوصل إليه هو أن ذلك الطبيب تزوج مرة عام 1995 ثم توفيت زوجته ، وهو متزوج الآن مرة أخرى من سيدة أجنبيه ولم أستطع التوصل بعد إلى جنسيتها .

كما أن هناك سيدة تدعى (سعاد) تأتي إلى المنزل يوميًّا بلا انقطاع من التاسعة صباحًا وحتى الخامسة مساءًا لترتيب وتنظيف المنزل .

صمت كريم قليلًا ، ثم تنحنح وقال :

-سيدي هذا كل ما استطعت التوصل إليه في هذا الوقت الضيق ، ولكني أعدك بأنني سوف أكمل تحرياتي بمعلومات مفصلة فيما بعد ، فقط أمهلني 24 ساعة .

رفع رمزي نظره أخيرًا عن الأوراق التي على المكتب، ثم قال في جدية واضحة :

-لا ... لا أريد مزيد من التحريات ، لقد تم حصر ثلاث فيلات فقط تتواجد بهم تلك النوعية القديمة من الخزنات ، الأولى يعيش فيها اصحابها منذ قديم الأزل ، وقد تم وضع الخزنة فارغة في بدروم الفيلا ؛ إذن فهي احتمال مستبعد .

أما الثانية فهي لغز كبير حيث الخزانة لا تزال في مكانها ، وربما يكون جابر يزور تلك الفيلا بشكل يومي ، مما يفسر الأصوات والأضواء التي شهد بها الجيران في الحي .

أما الثالثة تنحصر بها بعض الشكوك أيضًا ، حيث أن الجميع شهد بأن ذلك اللص شخص جبان ، ولا يعمل إلا في المناطق المأهولة بالسكان .

إذن فمن المحتمل أن تكون ضمن القائمة ، أو ربما هي فعلًا الفيلًا المنشودة !

ساد الصمت طويلًا على المكتب ، وخشى كريم أن يتحدث فيقطع بذلك حبل أفكار رمزي الذي استغرق في تفكير عميق ، قبل أن يحسم أمره ويقول في لهجة آمرة :

-أرسل في استدعاء حسن عاطف ، لأننا سنقوم بزيارة ميدانية لكلا الفيلتين ، فيلا إلياس هواري ، وفيلا رفعت رستم بعد حوالي ساعة من الآن .

تنحنح كريم قليلًا قبل أن يقول :

و ما الذي يمنع أن نزورها الآن ؟

ابتسم رمزي في شيء من الضيق قبل أن يقول :

لأني الآن سأستقبل الرائد/ عصام لنتحدث معًا عن الملف الذي أعده عن جابر الخفيف ، ثم سأله في سخرية :

هل لديك أسئلة أخرى يا سيادة النقيب ؟

شعر كريم بحرج لا حدود له ، فقال بخجل :

أنا لا أقصد التطفل يا افندم ، فقط كنت أسأل إذا ما كنت ترغب في أي شيءآخر أنفذه على الفور.

ابتسم رمزي هذه المرة بصدق، وقال بهدوء:

و أنا أعلم ذلك ، فقط كن أنت وحسن جاهزين للانطلاق في أي وقت .

خرج كريم مسرعًا من المكتب ، فرفع رمزي سماعة الهاتف وطلب مكتب صديقه/ عصام نصحي ، والذي كان من الواضح أنه ينتظر تلك المكالمة فأتى على الفور.

جلس أمام رمزي، ووجده يمسك بالملف ، فسأل في اهتمام..

هل قرأت الملف الذي أعددته لك؟

هز رمزي رأسه نفيًا وهو يقول بسخرية :

أنت تعلم جيدًا أني لا أقرأ ملفات، وكل من عمل معي يعلم ذلك جيدًا ، فقط أخبرني بأهم ما في الملف دون أي مزايدات .

رفع عصام حاجبيه في دهشة واستنكار، ثم ضحك ولسان حاله يقول:

لا يمكنني تخيل أنه على إعداد الملف، وأيضًا شرح فحواه!!

وفي الأخير لم يجد أمامه بدًّا من التسليم للأمر الواقع ، فقال في جدية بعد أن أخذ نفسًا عميقًا:

إذن سألخص لك بإيجاز أهم النقاط التي وردت في ذلك الملف ، جابر الخفيف هو أفضل لص خزائن في مصر، ولكن عقله دائمًا ما يجني عليه .

إذ دائمًا ما تكون هناك نقطة غائبة عنه تكون هي نقطة التحول في العملية كلها ، لا يطلع أحد أبدًا على تفاصيل المكان الذي يقرر السطو عليه ، حتى زوجته رغم حبه الكبير لها.

وكما أخبرتك من قبل ، فهو يتميز بشيء مهم جدًّا ، أنه من الممكن أن يتحرك حولك في نفس المكان دون أن تشعر حتى بوجوده ، حتى كلاب الحراسة لا يحتاج أن يخدرها أو يتخلص منها، لأنها وببساطة لن تشعر به أصلًا.

وذلك اللص البائس يتمنى منذ أمد بعيد سرقة واحدة يستطيع على أثرها أن يعيش حياة مترفة في رفاهية ، بالطبع مع زوجته دون الحاجة إلى السرقة أو السجن أو الازدراء من المجتمع .

ولكن في كل مرة يكون حظه أسوأ من المرة التي سبقتها ، ولا ينفك يغادر محبسه كي يعاود الكرة بلا سأم أو ملل ، ويبدأ البحث عن مكان جديد يسطو عليه من جديد .

حتى أنه في أحد التحقيقات ذكر أنه لا يستبعد ان يفارق الحياة ، خلال سعيه المقدس خلف تحقيق حلمه الزائف بالسطو على مكان ما ، أو محاولة فتح أحد الخزنات .

كما أنه لا يمكنه التعامل مع تلك الخزنات الرقمية الحديثة ، ولا يعاقر الخمر أو المخدرات مطلقًا لأنه بحاجة إلى يديه في حالة ثابتة قوية وأذن حساسة .

لا سيما أنه تفاجأه عندما يتوتر أحيانًا نوبات من الاهتزاز المتكرر كونه مريض بمرض (الباركنسون).

زفر عصام بعد أن انتهى من السرد ثم قال بهدوء :

هذا كل ما لدي في ذلك الملف ، أو بالأحرى أهم ما يوجد بالملف ، ولا أعلم إذا ما كانت لديك أي بيانات أو معلومات عن سرقة قام بها مؤخرًا ، ولا علم لنا بها في الإدارة!!

هز رمزي رأسه نفيًا وهو يقول بجدية :

بل على العكس ، فهو في موقف لا يحسد عليه ، فذلك اللص التعس كما أطلقت عليه اقتحم فيلا كي يسطو على الخزنة الموجودة بها ، إلا أنه تفاجأ بوجود جثة مقتولة في المكان .

وما لبث أن فر هاربًا ، تاركًا كل شيء وراءه معتقدًا أننا سوف نطارده أو أننا سنلقي القبض عليه .

ضحك عصام في سخرية وهو يقول:

لا أستبعد هذا عليه ، فهو بالفعل أكثر أهل الأرض بؤسًا ونحسًا !!

ثم استطرد بجدية :

و لكني أستطيع أن أجزم لك أنه بريء تمامًا من تلك الجريمة ، فهو لا يمكنه أن يذبح حتى ولو دجاجة ، وذلك لأنه يرتعد خوفًا من مجرد رؤية منظر الدماء، ولا يتعامل بعنف مطلقًا خاصة مع جسده الضئيل النحيف.

اومأ رمزي برأسه موافقًا ، وهو يقول :

إنني مقتنع تمام الاقتناع بما تقول ، خاصة وأنك أخبرتني بهذا من قبل أوتذكر !! كما أن كلامك يتطابق مع ما أدلت به زوجته من قبل ...

ثم أكمل في شرود :

كنت أطمع في معلومات جديدة ، قد تكون متواجدة لديكم في الإدارة .

اندهش عصام من ذلك التصريح الأخير، فقال في تساؤل :

أوتعرف سوسن مصيلحي ؟

فطن رمزي أنه لم يخبره أبدًا بزيارة سوسن، فقال في اختصار:

لقد كنت أنا من ألقيت القبض عليها في تلك السابقة الوحيدة الموجودة في ملفها ، ولم تستطع هي تجاوز تلك الذكريات ؛ لذلك فقد لجأت إلي حتى أعثر على ذلك المنحوس ، وحل لغز القتيلة التي لم يبلغ أحد عن مقتلها حتى الآن.

انتبه عصام جيدًا لما يقول ، ثم سأل في اهتمام :

ومتى شاهدته آخر مرة ؟

أجاب رمزي في آلية :

آخر مرة رأته فيها كانت ليلة الثلاثاء الماضي ، خرج في التاسعة مساءًا ولم يعد منذ ذلك الحين ...

فكر عصام طويلًا قليلًا ثم قال في تمهل :

واليوم الأحد ، أي أنه مر على تغيبه أربعة أيام حتى الآن ، أولم يبلغ أحد عن جريمة قتل في أي مكان خلال هذه المدة ؟

نفي رمزي ذلك دون أن يحرك شفتيه ، فعاد عصام للسؤال :

و ما الخيوط التي لديك حتى تتابع تلك القضية الغريبة ؟

ابتسم رمزي ثم قال في دهاء ، عندما شعر أنه يريد أن يستدرجه ...

لا تقلق من هذا الجانب ، لأني بالفعل لدي أكثر من خيط وأتعشم أن يكون أحدهم هو الخيط المنشود ، أما اذا كنت تود أن تتابع سير القضية عن كثب فيمكنك في هذه الحالة أن تأتي معي لزيارة ميدانية قصيرة !!

فهم عصام الرسالة ، فهز رأسه معاتبًا ...

أنا على استعداد أن آتي معك إلى أي مكان ، ولا تنسى أننا لسنا مجرد أصدقاء ، كما أنها في الأصل قضية سطو ، لولا جريمة القتل التي تزعمها زوجته .

نظر له رمزي بمزيد من الخبث، ثم قال بهدوء :

إنها لا تزعم ، هو من أخبرها بذلك قبل أن يفر هاربًا إلى مكان ما لا يمكننا التكهن به ، وقد قررت أن أولي هذه القضية اهتمامي الخاص دون أن أسندها لأحد ، لذلك لطفًا ورجاءًا لا تعتبر الموضوع أمر شخصي ، أنت تعلم جيدًا قدرك ومنزلتك عندى .

نهض عصام من مقعده وهو يقول بإحترام :

بعد ما قلت لا يمكنني أن أتفوه ولو بكلمة ، فقط امنحني بضع دقائق ونتقابل بعدها عند السيارة عسى أن يحالفنا مزيدًا من الحظ في حل ذلك اللغز الغامض .

غادر عصام المكتب في هدوء ، وكذلك رمزي نهض من خلف مكتبه ليرتدي سترته ويأمر العسكري بتحضير السيارة .

***

حادي... بادي

بدأت رحلة البحث عن الحقيقة عندما غادر السيد رئيس مباحث المعادي/ رمزي عاصم ، وصديقه الرائد/ عصام نصحي... القسم لمعاينة الأماكن التي تم حصرها في التقرير .

وكانت الفيلا الأقرب هي فيلا (إلياس هواري) تاجر التحف اليهودي .

وصل الضابطين إلى الفيلا المنشودة ليجدوا أمامهم تحفة معمارية صريحة ، بالفعل تليق بتاجر تحف ثمينة مثل إلياس هواري ، لكن ما لفت انتباه رمزي هو عدد الأصفاد التي وضعت على باب الفيلا الحديدي .

مرت سنوات عدة منذ وقوع ذلك الحريق ، نمت الكثير من الأشجار في الحديقة حتى عزلت المبنى عن الجدران ، كما كانت هناك الكثير من

obeikandl.com

الحشرات التي استعمرت المكان ، والأتربة متراكمة على كافة نوافذ الفيلا ، مما جعل الرؤية من خلالها معدومة تقريبًا .

وقد لاحظ رمزي أن عدد كبير من النوافذ قد تحطم ، ومن مكانه استطاع أن يرى بالطابق الثاني نافذتين كبيرتين وقد كساهما السواد تمامًا ، فتأكد أنها نوافذ غرفة النوم التي التهمها الحريق الهائل الذي ذكره كريم في تقريره هذا الصباح.

لاحظ رمزي ذلك الهدوء المسيطر والغالب على معظم أحياء المعادي، يسود المكان ويمنحه طابعًا مهيبًا .

ولم يجد مانع من إلقاء بعض الأسئلة على أصحاب المحلات ، على أساس أنهم متواجدين بالشارع طوال اليوم على عكس قاطني المنازل والبنايات المقابلة.

ولكن جميع الإجابات تمحورت حول الرعب الذي يكتنف المكان ليلًا ونهارًا، فتلك الفيلا كانت تمثل مصدر للرعب والفزع لكل قاطني الحي ، كما أجمعوا على أنهم أبدًا ما سبق أن شاهدوا أحدًا يحوم حولها سواء نهارًا أو ليلًا.

لذلك فقد استبعد رمزي فيلا إلياس هواري مؤقتًا ، وقرر أن يذهب مع عصام لزيارة فيلا المستشار/ رفعت رستم ، والتي كانت تقع على الجانب الآخر الأكثر هدوءًا ، وبالقرب من نهر النيل الرائع .

كان ذلك هو الخيط الأخير من الخيوط التي اهتدى إليها رمزي، لذلك فقد دعا الله بينه وبين نفسه ألا يخيبه ظنه .

كانت الساعة تقارب الثانية بعد الظهر ، عندما وصلوا إلى المنطقة التي تتواجد بها الفيلا ، كانت هي الأخرى بناء ضخم ، وصرح عملاق ، لكن خالي من الملامح الفنية في معمارها .

وعلى الجانب المقابل لها كان هناك مطعم صغير مميز، قرر رمزي أن يدخل هو وعصام كي يتناولوا فيه وجبة خفيفة ، لكنه في الأساس كان يريد أن يجمع بعض المعلومات عن الأشخاص الذين يعيشون في الجانب الآخر من الطريق بشكل أو بآخر.

تناول كلًا منهما طعامه بسرعة ، وظلا يتناقشا حول تاريخ المنطقة حتى بدأ الجارسون برفع الأطباق من فوق المائدة .

طلب رمزي قدحين من القهوة ، ثم سأل مباشرة عن مدير المحل ..

وما إن جاء إليه ، حتى طلب منه الجلوس وقد عرف عن نفسه , جلس الرجل وقد بدى مرتعبًا بعض الشيء من تلك الزيارة المريبة.

ولم يكن رمزي من هواة المناورة أو اللعب بالألفاظ ، فقد طمأن الرجل سريعًا ، وأخبره عن الهدف من استدعاؤه ؛ وذلك إيمانًا منه بالمقولة الشهيرة (أقرب طريق إلى الهدف ... هو الطريق المستقيم) .

وسأله رمزي مباشرة عما إذا كان يعلم أي شيء عن الطبيب الذي يسكن تلك الفيلا المقابلة ؟

ولم يكد رمزي ينتهي من ذلك السؤال ، حتى تنفس الرجل الصعداء ، فقد كان يرتجف خوفًا من أن تكون هذه الزيارة لها أي علاقة به أو بالمحل .

الآن وقد اطمئن بعض الشيء ، عادت اساريره تنفرج شيئا فشيئا ، وهو يقول بأريحية شديدة..

انا لست فقط صاحب ذلك المكان ، ولكني أيضًا صديق لكل الزبائن التي تتردد على المحل ، خاصة وأنهم من سكان المعادي منذ زمن ، لكني لم أجد أشخاص غامضين وانطوائين مثل هؤلاء الناس .

أنا لا أعلم الكثير عنهم ، فهو طبيب عيون ويبدو أنه يغالي في ثمن الكشف نوعًا ما ؛ إذ لا يتوافد العديد من المرضى على عيادته .

سأله رمزي في سرعة :

هل تعلم شكله جيدًا؟

رد الرجل مزهوًا :

نعم يا سيدي ، بالطبع أعلم شكله ، بل وأحفظ ملامحه عن ظهر قلب ، فهو يتفوق علي وعليك ضخامة وطولًا ، ومن المحتمل أن يكون في اواخر الأربيعنات أو بداية الخمسينات.

شعره رمادي اللون مجعد بعض الشيء كثيف ، حاد الملامح يكاد يكون عديم الكلام ، ومن يراه لأول وهلة لا يمكن أن يتصور أنه طبيب ، كما أنه أحد الزبائن الدائمين بالمحل .

اندهش عصام من تلك الاجابة ، فسأل الرجل في صرامة..

ألم تقل منذ قليل أنهم انطوائيون؟

هز الرجل رأسه بثقة وهو يؤكد..

نعم يا سيدي ، ولكنه تعود على أن يعرج على المحل يوميًّا ليأخذ كأسًا متوسطًا من النبيذ ثم يبدأ في تدخين سيجار واحد خلسة !

لوى رمزي شفته السفلى وهو يكرر خلف الرجل بتؤدة ...

خلسة ! ولماذا تظن أنه يشربها خلسة ، وأي نوع من النبيذ يفضل ؟

ضحك الرجل و كأنه كان ينتظر ذلك السؤال ، وردد في زهو:

أنه يفضل النبيذ الأبيض ، وخلسة؛ لأنه يضع وجهه دائمًا في جريدة ما يحضرها معه ، كي يخفي بها ملامح وجهه بالكامل ، حتى أنني أكاد أقسم أنها نفس الجريدة كل يوم .

وما إن يغادر المكان حتى يشرع بوضع شيء ما في فمه ، كي يغير من رائحة السيجار النفاذة .

قال جملته الأخيرة وهو يشير إلى رأسه بإصبعه السبابة علامة الفهم .

obeikandl.com

ابتسم كل من عصام ورمزي للطريقة التي يتحدث بها الرجل ، وحاول رمزي أن يركز تفكيره على السلوك الغريب الذي ينتهجه ذلك الطبيب.

لذلك فقد سأل الرجل وكأنه يحثه على الاستطراد ، وماذا أيضًا يمكنك إضافته خلاف ذلك ؟

شعر صاحب المحل بمزيد من الفخر لأنه يزود رئيس المباحث بمعلومات عدة ، كما أنه لجأ إليه مباشرة ، وجعل منه مصدرًا موثوقًا به للمعلومات .

كان ذلك دافعًا قويًّا للرجل كي يتشجع ويقترب بمقعده منه ، ومال عليه برأسه كما لو كان سيدلي بسر خطير ثم ، قال مستطردًا :

أنه يعيش في ذلك السجن الانفرادي مع والدته ، وهي امرأة عجوز شمطاء دائمة التسلط والتعالي على الناس ، ولا ترد لهم تحية أو كلامًا ، كما أنها سريعة الغضب ومن السهل استفزازها.

و هنا توقف بناءًا على إشارة من رمزي الذي قاطعه قائلًا:

أليست له زوجة ؟

رد الرجل مبتسمًا:

أظن أن له زوجة ، لها ملامح أجنبية وقد رأيتها تخرج معه من باب الفيلا بضع مرات ، وهي تناسبه تمامًا حيث أن لها نفس الضخامة من حيث البنية الجسدية.

مط رمزي شفتيه ، وهو يسأل باهتمام :

ألم تتبادل معه الحديث مطلقًا ؟

هز الرجل رأسه نفيًا وقال في حسم :

أكثر من كلمة (كأس متوسط من النبيذ من فضلك) لا يتحدث ، فهو دائمًا ما يترك الحساب على الطاولة ويذهب في اتجاه منزله ، كما أنه لا يترك سوى ثمن النبيذ فقط ، دون زيادة أو نقصان ، ولا يمنح العامل بقشيشًا أبدًا.

عقد رمزي حاجبيه ، وسأل مستنكرًا:

هل تقصد أنه بخيل ؟

ضحك الرجل واهتزت أوداجه من فرط الضحك وهو يردد :

أنا لا أقصد يا سيدي، إنني أؤكد ؛ لأن زبون المرة الواحدة الذي لا يترك لنا بقشيشًا ، من الجائز أن طعامنا لم يعجبه أو أن خدمتنا لم تنل رضاؤه بشكل أو بآخر.

لكن عندما يكون هذا الزبون دائم فإن الوضع يختلف؛ وذلك لأننا وبالتأكيد نكون قد أصبحنا نعرفه ونعرف أنه لديه القدرة على دفع المزيد ، مما يجعلني أجزم بأنه بالفعل بخيل .

obeikandl.com

خاصة وأنه عندما يخرج للتنزه أو التريض لا يخرج إلا على قدميه ، وعندما يركب سيارته العتيقة لا يتغيب بها أكثر من ساعتين أو ثلاثة .

و هنا استوقفه رمزي مرة أخرى، وهو يسأل بدهشة :

لا يخرج من منزله إلا للتريض !! إذن فإن للرجل عادات ثابتة يمارسها كل يوم !

قال الرجل وكأن صبره ينفذ :

يا سيدي أنا هنا منذ ما يقارب عشرون عامًا ، وأي إنسان في الدنيا من الطبيعي أن تكون له عادات ثابتة ، وهذا الرجل يخرج كل صباح في ملابسه الرياضية في تمام الساعة التاسعة صباحًا..

ويعود في تمام الحادية عشر بالضبط حتى أنه بإمكانك أن تضبط عليه ساعتك!!

يختفي عن الأنظار طوال اليوم ، ولا يظهر حتى من خلال النوافذ ، فهي دائمًا مغلقة وفي تمام السادسة يدخل من ذلك الباب.

قالها وأشار نحو باب المحل الذي يجلسون فيه ببلاهة ، ثم استطرد قائلًا:

يأخذ كأس النبيذ خاصته ، والتي سبق أن أخبرتك عنها ويغادر في تمام السابعة عائدًا إلى منزله ، أحيانًا يخرج في جولات ليلية بسيارته من

الساعة التاسعة مساءًا وحتى الحادية عشر بالظبط ، وأحيانًا أخرى لا!!

هز رمزي رأسه وكأنه فهم ما يرمي إليه الرجل، ثم قال وهو يهم بالنهوض :

ومتى رأيته آخر مرة سواء على قدميه أو في جولاته بالسيارة ؟

ابتسم الرجل في وقار وهو يقول :

لقد خرج اليوم في جولته الرياضية المعتادة على قدميه ، واختفى بعد ذلك داخل ذلك الحصن .

أما بخصوص السيارة فإنني أظن أنه خرج بها ليلة الأحد الماضي ، في التاسعة مساءًا وعاد في تمام الحادية عشر .

سأل رمزي الرجل وهو يرتدي سترته في اهتمام :

هل لاحظت عليه أو على المكان أي شيء غريب أو غير اعتيادي ليلة الثلاثاء الماضي تحديدًا ؟

مط الرجل شفتيه وهو يؤكد:

لا يا سيدي مطلقًا ، ولكن دعني أحيطك علمًا بأننا لا نستقبل زبائن بعد الحادية عشر والنصف ، كما أننا نغلق أبوابنا في تمام منتصف الليل .

لذلك فأنا لا أستطيع أن أشهد بما لم أرى، ولكن ما يمكنني أن أجزم به ، هو أنه لا يغادر منزله أبدًا بعد الحادية عشر مساءًا.

كما أنه يستأجر أحد المحال التجارية بتلك البناية خلف منزله حتى يستخدمها كجاراج لسيارته العتيقة .

ثم أضاف بطريقة تحليلية واثقة :

ومن وجهة نظري المتواضعة ، هو رجل من السهل التكهن بالخطوات التي يقوم بها ، نظرًا لانضباطه في القيام بتلك العادات اليومية الثابتة ، ولكن هل لي أن أسأل سيادتك سؤالًا ؟

قال رمزي وقد سيطر الضحك على وجهه :

تفضل..

فسأل الرجل في اهتمام :

هل من الممكن أن أعلم السر وراء كل هذه الأسئلة عن ذلك الطبيب؟ هل ارتكب أي شيء مخالف للقانون؟

ابتسم رمزي بدهاء ، وهو يترك للرجل بقشيشًا جيدًا ويتجه نحو الباب مع عصام قائلًا بخبث :

obeikandi.com

فقط نحن نجمع بعض المعلومات عن أقدم سكان المعادي!! ولكني أشكرك بشدة ، فقد ساعدتنا على إنجاز جزء كبير وهام من ذلك البحث .

قالها، وغادر المكان، ورأسه يزدحم بمئات الأفكار عن ذلك الطبيب المريب وعاداته اليومية الثابتة.

***

العلم ببواطن الأمور، أو فن الفراسة ليس غريبًا على شخص تعود على الاستنتاج والاعتماد على العقل في كل أفكاره التي يكونها خلال تعامله اليومي مع الآخرين ، ليس من السهل أن تكون لديك الدقة الكافية للجزم أن هناك شيئًا ما غير طبيعي .

يخيل للبعض أن هذه الملكة سهلة وتعتمد فقط على الإحساس ، ولكنها على العكس تمامًا تكون ناتجة عن علم ودراسة جادة أيضًا في بعض الأحيان .

و لماذا نذهب بعيدًا؟

كم من جرائم ارتكبت في حق البشرية واستطاع المذنبون فيها الإفلات من العقاب بسبب الإنكار المستمر، ولكن كونهم فروا من قبضة العدالة أبدًا لم يكن بذلك الإنكار المستمر على طول الخط ، أو بسبب براعة من يترافع عنهم !!

ولكنه كان بسبب التعامل الروتيني أو البيروقراطي بين الضابط المسؤول عن التحقيق والقضية التي كانت بين يديه !

وذلك لأن هناك من يتعامل مع القضية التي بين يديه وكأنها اجتماع ممل ، بينه وبين رؤساءه في العمل ، ويود لو ينتهي منه بفارغ الصبر .

وعلى العكس تمامًا هناك من يتعامل مع قضاياه بمزاجية عالية ، بعشق واشتياق، وأفكار تجمح وكأنها في مضمار تتسابق مع أقرانها ، تمامًا كما لو كان يتعامل مع عشيقته .

ذلك النوع من الضباط نجدهم ينتهون لأدق التفاصيل البسيطة التي من الممكن أن لا يراها الآخرون ، كما أن براءة المتهم غالبًا ما تكون عين المستحيل الذي يصعب البحث عنه ، خاصة إذا ما بدأ ناقوس الشك بالوخز في رؤسهم .

كان رمزي من ذلك النوع من الضباط ، ما إن خرج من المحل حتى بدأ ذلك الناقوس بالطرق من جديد داخل رأسه ، تناول علبة السجائر من جيب سترته ، ثم سحب واحدة وبدأ بالنقر بها على العلبة في ايقاع روتيني متكرر .

تناول هاتفه ، وقد بدأ يعطي تعليماته بحزم ودقة إلى كل من كريم وحسن، طلب من الأول جمع المزيد من المعلومات سواء من السجلات أو من الجيران عن ذلك الطبيب وتلك الفيلا الغامضة .

كما طلب من الآخر فرض رقابة صارمة على المكان ، وإعداد تقرير مفصل به كل ما تم رصده خلال اليوم .

فقد بدأ يشعر بالفعل أن المكان الذي وقعت فيه الجريمة ، هو فيلا المستشار رفعت رستم ، ولا يعلم من أين أتى بهذا الاستنتاج ، هل هو من خلال ذكائه أم أخبره به شيطانه ؟!

ثم التفت إلى عصام ، الذي استغرق في النظر إليه بفضول ، ثم سأله:

هل تيقنت بالفعل أن تلك هي الفيلا المنشودة ؟

رفع رمزي كتفه متسائلًا:

ما رأيك أنت فيما قاله مدير المطعم ؟

وقبل أن يجيب عصام ، لفت انتباه رمزي من بعيد وبجوار سور الفيلا على الجانب الآخر، امرأة تشير إليه بيدها ...

كانت سوسن تستند بظهرها على سور أحد البنايات في حالة أشبه بالخمول ، ترتدي نفس ملابس الأمس، وتمسك بجريدة قديمة فوق رأسها كي تقيها حرارة الشمس التي تعامدت على الأرض .

كان باستطاعة رمزي أن يميز جسدها الضئيل من بين مئات النساء ، كما أن لديه عين حادة وذاكرة فولاذية ، فهو لا ينسى وجها رآه أو تعامل معه قط .

لم يستطع أن يفسر لماذا شعر بالضيق عند رؤيتها ؟ لكنه أشار إليها بيده، وعلى الفور قطعت الطريق وعبرته مسرعة ، وباغتته بالسؤال ...

هل تفاجأت عند رؤيتي ؟

صمت رمزي صمتًا طويلًا ، لم يجب أو يعقب ، ولم يرفع عينيه عنها ، ثم التفت نحو عصام قائلًا في لهجة روتينية :

اسمح لي أن أعرفك على مصدر إزعاجي منذ الأمس ، سوسن مصيلحي ، زوجة جابر الخفيف .

ابتسم عصام وهو يقول :

ابنة مصيلحي سلوم ، أحد أخطر المسجلين لدينا في الثمانينات ، بالطبع أعرفها جيدًا كما أن لديها سابقة بالسجن لمدة عام ، أليس كذلك؟

و هنا التفت رمزي نحوها قائلًا في جمود ...

ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ هل تراقيبني؟

تجاهلت سوسن وجود عصام تمامًا ، وتوجهت بالحديث نحو رمزي ، وقد ارتسمت على وجهها تعبيرات مغايرة تمامًا عما رآه عليها بالأمس ، فقد قالت مبتسمة :

obeikandl.com

وصولك إلى هنا يعني أنك توصلت إلى العنوان الصحيح من خلال المعلومات القليلة التي زودتك بها بالأمس ! والتي من المؤكد أنك تأكدت من صحتها ...

ولا أستبعد أن تكون زدت عليها من مصادر أخرى، وصولك إلى هنا يعني أن اختياري كان صحيحًا ، فأنت بالفعل تمتلك تلك العقلية الجبارة التي طالما توقعتها فيك .

لم يرفع رمزي نظره ولو لحظة واحدة عن وجه سوسن ، خلال حديثها ، ومن ثم أجاب ببرود :

لم تجيبي على سؤالي بعد ، ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

طرقت سوسن برأسها وهي تقول في خجل :

في البداية , أعتذر لم أكن أقصد أن أتتبعك ، لأنني ما إن غادرت مكتبك بالأمس ، وعدت إلى تلك الغرفة الحقيرة حتى قررت أن أفتش في كل ركن من الممكن أن يدس فيه جابر شيئًا هامًا ، إذ ربما يكون به دليل ما يفيدك في القضية .

خاصة وإن لديه العديد من الأوراق المبعثرة ، وقد وجدت قائمة قصيرة مخبأة بحرص داخل أحد شقوق الحائط المهترئ ، ذكر فيها جابر بعض الأماكن ، وقد منح الأغلبية العظمى اللون الأحمر، وقليل منهم باللون الأزرق .

ولم يكن من العسير أن استنتج أن اللون الأحمر يعني الأماكن المستبعدة ، واللون الأزرق يدل على الأماكن المحتمل أن يقوم بالسطو عليها .

ولما كانت كل العناوين في أماكن بعيدة بعض الشيء عن المعادي، لم يعد أمامي في القائمة سوى هذه الفيلا .

ذهبت باكرًا كي أتمكن من مقابلتك ، وإبلاغك ما لدي من مستجدات ومعلومات ، لكني وجدتك تغادر مسرعًا مع سيادته.

وأشارت بيدها نحو عصام في طريقة آلية ، ثم استطردت ...

لذلك قررت أن أتبعك دون أن تعلم ، ولكني وجدتك تتوجه إلى نفس المكان الذي كنت بصدد أخبارك عنه .

انتبه رمزي عندما سمعها تتحدث عن قائمة ما سبق أن أعدها جابر، لذلك قاطعها متسائلًا:

تتحدثين عن قائمة ...

هل من الممكن أن أراها يا سوسن ؟

طرقت برأسها أرضا ، ثم عاودت الإبتسام مرة أخرى ...

لا، لقد أحرقتها، وحتى لو كانت معي فمن المستحيل أن أسلمك بيدي دليل ضده ، فأنا لجأت اليك كي ابرئ ساحته امام القانون ، وإلقاء القبض على القاتل الحقيقي ، وليس من أجل إلقاء القبض عليه !

عقد رمزي يديه أمام صدره ، وكادت تفلت منه ضحكة ساخرة ، وهو يسألها بخبث :

وماذا وجدت أيضا بخلاف تلك القائمة ؟

دهشت سوسن من ذلك السؤال المفاجئ ، ثم قالت في ذهول :

و ما الذي أوحى لك أني وجدت شيئًا آخر سوى القائمة ؟

هنا انفلتت بالفعل ضحكة عالية من بين شفتي رمزي، وقال كأنه استنتج أمرًا بديهيًّا :

الأمر لا يدعو إلى الذهول ، من الواضح أنك وجدت مبلغًا من المال ، وإلا ما كنت استطعت أن تستقلى تاكسي وتلحقي بي .

طرقت سوسن رأسها ، ثم قالت في شيء من الخجل :

من الواضح أني بالفعل لم أوفيك حقك ، لقد وجدت بالفعل مبلغًا من المال مع تلك القائمة ، ثم عادت تسأل بحذر:

ولكن كيف استطعت أن تتوصل إلى أن هذه هي الفيلا المنشودة خلال هذه المدة القصيرة ؟

لقد أخبرتك بتلك القصة بالأمس فقط ، واليوم أراك تفي وتبر بوعدك لي ، وتهتم بالقضية بنفسك فعلًا كما وعدتني .

هز رمزي رأسه علامة الإيجاب ، ثم قال في هدوء :

وعدي لكِ شيء، ولكن اهتمامي بالقضية بدافع وقوع جريمة قتل، ووجود قاتل طليق ، يجب أن يمثل أمام العدالة هذا شيءآخر .

فقط أريدك أن تبتعدي تمامًا عن هذه القضية ، وتتركِ لي المساحة الكافية للتصرف والتعامل معها .

وإذا ما ظهرت أمامك أي مستجدات جديدة مثل اليوم ، ليس عليك أن تتبعيني متنكرة داخل تاكسي أجرة، فقط تأتي إلى المكتب في أي وقت ...

وإن لم أكن متواجد به ، من الممكن أن تتركِ لي رسالة بالمضمون ، وتأكدي من أنها سوف تصل .

هزت سوسن رأسها علامة الفهم ، ثم قالت بلؤم :

هل من الممكن أن أسألك إذا ما كنت ستدخل الفيلا أم لا ؟

نظر لها رمزي نظرة ثاقبة ثم قال بثبات:

دخول الفيلا ليس مشكلة في حد ذاته ، الأهم هو أن تكون لدينا الحجة التي سنرويها لهم كي نتمكن من الدخول !!

لم تفهم سوسن شيئًا، فسألت وكأنها فزورة :

لا أفهم تمامًا ما ترمي إليه، كيف يمكنك أن تدخل الفيلا؟ ولكنك لا تستطيع , لأن ليس لديك سببًا للدخول !!

ابتسم رمزي، وقال بمكر:

ليس علي أن أخبرك كل ما لدي، لكني من الممكن أن أطرق باب الفيلا بكل بساطة ، وبذلك سيتم فتح الباب ، أما كي أتمكن من الولوج داخلها ومعاينتها عن قرب فإنني بحاجة إلى سبب قوي يجعلهم يستضيفوني لديهم بعض الوقت .

فكرت سوسن قليلًا ثم قالت فرحة :

أنت تريد أن تصلح من نظرك بتلك التقنيات الحديثة ، ما رأيك في هذا السبب ؟؟

تراجع رمزي قليلًا ثم قال بتهكم :

هل لديك نظر قوي؟ أم أنكِ تجهلين القراءة ؟ إذ أنكِ تتجاهلين تلك اللافتة الموجودة بجوار جرس الباب ، لابد من وجود حجز وموعد مسبق !

مطت سوسن شفتيها وهي تقول:

من الممكن أن تدخل بصفتك الطبيعية ، وكأنك تريد جمع بعض المعلومات عن أي شيء.

بدأ عصام يتأفف من وجودها ، فقال وقد بدأ ينفذ صبره :

أقترح عليكِ أن تتولي أنتِ التحقيق بدلًا منا في تلك القضية!!

و هنا التقط رمزي طرف الخيط ، فقال متهكمًا مع صديقه:

وكأنك قرأت بالفعل أفكاري هذه المرة يا عصام !!

تقبلت سوسن الموقف بسعة صدر، وقررت أن تفسح لهما المجال الكافي كي يستطيعا العمل بسهولة وحرية ، فيما قال رمزي بمزيد من الجدية :

إنني أفكر في ذلك ، ولكن عليكِ أن تبتعدي عن هنا وتنفذي تمامًا ما سبق أن أمرتكِ به.

هزت رأسها علامة الاستيعاب ، وقالت وهي تمد يدها كي تصافحه :

أنت لا تعرف قدر امتناني وشكري وتقديري لك .

صافحها وافترقا حتى يتمكن من التركيز على الحالة المزاجية ، والنفسية التي سوف يكون عليها بعد قليل عندما يدق جرس ذلك القصر المخيف .

***

في القصر ...

فكر رمزي كثيرًا قبل أن يأخذ تلك الخطوة الهامة ، وحذره عصام من كونه لم يحضر معه أي أوراق رسمية ، ولكنه أخبره أن كل شيء سيكون على ما يرام .

لكن داخليًا لم يكن هذا هو الشعور الذي يشعر به رمزي، كان قلقًا متوترًا، كما أن انقباضًا ما كان يسري في أوصاله ، كان مجبرًا نوعًا ما على القيام بتلك الزيارة إذ دائمًا ما كان يفضل أن يرى المكان الذي سوف يأمر بتفتيشه قبل أن يستصدر الأمر بذلك.

لذلك حسم الأمر، واتجه مع صديقه نحو الفيلا ، شعر ببعض الحماسة خاصة مع وجود عصام إلى جانبه فقد سهل ذلك عليه الكثير من الأمور، وعند الباب لفت انتباههم جرس قديم غريب الشكل ، وبجواره تلك اللوحة الخشبية القديمة وقد نحت عليها الآتي ...

د / نهاد رفعت رستم

طبيب عيون

العيادة أيام (السبت – الاثنين – الأربعاء)

من الواحدة ظهرًا وحتى الخامسة مساءًا.

الزيارة بعد الحجز وموعد مسبق .

كان السطر الأخير منحوتًا بشكل أعرض وأبرز من سابقيه ، ولم تفت هذه الملاحظة على رمزي، مما أكد حدسه بأن هناك شيء غامض يحدث خلف أبواب ذلك القصر الكئيب .

كما تطابق مع ما أخبره به صاحب المحل الذي أكد على دقة هؤلاء الجيران فيما يتعلق بالمواعيد .

مد يده وضغط على زر الجرس ، في البداية لم يتناهى إلى مسامعه شيء ، لكن ما لبث أن سمع صوت مزلاج يتحرك في بطء ، ليظهر وجه لسيدة عجوز من خلال الجزء الصغير الذي تحرك من وسط الباب.

كانت هذه الفكرة مستوحاة من فكرة الحصون قديمًا عندما كان باب الحصن به جزء صغير منفصل يمكننا من خلاله معرفة الطارق على الباب ، قبل أن يفتح الباب على مصراعيه ...

وعندما تم تحديث صناعة الأبواب على مر العصور، وأخذت شكلها الحالي استمر الناس في الإبقاء على تلك العادة القديمة ، وقد أطلقوا عليها لقب (شراعة) ...

والأصل يختلف فيه الكثيرون ، فهناك من يرجع التسمية إلى أنها تشرع للبعض الدخول ولا تشرع للآخر، على حسب انتماء كل شخص للمكان.

وهناك من يرجع التسمية إلى أنها حلال شرعًا لأنها تطلعنا على كينونة من بالباب قبل أن يدخل إلى المنزل، وذلك ما حث عليه الإسلام.

وآخرون يرجعون الكلمة إلى أنها شراعًا نتسلقه ونعلو به فنعرف من الذي يقف على الباب.

استغرب رمزي وعصام كثيرًا من ذلك الأسلوب ، ولكنهما لم يتأثرا به كثيرًا فقد كان متوقعًا ، وقال رمزي للسيدة بأدب جم :

هل من الممكن أن أقابل د/ نهاد من فضلك ؟

نظرت له السيدة طويلًا ، كانت نظرتها ثاقبة أكثر منه ، فقالت بهدوء وثبات :

ليس لدينا موعد للعيادة اليوم ، فاليوم هوالأحد ...

والطبيب لا يقابل أحد أبدًا إلا بناءًا على موعد مسبق ، كما ترى على اللافتة.

همت بإغلاق الشراعة في هدوء ، ولم تترك لرمزي خيارًا آخر سوى الإفصاح عن هويته الشخصية ، وإلقاء الحجة بشكل مباشر، فقد كانت سرعة تصرف تلك العجوز الحذرة سببًا في كشف الأوراق سريعًا ، قبل حتى الدخول إلى القصر, لذلك قال في تعجل :

مهلًا , لسنا مرضى، أنا رمزي عاصم رئيس مباحث المعادي، وهذا الرائد/ عصام من قسم شرطة المعادي، ونود التحدث معه في موضوع خاص.

ما إن سمعت السيدة تلك الكلمات حتى انتبهت جيدًا ، وراحت تغلق الشراعة في حذر، وبدأت في سحب الباب الثقيل العتيق الذي بدوره أصدر صريرًا قويًّا.

كانت الشمس تتعامد على المكان، فالساعة تجاوزت الخامسة بربع ساعة تقريباً ، لذلك لم يستطع رمزي تحديد ملامح تلك السيدة العجوز ، وإن كان ظاهرًا للعيان نحول الوجه الذي برزت عظامه ، تتشح بالسواد ، وتعقص شعرها الرمادي فوق رأسها بشكل غريب.

ولم يعرف رمزي لم أوحت له هذه السيدة وهي بتلك الهيئة وكأنها تعيش تمامًا كما تزوجت في الستينات ، بنفس الروح والملبس والتعليقات.

فما إن رأت وجه الزائرين حتى طرحت السؤال المعتاد لكل من يأتي لزيارة الفيلا في ذلك التوقيت.

إن ولدي نائم ، فهل من خدمات أقدمها لكم ؟

تنحنح رمزي بشيء من القلق، ثم قال مباشرة وبدون مقدمات:

حقيقة يا سيدتي أننا هنا للحديث مع ولدك د/ نهاد، وليس لزيارة العيادة أو للكشف كما أخبرتك منذ قليل !

ابتسمت العجوز بطريقة لبقة ، وشرحت بهدوء ...

للأسف ، فإن ولدي نهاد يحرص على عادة سخيفة يوم إجازته ، فهو يظل نائمًا طوال النهار، فهل ترغب في ترك رسالة ما له؟

صمت رمزي قليلًا ، وقد اندهش مما لم تفهمه السيدة العجوز من كلامه ، ونظر نحو عصام الذي شعر ببعض من الإهانة ، فأطرق رأسه ثم قال :

الحقيقة يا سيدتي هذا رئيس المباحث /رمزي عاصم ، وأنا ضابط من القسم وكنا نرغب في حديث هام مع ولدك ، فأرجو أن تبلغيه بذلك .

لم يبد على وجه المرأة العجوز أنها تأثرت بأي شكل من الأشكال عندما تعرفت على الشخوص الماثلة أمامها، أو حتى مع محاولتهم البائسة لزعزعة كيانها، وهز موقفها.

وكان أكبر رد فعل قامت به هو أن سمحت لهم بالدخول ، وفتح الباب بشكل أكبر يتيح لهؤلاء الزائرين المتطفلين بالمرور إلى ذلك المنزل القاتم.

و ما إن دخل رمزي وعصام المنزل حتى راودهم شعور غريب ، وكأن شيئا ما يعتصرهم من الداخل ، شيء ما شبيه بالانقباض ، لم ينجحوا في إيجاد تفسيرًا له.

فقد شعر رمزي وكأنه انتقل آنيا من مكان إلى مكان آخر غريب من خلال بعد زمني آخر!

أما السيدة العجوز فقد أغلقت الباب ، وهي تتمتم ببعض الكلمات المبهمة بفمها، ونظرت نحوهما وقالت باشمئزاز :

تفضلوا بالجلوس هنا , حتى أخبر ولدي بقدومكما.

قالتها ، وأشارت إلى زاوية خلف الباب مباشرة ، عبارة عن مقعدين يبدو وكأن عمرهما مائة عام .

لكنهما لم يجلسا كما أمرتهما السيدة ، بل ظلا واقفين مشدوهين لما تراه أعينهم .

لقد كانت الفيلا من الداخل شيءآخر عما وصفه الناس في الخارج ، كانت قاتمة كئيبة ، ويزيد من كآبتها لون الرخام الأسود الذي كسيت به الأرضية ، كذلك الستائر الرمادية التي أغلقت لتمنع نور الشمس وضوء النهار من المرور.

أثار ذلك المشهد اندهاش رمزي وعصام ، ولكن ما أدهشهما أكثر هي العزلة والصمت التام الذي كان يخيم على المكان ، فقد كانت الأصوات

في الخارج توحي بالحياة ، كان من الواضح أن ضجيج الناس في الشارع الخارجي لا ينفذ من خلال نوافذ تلك الفيلا العجيبة.

كانت الجدران مرتفعة بشكل لافت للانظار، وقد غطت أحد تلك الجدران مكتبة ضخمة وقفت شامخة مليئة بالكتب ، المجلدات والمراجع.

لاحظ رمزي بطرف عينه الخزنة قابعة بجوار المكتبة مباشرة ، ومقعد الزاوية بمكانه كما وصفه جابر بالضبط ، وبالجدار المقابل نافذة كبيرة توارت خلف احد الستائر الرمادية ...

حاول عصام أن يدخل إلى الغرفة كي يفحصها سريعًا ، إلا أنه تجمد بمكانه عندما سمع صوت المرأة العجوز يقول في حزم :

أرى أن المقاعد لم تنل إعجابكم ، إذن يمكنكم الانتظار وقوفًا ، لأن ابني يصر على أن يكمل نومه ، ويصر على أن يأخذ وقته ، لكن من الممكن أن يكون هنا في أي لحظة ...

تعود رمزي على تلك النوعية من المواجهات ، لكن هذه المرة لا يعرف لماذا شعر بتلك الغصة التي سرت في حلقه عند رؤية تلك العجوز.

جلس هو وعصام على المقعدين رغمًا عنهما ، بينما جلست هي على مقعد صغير مقابل لهم ، ولم يفت رمزي ملاحظة الخيلاء والغرور في مجلسها.

فقد جاوزت سنوات عمرها السبعون، ورغم ذلك لم تفقد بعد رونقها الذي ينم عن الأصالة والرقي .

كانت تجلس على طرف المقعد باعتدال ، واضعة ساقها اليمنى خلف اليسرى في رشاقة تحسد عليها ، كما اتخذت يديها وضعية ارستوقراطية كما في لوحات الرسم ، وهى تقول في غموض :

إذن أنتما من رجال الشرطة ، لكن ما لا أتمكن من تفسيره ، لم أنتم في حاجة إلى مقابلة ولدي؟

و لما لم تلق جوابًا على سؤالها سوى الصمت المطبق ، اضطرت إلى رسم ابتسامة زائفة على شفتيها قبل أن تستأنف ...

عفوًا، لقد نسيت أن أقدم نفسي إليكم، أنا (إقبال المراغي) ، والدة نهاد ، ولا أظن أن ابني د/ نهاد يسر عني شيئًا أبدًا ، فهل من الممكن أن أسأل عن الداعي لوجودكما هنا ؟

جفل رمزي وارتبك بعض الشيء ، ونظر إلى عصام في قلق ، كما كان يقاوم رغبته القوية في مغادرة تلك الفيلا الغريبة في الحال ، لكنه أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال في اهتمام :

تتحدثين عن ابنك كما لو كنتم شخصًا واحدًا يعيش في ذلك المكان ، فهل من الممكن سؤالك عما اذا كانت لديكم خادمة ؟

ابتسمت المرأة في شيء من الوقار، وردت في برود :

إننا بالفعل شخصًا واحدًا ، ونعم لدينا خادمة تأتي كل يوم في تمام التاسعة صباحًا وتغادر المنزل في تمام الخامسة بعد أن يغادر آخر مريض .

كان تركيز رمزي على تلك الإجابات المقتضبة ، ثم سأل مرة أخرى باهتمام :

إذن هي متواجدة الآن؟

قالت المرأة بخبث:

لقد تجاوزت الساعة الخامسة بعشرون دقيقة على ما أعتقد ..

عاد رمزي للسؤال ...

هل لولدك زوجة؟

تأثرت قليلًا ، ثم هزت رأسها في أسى قائلة في حزن :

لقد تزوج مرتين ، الأولى توفيت منذ حوالي خمسة عشر عامًا ، أما الثانية فقد تركتنا منذ أيام قليلة.

انتبه عصام إلى التعبير الأخير، فرد مسرعًا ...

ما معنى كلمة (تركتنا) ؟

obeikandl.com

وهنا تبدلت شخصية المرأة من جديد ، إذ كست وجهها ملامح الضعف والحزن بشكل غريب ، وإن ظلت قوة صوتها كما هي ...

لقد كانت ألمانية الجنسية ، وقد التقى بها صدفة لدى أحد أصدقائه ، بدأ الأمر بثمة إعجاب متبادل بينهما ، ثم تعددت الاتصالات الهاتفية ، وقد أتت إلينا هنا في هذا المنزل بحجة عمل نظارة طبية ، وبشكل ما تم الزواج بينهما ...

أما أنا فقد عارضت هذه العلاقة ، وأعربت عن رفضي القاطع لهذه الزيجة ، ولازلت أرى من وجهة نظري أن الصواب جانبه في اختيار الإنسانة المناسبة ، وقد ظلا هكذا عامين قبل أن تقرر هي الرحيل والعودة إلى ألمانيا مرةأخرى !

هز عصام رأسه في شيء من الحيرة قبل أن يقول :

أفهم مما تقولين يا سيدتي أنه كان هناك ثمة خلاف ، وعدم وفاق بينك وبين زوجة ابنك ، هل كان ذلك بسبب اختلاف الأجيال أو الحضارات أو اللغات؟

مطت العجوز شفتيها في استياء ، ثم علقت قائلة :

لم تكن العلاقة كذلك فقد كانت عصبية بشكل دائم ، متشبثة برأيها مما يجعل منها شخصًا ميئوسًا منه ، غير قابل للإصلاح ، لذلك لم يكن هناك بد من الرحيل .

ابتسم رمزي في سخرية وهو يقول :

تتحدثين عنها بصيغة الغائب ، كما لو كانت جثة هامدة!

ارتبكت العجوز بعض الشيء من تلك الملاحظة الغريبة التي التقطتها أذن رمزي، فضحكت بعصبية وهي تقول :

ما حدث أنها رحلت بالفعل عن منزلنا ، وتركتنا أنا وابني ، وفضلت العودة إلى وطنها الأم ، مما يجعل التحدث عنها بصيغة الغائب أمر طبيعي ...

ثم استطردت قائلة ...

كما أنني لي العذر في الارتباك والإجفال أمام تلك الأسئلة ، فقد جاوزت السبعين بخمسة سنوات ، وهذه هي المرة الأولي في حياتي التي أخضع فيها للتحقيق .

نهض عصام من مقعده في تلك اللحظة ، كي يجول قليلًا في الغرفة المحيطة به ، وقد استغل انشغال السيدة في الإجابة على الأسئلة الموجهة إليها من رمزي .

نظر طويلًا إلى الجدران ، وقد لفتت ضخامة المكتبة انتباهه بالفعل , كانت الغالبية العظمى كتب ومراجع في القانون ، وقلما وجد بينهم مرجع طبيأ أو علمي ...

كما كان هناك باب جانبي أبيض اللون بجوار المقعد المزمع وجود الجثة عليه ، كتب عليه (عيادة)!

هنا توقفت المرأة عن السرد ، وأخذت تتأمل في ملامح كل منهما ، ولم يخف رمزي اندهاشه من جرأتها وصراحتها ، فسأل في اهتمام مأخوذ...

ألم يكن لك يد يا سيدتي في ذلك الطلاق؟ ألم يلجأ ولدك مثلاً لإنهاء العلاقة رغبة في رضاك؟

نظرت المرأة إليه نظرات غاضبة ، كأنها مترددة أيهما افضل .. الإجابة أم الصمت ؟

ثم حسمت أمرها ، ونظرت نحو عصام وقالت فى امتعاض ...

لا داعي للدهشة ، هذه الكتب والمجلدات جميعها مراجع في القانون ، كانت تخص زوجي المستشار (رفعت رستم) ...

والذي توفي منذ أكثر من خمسة وعشرون عامًا ، ولكني لم أرغب في بيعها أو التفريط فيها ، على الرغم من كونها تساوى ثروة حقيقية ، إلا أنني فضلت الاحتفاظ بها ، كذكرى وحيدة متبقية من المرحوم .

توقف عصام على الفور عن العبث في المجلدات المتراصة فوق الأرفف ، ولاحظ إشارة خفية من رمزي الذي نظر للسيدة بابتسامة مضطربة ،

فابتعد في خطوات متوترة إلى الخلف حتى وصل إلى الجدار المقابل فاستند إلى النافذة بيده.

حاول رمزي أن يكسر ذلك الجو المكسو بالتوتر، فسأل السيدة في ثبات...

م/ إقبال من فضلك ، هل من الممكن أن نستكمل ما بدأناه عن الظروف التي أدت إلى الطلاق.

طرقت المرأة قليلًا قبل أن تقول :

لا أعتقد أنني كنت السبب الرئيسي في ذلك الانفصال نظرًا إلى الخلافات التي احتدمت بينهما في الفترة الأخيرة، فقد كانت المشاجرات شبه يومية وعلى أشياء تافهة للغاية.

كما أنني وفي مثل سني هذا لن أخضع لذلك النوع من الابتزاز، إنني انحدر من عائلة عريقة للغاية يا سيدي، ويمكنك التأكد من ذلك ، وأعتقد أن لدي من المشاكل ما يكفي للتفكير بها !

فهل تعتقد أنني من الممكن أن أترك حياتي وانشغل بتلك المخلوقة البشعة ؟!

لم يستطع عصام التوقف عن لمس الأشياء بيديه ، كان يرغب في التفتيش والاستقصاء عسى أن يخرج من تلك الغرفة بأي نتيجة

ممكنة ، لذا فقد اخذ يمرر يده على النافذة يتفحصها إذا ما كان تم إقتحامها أو فتحتها عنوة أو أي شيء من ذلك القبيل .

وبالفعل لفت انتباهه بعض آثار الجص على الأرض خلف الستارة المسدلة على النافذة ، قرر أن يزيحها قليلا كي يتمكن من المعاينة ، لكن عين السيدة العجوز كانت له بالمرصاد .

تراجع مرة أخرى ببطئ ولكنه أشار لرمزي برأسه علامة الإيجاب ، وكأنه يعطيه إشارة بالتحقق من أمر ما .

إلتقط رمزي الإشارة على الفور ، وعاد بالنظر نحو السيدة كأنه يتفحصها بهدوء وروية ، وهم في طرح سؤال جديد ...

عندما دخل إلى الغرفة فجأة رجل بالغ ممشوق القوام يكاد يبلغ طوله المترين تقريبًا ، ويدل الشعر الرمادي في الفودين على أنه في النصف الثاني من الأربعينات تقريبًا.

وجه صارم للغاية، نظرات ثاقبة ، شفتين رفيعتين ، أنف مدبب ، وسيم الطلعة لمن يراه لأول مرة...

لكنه يعطي انطباع أولي بالرهبة والخوف ، خاصة مع دخوله المفاجئ تمامًا كما فعلت والدته منذ قليل .

كانوا يتصرفون تمامًا كما لو أنهم يريدوا أن يتركوا أثرًا للخوف أو الرهبة في نفس هؤلاء الزوار المتطفلين ، خاصة رمزي الذي قطع حديثه فجأة .

نظر نحو الطبيب ، الذي كانت هيئته بعيدة كل البعد عن كونه طبيبًا ، فقد كان أشبه بمارد !

جلس الطبيب على نفس المقعد الذي كانت تجلس عليه والدته منذ قليل ، ونظر نحو رمزي نظرات فاحصة ، ثم قاله ببرود منقطع النظير:

أظن أنك استرسلت في الحوار مع إقبال هانم والدتي أكثر من اللازم ، فهي كما تعلم وقد أخبرتك لا خبرة لها في الاستجواب الفردي من رجال المباحث.

وبدون أي مزايدة، أكمل في برود ...

يمكنكم مغادرة هذا المنزل فورًا أيها السادة ، مالم يكن بصحبتكم إذنًا رسميًا بالاستجواب أو التفتيش ، أو حتى من أجل التواجد بالمكان .

وكن على يقين ، أن ما أخبرتكم به والدتي هو آخر الاعترافات التي سوف تستمعون لها الليلة ، فأنا وبصفتي صاحب هذا المنزل قد أضطر إلى التعامل معكم شخصيًا.

فوجئ رمزي وعصام بذلك الأسلوب الهجومي الصريح ، فعلى الرغم من أن المرأة العجوز بالفعل كانت جافة بعض الشيء في الاستقبال

والمعاملة ، حتى أنها لم تتكبد عناء سؤالهم لتناول أي شيء كنوع من أنواع الكرم واللياقة ، وحسن الضيافة .

لكنها بالتأكيد لم تطردهم كما فعل ابنها للتو، لقد طردهم نهاد بمجرد دخوله الغرفة ، مما ترك أثرًا رهيبًا من الاحتقار في أنفسهم ، نهضوا مغادرين بهدوء ، ثم أمسك رمزي بمقبض الباب والتفت مرة أخيرة نحو نهاد وهو يقول في مقت شديد :

سنتقابل مرة أخرى أيها الطبيب ، وتأكد من أن أسئلتي أيضًا لن تنل إعجابك ، خاصة عندما تكون مرفقة بذلك الإذن الخاص الذي تتطلع إلى رؤيته !!

حاولت الأم تهدئة الوضع بين الضابط والطبيب ، لكن رمزي حسم الأمر عندما أغلق الباب خلفه بقوة ، وغادر هو وعصام في غمضة عين.

توقف الضابطان قليلًا عندما خرجا من تلك الفيلا الغامضة ، فقد غالبهم الانفعال ، خاصة رمزي الذي أغمض عينيه وأخذ صدره يتردد بصوت مسموع ...

كأنه خرج للتو من سباقًا للعدو، فذلك التصرف بالفعل كان أكبر من توقعاته .

وعلى الرغم من أن الأمر كان صعبًا بعض الشيء ، لكنه صار في الأخير حسب توقعاته وإدراكه الدائم للأمور، لكنه لم يخطط بحذر لتلك العجوز القاتمة ومنزلها الكئيب.

كما أن دخول ذلك (النهاد) قد أفسد كل شيء بل وقلب الأمور رأسًا على عقب.

سار رمزي وعصام معًا في خطوات سريعة منفعلة حتى جاوزا عدة شوارع جانبية ، ولم يستفق إلا مع رنين الهاتف الخاص به ، كان المتصل حسن عاطف المساعد الثاني له ، فأجاب في سرعة ...

قل ما لديك يا حسن , فأنا لست في مزاج يسمح للأخذ والرد !!

جفل حسن من ذلك الرد ، لكنه قال في اقتضاب :

لقد انهيت اجراءات الاذن الخاص بالمراقبة سيادتك ، وسوف يتواجد مخبران يراقبان المنزل وقاطنيه على مدار الـ24 ساعة .

هدأ رمزي بعض الشيء ، فقال في صرامة :

عظيم , وليكونا دقيقين في كل تقرير يتم تقديمه ، فقط اطلب منهما أن يعدا عليهما أنفاسهما ، أنا متأكد أن وراء هذا الرجل وتلك المرأة لغز غامض !

تلقى حسن التعليمات في هدوء ، وما إن أغلق رمزي الخط حتى نظر نحو عصام ، وقد هدأ انفعاله قليلًا ...

لكن ذلك لم ينف أنهما كانا تحت وطأة ضغط شديد ، لم يقل أي منهما شيء للآخر قط ، واصلا السير معا ، غارقين في أفكارهما وما دار في الفيلا منذ قليل.

***

غالبًا بل دائمًا ما يترك اللقاء الأول انطباعًا قويًّا ومؤثرًا ، لكن اختلف الكثيرون عن مدى تأثر البعض به كونه مؤشرًا كاذبًا !!

هناك بعض الحالات العاطفية التي ينطبق عليها كذب ذلك المؤشر، وأخرى تؤيد صدق ذلك المؤشر كالتي حدثت بين الدكتور/ نهاد ورمزي.

لم يستطع رمزي النوم ، فقد جفاه منذ أن وافق على تولي تلك القضية الغريبة المعقدة ، كان من داخله يشعر بمصداقية سوسن ، لكنه وبسبب قضيتها يتعرض للمرة الأولى في حياته للطرد من أحد المنازل .

كان ذلك التصرف يثير أعصابه كلما تذكره ، فقد بلغ الأربعون من عمره ولم يتجرأ أحد على فعلها من قبل .

كانت الأفكار تسترسل في رأسه وهو يحاول أن يجد مخرجًا من تلك الورطة التي وقع فيها ، فقدكان يعلم جيدًا أن المراقبة لن تجدي نفعًا مع ذوي العادات الثابتة أمثال د/ نهاد .

هم أن يقوم من الفراش لمطالعة الجريدة ، أو أي شيء يحثه على النوم عندما التقطت أذناه آذان الفجر ومعه أقبلت نسمات الصباح الأولى...

قرر أن يستبدل الجريدة بالقهوة ، وما إن دخل مكتبه حتى وجد (إقبال هانم) والدة د/ نهاد في انتظاره منذ أكثر من ساعة.

أثلجت رؤيتها صدره ، فقد كان ذلك ما يحتاجه رمزي، وفكر به طوال الليل.

من سيقوم بالخطوة الأولى؟ وكيف ستكون؟

لم يستطع منع نفسه من الابتسام عند رؤيتها ، فقد كانت تجلس بسكينة ووقار، تمامًا كما تركها بالأمس .

جلس رمزي، واتخذ مكانه خلف المكتب قبل أن يبتسم بمزيد الفضول ، متسائلًا في تكلف :

صباح الخير، السيدة إقبال حسب ما أذكر ... أليس صحيحًا ؟

ابتسمت السيدة في مزيد من اللؤم والخبث وهي تقول :

إقبال المراغي يا سيدي، وقد أتيت اليوم كي أعتذر لك عما بدر من ولدي بالأمس ، كما أعتذر عن حضوري في وقت مبكر كهذا وبدون موعد مسبق !

نظر رمزي إلى الأسفل ، كأنه يتفحص أمر ما أسفل المكتب ، ثم رفع رأسه نحو السيدة العجوز ...

لفت نظرى بالأمس أنكِ لم تطلبى منا أى أوراق تحديد للشخصية , و قد يكون تصرف ولدك مبنى على الشك !

و عسى أن تكون ِ قد تأكدت الآن من شخصيتى , فقد كان لولدك أسلوب فريد في المعاملة ، حتى أنه استطاع أن يحفز لدي الرغبة في استجوابه شخصيًّا ، ثم وضع يديه على المكتب وهو يستطرد ...

بالطبع وفقا للطرق القانونية التي يفضل اتباعها !

أنهى جملته الأخيرة ثم نظر نحوها بمزيد من الخبث ، فقد كان يعلم تمامًا أنها كاذبة ، فهي لم تأتي للاعتذار، بل أتت لتوضيح رؤية ما ، أو لاستكمال ما جرى بينهما بالأمس من حوار ...

لذلك فقد باغتها بالسؤال قائلًا:

إذا كنتِ بالفعل مستاءة مما فعله ولدك بالأمس ، لماذا لم تعنفيه وتصري على بقائي؟

ارتبكت السيدة بعض الشيء , قبل أن تقول في شيء من الدهاء :

إنني أم، وسيدة عجوز، فكيف لي أن أعنف ابني الوحيد الذي أصبح يعتمد علي في كل شيء ، كما أعتمد عليه أنا الأخرى في كل شيء .

إنه الغصن الوحيد الباقي من هذه العائلة العريقة . ولعلك شاهدت تاريخنا كله معلقًا على الجدران ، إنه يتصرف وفقًا لما كانت عليه عائلته ، وليس كما أصبحت عليه الآن !!

لكنه على النقيض صدقني لطيف للغاية ، فقط هو في مزاج سيئ منذ رحيل زوجته عنه ، يتحدث ويتعامل مع الآخرين بشيء من العدائية !

رفع رمزي حاجبيه في دهشة مصطنعة وهو يقول معلقًا ...

تتحدثين وكأنك من أفراد العائلة المالكة ! لكن تلك الحكاية غريبة بالفعل يا سيدتي ، فأنا رغم معرفتي الضئيلة بعلم النفس ، لا أعرف لماذا تركت انطباع لدي بأنكِ أنت المسيطرة على جميع من بالمنزل ، بما فيهم ... ابنك !!

استعطفته المرأة بنظراتٍ حزينة ، وهي تتوسل بضراعة :

إنه بالفعل من أرق القلوب التي من الممكن أن تلتقي بها يومًا ، لكن عامل التوقيت فقط كان في غير مصلحته .

نظر رمزي لساعة يده ، كي يحثها على إنهاء المقابلة ..

وبالفعل التقطت المرأة بفطنتها ما يخجل لسانه عن قوله ، فقالت في هدوء :

ما أود أن أخبرك به قبل أن أغادرك ، لأنك سألتني بالأمس عن السبب الذي تركتنا من أجله تلك المرأة الأجنبية ...

انتبه رمزي لما تقول ، وهز رأسه كي يحثها على المتابعة..

تنحنحت المرأة ، ثم قالت بصوت خفيض :

الحقيقة أن تلك الزوجة كانت تمر بمرحلة حرجة من عمرها كأنثى ، وكلما تذكرت أنني مررت بتلك الفترة أكتئب ذاتيًا ...

صدقني إنها لم تحتمل ذلك أبدًا ، فهؤلاء السيدات الأوروبيات سريعات الغضب بشكل غير متوقع ، ولطالما كانت تخجل من شرح أدق تفاصيل حياتها لزوجها أو حتى للآخرين ...

فأنا لا يمكنني أن أنسى الشجار العنيف الذي نشب بينها وبين نهاد عندما علمت منه أنه أخبرني على تلك الأزمة النفسية التي كانت تمر بها.

ضاقت عينا رمزي وهو يتفرس في ملامح السيدة التي تجلس أمامه في سكون تام ، كانت ترتدي ملابس تتسم بالدقة و حسن الاختيار، وإن كانت أيضًا سوداء اللون .

كان هناك شيئًا ما في هيئتها يثير في نفسه الحيرة، وعلى الرغم من ذلك فقد استوعب تمامًا ما قالته ورد في حذر:

متى حدث ذلك الشجار؟

هزت السيدة رأسها علامة عدم اللا مبالاة ...

ما أذكره أنه تم على المائدة أثناء تناول الطعام ، فنحن كنا لا نتقابل إلا في تلك الأوقات الثلاث ! لكن توقيت الشجار لا يمكنني تذكره بالضبط نظرًا لتشابه كل الأيام .

نظر لها رمزي بخبث ، ثم مال للأمام قائلًا:

هل تريدين أن تدخلي إلى رأسي أن زوجة ابنك تركت المنزل بسبب مرورها بأزمة منتصف العمر!!

حركت السيدة كتفًا واحدًا لا إراديًا ، ثم قالت في حذر:

ليس ذلك فحسب ، لقد كانت حساسة بشكل لا يحتمل في الفترة الأخيرة ، كما كانت لديها رغبة عارمة للعودة مرة أخرى إلى وطنها الأم .

لم يظهر على وجه رمزي أي تعبير قد يوحي بالاهتمام ، لكنه وضع يده في الدرج كي يتناول أحد سجائره ، وما إن وقعت عينا المرأة عليه حتى تحول وجهها للون الأزرق ، وقالت معلقة:

أرجوك لا تفعل ، وإن كان ضروريًا ، فقط عليك أن تنتظر حتى أرحل !!

نظر رمزي نحوها، وكأنه يتفحصها للمرة الأولى ، ثم تذكر فجأة ما قاله صاحب المطعم عن التدخين سرًا، فابتسم وترك السيجارة جانبًا وهو يقول :

ألهذه الدرجة تكرهين التدخين؟؟

ردت المرأة على الفور دون أن تفكر أو تظهر على وجهها أي انفعالات ، إذ ربما كانت هذه أصدق إجابة تفوهت بها منذ أن جلست أمامه.

بالفعل يا ولدي إنني أمقت هذه العادة الكريهة ، وإذا تقبلت النصيحة من سيدة عجوز عاصرت العديد من الأجيال ، ورأت أكثر مما ينبغي فإني أنصحك بالإقلاع عنها نهائيًا ...

لقد فقدت بسببها أغلى ما أملك حتى الآن ، وتحجرت في عيني السيدة الأرستقراطية دمعتين أبيا أن ينهمران!!

تعجب رمزي من تلك الإجابة ، ثم قال معقبًا في هدوء ممزوج بالاحترام...

أرى أن لديك عقدة ما من التدخين م/ إقبال ، ثم صمت قليلًا قبل أن يقول :

ماذا كان اسم زوجة ابنك الاجنبية؟

ردت المرأة في صوت آلي إنجيلكا ، ولكن نهاد كان يناديها بإسم مختصر (إيلا).

سأل رمزي بآلية مشابهة :

هل كانت تعمل؟ أو تقوم بأي نشاط ما خلال يومها ؟

هزت السيدة العجوز رأسها نفيًا، وهي تجيب ...

كانت لها صديقة ما ترافقها خلال تواجدها في مصر، ولكن بعد زواجها من ابني بحوالي سبعة أشهر سافرت الصديقة مرة أخرى عائدة إلى ألمانيا.

obeikandl.com

منذ ذلك اليوم وهي تعكف على الإنترنت والرياضة فقط ، كانت تعاني حساسية من الحيوانات المنزلية الأليفة ، حتى إنني قد ظننت بها السوء عندما مات (ريكسي)!!

نظر لها رمزي بفضول ، وهو يدون أمامه بعض الملاحظات...

أي نوع من الرياضة؟ ومن هو (ريكسي)؟

مطت السيدة شفتها السفلى، وهي تقول في روتين معتاد:

(ريكسي) هو كلب عاش معنا فترة كبيرة، كان بمثابة فرد من العائلة ، كما أنه ساهم بشدة في مواساة نهاد وساعده على الخروج من حالة الصمت التام التي كان يلزمها في المنزل ...

فهو كما رأيت قليل الكلام بشكل غير عادي ، وقد أكن له الكثير من الحب وحزن من أجله حزنًا شديدًا ...

أما الرياضة فهي المشي، فقد تعود ابني منذ سنوات عدة على الخروج يوميًا للمشي كل صباح ، حتى إنه كان يصطحب معه (ريكسي) ، أما بعد وفاته فإن إنجيلكا كانت ترافقه أحيانًا خلال تلك الجولة ...

قاطعها رمزي مازحًا:

هل استبدل الكلب بزوجة ؟؟

قطعت حديثها فجأة ، وكأنها استرسلت في الحوار أكثر من اللازم، وقالت مرتبكة :

أرى أنني قد زودتك بجميع الإجابات التي كنت ترنو إليها بالأمس ، فاغفر لابني مرة أخرى عصبيته وغضبه ، وتقبل اعتذاري!

لاحظ رمزي ارتباكها، وحاول أن يهدأ من روعها قليلًا فقال ممازحًا ...

ولكنك لم تتناولي شيئًا بعد ! هل أطلب لك قليلًا من القهوة؟

ضحكت السيدة بتكلف، وقد فهمت ما يرمي إليه، فهو يريد مزيد من الوقت، لذلك قالت بهدوء ...

لقد أنهيت ما أتيت من أجله ، فلنترك القهوة إلى وقت آخر.

لاحظ عزمها على الرحيل ، فقال في شيء من القوة ...

من فضلك اجلسي يا م/ إقبال ، لقد أنهيت ِأنتِ حديثك، ولكنِي لم أنتهي من حديثي بعد !

رأت السيدة في وجهه وصوته مزيدًا من الإصرار والقوة ، فقالت في هدوء:

لكن عليك أن تسرع من فضلك ، لقد خرجت من المنزل باكرًا كالعادة ، كأنني أحضر بعض مستلزمات المنزل .

وهنا سألها رمزي مباشرة :

ألم تخبريني بالأمس أن لديكم خادمة تأتي كل يوم ، لماذا إذن يكون عليكِ أن تشتري المستلزمات؟

ضحكت السيدة بطريقة مصطنعة وهي تقول:

سيدي إنني أحرص أنا أيضًا علي القيام ببعض الرياضة اليومية ، كما أنني من المستحيل أن أعطي الخادمة مالًا كثيرًا كي تحضر لي ما احتاجه.

لأني لا أضمن مطلقًا أن تعود به مرة أخرى إلى المنزل، فقد هربت العديد من الخادمات من منزلنا من قبل ...!

قالت الجملة الأخيرة بصوت أقرب إلى الهمس ، وكأنها تحيطه بسر عظيم .

هز رمزي رأسه متفهمًا ، مستمرًا في تدوين ملاحظاته ...

إذن دعينا ننتهي بسرعة دون إضاعة المزيد من الوقت ، كيف رحلت زوجة ابنك؟

عادت المرأة لطريقتها الآلية ، قائلة في اقتضاب:

بالطيارة , لقد حجزت على أول طائرة عائدة إلى ألمانيا ثم طلبت من سيارة أجرة (تاكسي) أن توصلها للمطار.

ابتسم رمزي بعفوية ثم قال بدهاء:

وأنتِ ...أين كنتِ؟؟

ردت المرأة سريعًا وقبل أن تفكر:

كنت بالمنزل، ونهاد كذلك!

وضع رمزي يده على فمه ، كأنه يفكر في تلك الإجابات الحادة، ثم سأل بنفس الإيقاع الرصين ...

و الخادمة؟؟

عادت المرأة إلى الصوت الناعم مرة أخرى، فقالت في هدوء:

سعاد!! لقد كانت متواجدة أيضًا، بل وساعدتها في توضيب أغراضها للسفر!

رد رمزي، وكأنه لم يلحظ طريقتها في استمالته لجانبها ...

كم حقيبة كانت لديها؟

ردت المرأة على الفور ...

حقيبتين فقط من الحجم الكبير، وواحدة من ذلك النوع الذي يحمل في اليد.

هز رمزي رأسه متفهمًا، ثم قال وقد انتهى من أسئلته:

obeikandl.com

سؤال أخير يا م/ إقبال ...

هل وصلت أية أخبار عن (إيلا) تنبئكم فيها بوصولها إلى ألمانيا سالمة؟

تجهم وجه السيدة ، قبل أن تجيب بتخشب تام :

لا ... ولا نود أن نعرف عنها شيئًا.

ترك رمزي القلم الذي كان بيده ، علامة انتهاؤه بالفعل من ذلك الاستجواب، قائلًا في هدوء:

سيدة/ إقبال ...أشكر لكِ تشريفكِ هنا، وحرصكِ على استكمال ما بدأناه بالأمس، كما أشكركِ على صبركِ وصراحتكِ وتعاونكِ!

ابتسمت السيدة في مزيد من الخبث، وهي تقول :

فقط.. لي طلب واحد، أن لا يعلم نهاد أي شيء عن هذه الزيارة مطلقًا، لقد أتيتُ خلسة من وراءه!!

ضحك رمزي بسخرية وعلق مازحًا...

من الواضح أنكم تعيشون جميع أحداث حياتكم خلسة!!

لم تفهم السيدة ما قاله للتو، فنظرت إليه بمزيد من الحيرة ، ثم علقت قائلة:

هل هذه الإجابة تعني ...نعم؟؟

واصل رمزي الابتسام وهو يقول: نعم .

خرجت إقبال من المكتب ، فعاد رمزي يجلس مرة أخرى ، مرددًا في صوت مسموع .

هذه الزيارة ليست بريئة كما يبدو عليها يا إقبال هانم ...

***

ما إن غادرت السيدة إقبال ، حتى رن جرس الهاتف فوق المكتب ، كان يتوقع مكالمة من داخل العمل ...

لكنه تفاجئ بصوت زوجته مها يأتيه عبر الأثير، ممتزجًا بحنق لا حدود له ...

والتي ما إن سمعته يجيب حتى أخذت زمام المبادرة وقالت في شكل مباشر:

أريدك أن تعلم يا حضرة الضابط ، أني مثل أي كائن حي يحب ويكره ، يعشق ويتألم ، ومن السهل جدًّا أن يهمل ...

أريدك أن تأخذني ومشاعري بعين الاعتبار يا سيادة الضابط ، أريدك أن تحترم الأنثى بداخلي ، لكنني أتساءل منذ أيام ...

كيف ستحترمها وأنت لا تكلف نفسك حتى عناء التفكير في سبب مقنع يجعلني أعود معك للمنزل مرة أخرى ، دون أن أفكر مائة مرة عما إذا كان سيتكرر ذلك ؟

ولسخرية القدر تخيل أني انتظرتك ، وأنت لم تأت بل أنا التي أخذت تلك الخطوة وقررت أن أتحدث إليك...

فماذا فعلت أنت يا سيادة الضابط كي تستمر تلك العلاقة ؟؟

أنهت حديثها ، ليسود الصمت فجأة كما بدأ الكلام فجأة ...

كان بالفعل مرتبك بسبب تلك المكالمة غير المتوقعة ، كان آخر ما يتوقعه هو أن تسمعه زوجته تلك الكلمات المؤثرة – نعم – لقد كانت مها محقة في كل ما تفوهت به ...

فهو لم يفعل أي شيء للإبقاء على هذه الزيجة سوى أنه تركها تعتمل على نار هادئة !!

وللمرة الثانية أطرق رمزي برأسه أرضًا ، وهو يمسك بالسماعة ، كان أكثر شيئًا يمقته في حياته هو أن يضعه شخصًا ما في مأزق ، ويدان بالخطأ .

حاول أن يفكر في أي مخرج من هذا الموقف الحرج ، لكن عقله كله كان يتجه صوب القضية .

لذلك قرر أن ينهى هذه المكالمة بأسرع ما يمكن ، وبأقل كلمات من الممكن أن يوجز بها ، تنحنح قليلًا قبل يقول :

أولًا: أعلم أني أخطأت حين تأخرتِ على موعد الغداء ، لكن ذلك ليس سببًا مقنعًا من وجهة نظري لمغادرة المنزل دون أن أعلم ، كما أنني تعمدت تأجيل هذه المواجهة حتى أترك لك مساحة كافية لتهدأ أعصابك جيدًا ...

بدا غير مقتنع بتلك الجملة الأخيرة ، لكنه استطرد مكملًا ...

مها ، أعرف أن هناك صفات سيئة كثيرة تتوافر في شخصي ، لكن الكذب ليس أحدها ، أحبك أنت ويارا ما من شك في ذلك ، لكني أيضًا أحب التركيز التام في كل قضية أتولاها ...

كما أعشق الغوص داخلها بكل جوارحي دون أن يوقظني أحد من ذلك حتى لو كانت زوجتي!!

وأقسم لك بأن هناك قضية هامة جدًّا تشغلني في الوقت الحالي ، حتى أنني لا أستطيع النوم بسببها ، وما إن تنتهي حتى أتفرغ لكِ بشكل كامل وألزم المنزل إلى أن تطلبي أنتِ مني الذهاب إلى العمل .

ظهرت السخرية في صوتها وهي تقول بمرارة:

لطالما سمعت منك هذا الوعد ، وما إن تنتهي قضية حتى تبدأ قضية أخرى بعدها ، لماذا إذن يجب أن أعود بلا شروط يا رمزي هل تعلم لماذا ؟؟ فقط لأني أحبك .

تنهد رمزي وتنفس الصعداء بعدما سمع الجملة الأخيرة ، وقال محدثًا نفسه سرًا:

هاهي أزمة كبيرة تنفرج ، وكأن القدر يساعدني على حل تلك القضية اللعينة !!

وبالفعل انتهت تلك المكالمة أخيرًا في هدوء ، وما إن أغلق سماعة الهاتف حتى انفصل عقل رمزي تلقائيًا عن الواقع الفعلي لحياته الزوجية ، وعاد إلى القضية من جديد ، فقد سيطرت زيارة إقبال هانم الغريبة على مجريات اليوم ، وماهو السر من وراءها ؟

دائمًا ما كان يفضل العمل والتفكير منفردًا ، خاصة بعد أن سافر عصام اضطراريًا لزوجته في الغردقة ، والمراقبة لم تتجاوز الـ24ساعة بعد ، ولم يكن كريم قد أعد شيئًا من التقرير المفصل الذي طلبه منه رمزي .

لذلك فقد تناول بعض الأوراق التي جمع عليها المعلومات الخاصة بالقضية بداية من زيارة سوسن ، وصولًا إلى زيارة إقبال هانم !

وقف أمام لوح الشرح الأبيض المعلق على جدار المكتب ، وشرع في إعادة ترتيب الأحداث حسب طريقة التفكيرالمنطقي ، والتحليل السليم.

حسب رواية سوسن ... فإن زوجها المأفون دخل منزل ذلك الطبيب غريب الأطوار عنوة ، وهم بفتح الخزانة الخاصة بالمنزل ، لكنه فوجئ بجثة امرأة مقتولة ، وقد جحظت عيناها في ذهول.

هرب اللص فزعًا من هول ما شاهده ، لكن بعد معاينة المكان ومقابلة قاطني تلك الفيلا ، أعاد رمزي النظر من جديد في رؤيته حول تلك القضية !!

تذكر اللقاء بينه وبين د/ نهاد ، وكم كان وقحًا فجًا في استقباله له في منزله ، ونظراته القاسية الصارمة التي كان يسددها له ، هو وزميله عصام.

وبلغت الدهشة ذروتها عندما استقبل هذا الصباح في مكتبه السيدة (إقبال المراغي) والدة ذلك الطبيب ، والتي ما إن دخلت حتى بدأت في مدح خصال ولدها الحميدة وأخلاقه الدمثة ...

معللة ذلك السلوك المشين الذي ظهر على ولدها بالأمس ، بأنه يعيش حالة اكتئاب صعبة بعد سفر زوجته كونه إنسان مرهف الحس !!

هنا يصل إلى تلك الزوجة ، كان لديه شعور قوي بأن حل تلك القضية يتعلق بشكل أو بأخر بهذه الزوجة الأجنبية ، شيء ما غامض ومحير كان يكتنف تلك القصة التي سردتها تلك السيدة العجوز .

كان هناك شيئًا ناقصًا ، كما أن هناك العديد من الأسئلة تدور حولها ، لماذا تزوجها رغم اختلاف الديانات ؟ وكيف من الممكن أن يصل الجفاء بين الزوج والزوجة إلى ذلك الحد ؟

ثم مط شفتيه متعجبًا في دهشة ...

هل من الممكن أن تتحسس زوجة من زوجها بعد زواج عامين ؟ خاصة وإن كانت أجنبية !!

كما أنه تذكر أن أحدًا منهم لم يسأل عن سبب وجود رجال المباحث في منزلهم ؟؟

ومن ثم ، فقد لجأ إلى الإنترنت كي يتمكن من معرفة المزيد عن هذه العائلة ، خاصة وأن مشهد الكتب والمراجع القانونية التي تكتظ بها أرفف تلك المكتبة الضخمة ، والتي تحتل جدارًا كاملًا في منزلهم الغامض لم تزل تملأ مخيلته .

وجد بالفعل للعائلة تاريخ عريق ، ولطالما اشتهر رجالها بالعمل في سلك القضاء والقانون .

رفع نظره عن جهاز الكمبيوتر، ونظر باتجاه النافذة ...

تذكر عصام الذي تأكد من زجاج النافذة المثبت حديثًا في الإطار، مما دعم رواية سوسن ، وأيضا الكرسي القابع بجوار تلك الخزنة العتيقة .

كانت روايتها بالنسبة إليه أقرب للتصديق ، بينما كانت رواية الأم بعيدة بالنسبة إليه حتى عن الخيال ، كانت كما لو تسعى جاهدة إلى إقحامها في رأسه رغمًا عنه !!

كانت تعلم جيدًا أن من يري ابنها لأول وهلة ، سوف يتأكد أنه بعيد كل البعد عن تلك الصفات التي تحاول والدته إلصاقها به !!

فرك عينيه بكفيه ، ثم تناول سيجارة جديدة ، ثم استند بمرفقيه على المكتب ممسكًا رأسه بكلتا راحتيه .

ثم بدأ يكتب من جديد ...

تقرير مفصل عن تاريخ عائلة د/ نهاد رستم ، تاريخ مفصل عن حياة تلك الزوجة الأجنبية ، التأكد من سفرها على متن رحلة الطيران .

و كان آخر إجراء كتب في الورقة , استخراج إذن رسمي بتفتيش فيلا (نهاد رفعت رستم) ...

طوى الورقة ووضعها ضمن الملف الذي وضعه بين يديه ، وغادر المكتب في هدوء .

***

الاعتماد على المنطق سلاحًا ذو حدين ، يأتي أحيانًا بالحل ، وأخرى لا ، فليس من السهل ترتيب الخطوات كما سبق أن حدثت من قبل ...

خاصة إذا ما تمت روايتها من خلال أكثر من شخص ، والقيام بالمعادلات الرياضية قد ينتهي إلى لا شيء يذكر في النهاية .

كما أنها عملية معقدة للغاية خاصة إذا ما كانت المعطيات التي بحوزتك مثل تلك المعطيات التي بحوزة ... العقيد /رمزي .

حاول أكثر من مرة أن يفترض صدق رواية سوسن وكذبها ، كما وضع في الاعتبار صدق الأسرة الغامضة وأيضًا كذبهم .

ولكن عقله في الأخير اهتدى إلى أن المذكرة التي وضعها على مكتب مساعده كريم هي التي ستمكنه من حل ذلك اللغز .

وظل ينتظر منه تقريرًا مفصلًا عن المهمة التي أولاها إياه ، وماذا عن عدد المعلومات التي استطاع أن يجمعها عن ذلك الطبيب ووالدته ؟

عاد إلى المكتب في هدوء ، كان بينه وبين نفسه يشعر بالفخر لما استطاع أن يصل إليه حتى الآن في هذه القضية المفككة ...

جلس خلف مكتبه حتى أخذ يفكر– نعم – لقد استطاع أن يكون ملف كامل وقضية قائمة بعينها من مجرد مكالمة هاتفية بين لص وزوجته!!

أغمض عينيه مرهقًا ...

وما إن أغمضها حتى تراءات له العديد من الألوان المتداخلة ، لطالما عشق الألوان والمجلات المصورة ، فهو مذ كان طفلًا لم يكره في حياته ألوان أكثر من الأبيض والأسود .

ربما لذلك انقبض بمجرد دخوله فيلا (رفعت رستم) ، لأن كل ما في المكان ملون بالأبيض والأسود ...

بدأت تلك الألوان تتحرك داخل مخيلته ، وكأنها تتحول إلى حلم جميل ...

استيقظ رمزي من غفوته ليرثي على حاله الذي أصبح عليه ، وقد أدرك بالفعل أن هناك العديد من الأشياء تحدث دون إرادتنا ورغبتنا...

دون أن ندرك لها سببًا أو نعلم لها غاية ، لكنها تهرنا دائمًا بأنها تناسبنا .

وعلى الرغم من أن الكثير من البشر يعترض على أشياء قد تبدو له في الوهلة الأولى ليست مناسبة له ، ولكن بعد فترة من الزمن يتأكد من أن تلك الأشياء ما صنعت إلا من أجله هو .

كذلك العمل , وتلك الأمنية والرغبة الدفينة التي تحققت بالنسبة لحالة رمزي ؛ فهو أبدًا لم يتخيل نفسه إلا ضابط .

واستمرت تأملاته في الانهمار على عقله ، ولم يقطعها سوى كريم الذي دخل إلى المكتب ممسكًا ببعض الملفات بين يديه ، وما إن رآه رمزي حتى بادره بالسؤال ...

هل قرأت الملف الذي تركته على مكتبك صباح اليوم؟

ضحك كريم، وقال مازحًا :

لقد وجدت الملف وقرأت التعليمات داخله ، لكن في البداية اسمح لي أن أستعرض التقرير الذي طلبت مني إعداده بخصوص الاستقصاء عن هؤلاء الناس ...

أولًا ، هم بعيدون كل البعد عن جميع من حولهم ، هؤلاء من نطلق عليهم غير اجتماعيين بالمرة ، حيث إن الأم تتجنب التحدث مع الناس كافة ، رغم حرصها الدائم على التواجد مع الخادمة وقت شراء كافة مستلزمات المنزل!

كما أجمع كل الجيران وغيرهم ممن يعرفونهم خير المعرفة ، على بخل هذه المرأة وابنها ، وعشقهم غير الطبيعي للمادة !

أما بخصوص الزوجة الأجنبية ، فقد كانت تختلف عنهم كثيرًا ، حيث ذكرها الجميع بشيء من الحب والتقدير ...

obeikandl.com

وقد أكد كافة الجيران على أن ما حدثت في الفترة الأخيرة لم تكن قط شجارات عادية ، بل كانت أقرب إلى صراعات تديرها تلك المرأة العجوز بمهارة شديدة .

أطرق رمزي قليلًا، ثم علق بهدوء ...

أريد أن أسألك سؤالًا واحدًا ، لكن بعيدًا عن الملف ؟

ماذا عن رأيك أنت في هذه القضية ؟ هل بالفعل هناك شبهة جنائية تفوح منها ، أم أن تلك الزوجة عادت إلى وطنها بسلام ؟

ابتسم كريم بثقة ، ثم قال بحماس ...

رغم أنني لم أكن معك في تلك الزيارة الميدانية بالأمس ، لكن من خلال صوتك على الهاتف عندما تحدثت مع حسن استطعت أن أستشف أن الحالة المزاجية لديك تعكس انطباع غير جيد عن تلك العائلة ، وإلا ما كنت طلبت مني إعداد هذا التقرير ...

أما بخصوص رأيي الشخصي ...

فأنا أرى أن احتمالية وجود شبهة جنائية من عدمها متساوية ، حيث أن عملنا عودنا على أنه ليس هناك ما يسمى الجريمة الكاملة ، وأنه مهما بلغ ذكاء المجرم وتخطيطه الجيد ، فإنه وعلى الرغم منه سيترك وراءه أثرًا ، أو دليلًا ما.

هز رمزي رأسه متفهمًا، ثم مال إلى الأمام وهو يقول :

عليك إذن أن تنفذ ما تم تدوينه في الملف ، أريد منك تقريرًا مفصلًا عن تاريخ هذه العائلة ، وأيضًا عن تلك الزوجة الأجنبية قبل وبعد الزواج من ذلك الطبيب .

واترك لي أنا استخراج الإذن الرسمي بتفتيش تلك الفيلا ، وليكن ذلك اليوم .

***

قلوب مريضة ...

عاد كريم إلى مكتب رمزي مرة أخرى بعد انصرافه بحوالي خمس ساعات ، كان خلالها استطاع ذلك الأخير استخراج الإذن الرسمي بدخول تلك الفيلا الغامضة .

لكن قبل أن يتحرك مع القوة التي أمر بإعدادها ، فضل أن يستمع إلى ما أتى كريم على ذكره في الملف الذي يتضمن السيرة التاريخية لتلك العائلة .

وكم كان محقًا في هذا الانتظار ، حيث بدأ كريم الاسترسال في قراءة التقرير...

تلك العائلة لم تزد في يوم من الأيام عن كونهم ثلاث أفراد ، حيث أن تلك المرأة (إقبال المراغي) تزوجت في عمر الـ 22 عام من المستشار

obeikandl.com

(رفعت رستم)عام 1962، الذي كان بدوره في الـ30 من عمره، ومن ثم أنجبت (نهاد) بعد ثلاث سنوات من الزواج .

ثم توفي الزوج إثر أزمة قلبية عام 1983، وكان عمر نهاد في ذلك الحين حوالي الثامنة عشر .

تزوج الطبيب وهو في الـ32 من العمر، من (سلوان) الزوجة الأولى ، وهي ابنة لعائلة كبيرة جدًّا في بورسعيد ، والدها كان من كبار التجار هناك حيث كان يمتلك ثروة ضخمة .

وسلوان وريثته الوحيدة ، وبعد وفاة الأب مباشرة قام محامو العائلة بتصفية كل الأعمال ببورسعيد ، لتنقطع كل علاقة بين الزوجة وأهلها تمامًا !

وقد حدثت الوفاة بعد عامين من زواج نهاد وسلوان ، وبعد عام واحد فقط توفت سلوان نفسها نتيجة أزمة قلبية ألمت بها ، ليصبح نهاد أرمل في عمر الـ35.

استوقفه رمزي للحظات ، قبل أن يسأل في اهتمام...

كيف تم التعارف بين رمزي وسلوان ؟

صمت كريم امام هذا السؤال ، وردد في ذهول :

في الحقيقة ليست لدي أدنى فكرة عن تلك المعلومة يا سيدي ، لكني على اتصال بوحداتنا ببورسعيد للتحري عن الأسرة ، أو بالأحرى ما تبقى منها .

و قد ظل نهاد أرمل لمدة حوالي 13 عام ، قبل أن يلتقي (انجيلكا) تلك الزوجة الأجنبية ، التي كانت تعشق الحضارة الفرعونية نتيجة ولادتها هنا في مصر، وتحديدًا (مدينة الأقصر) ، لذلك دائمًا ما كانت تأتي لقضاء فصل الشتاء في مصر.

وقد التقت بنهاد أثناء أحد زياراتها لمصر، وتحديدًا منذ ثلاث أعوام تقريبًا ، وقد رافقتها خلال تواجدها في مصر صديقة لها سافرت إلى ألمانيا بعد زواجها بحوالي ستة أشهر .

قليلون جدًّا من الفندق هم الذين استطاعوا أن يتذكروها ، كانت تتمتع بجسد ضخم ، منطوية بعض الشيءعلى نفسها ، وقلما كانت تترك الهاتف من يدها .

هز رمزي رأسه علامة الاستيعاب ، وكاد أن يسأل سؤالًا ما ، لولا دخول العسكري ينبأ رمزي أن القوة قيد الاستعداد ، لذلك تراجع رمزي عن سؤاله وقام من خلف مكتبه ، ونظر نحو كريم نظرة ساخرة ...

سوف أعرفك الآن على أسوأ طبيب عيون من الممكن أن تتعامل معه في يوم من الأيام .

ابتسم كريم، ثم سأله مازحًا؟

ولم كل هذا العبوث ؟

رد رمزي متهكمًا ...

لم أنجح في استخراج إذن دخول وتفتيش ، فقط استطعت أن أستخرج إذن للدخول والاستجواب , سيادة النائب غير مقتنع بالقضية !

مشيا معًا بسرعة حتى بلغا سيارات القوة ...

وقد كانت الساعة جاوزت الخامسة مساءًا بعشر دقائق تقريبًا ، عندما وصل رمزي وكريم إلى الفيلا ، طلب رمزي من القوة أن تظل بعيدة حتى يطلب تدخلهم عبر اللاسلكي بنفسه .

والمدهش أن تكرر نفس المشهد الذي حدث بالأمس ، بدون زيادة أو نقصان ، بداية من الجرس ، وحتى الولوج داخل الفيلا !

ما إن وجدته المرأة العجوز أمامها وجها لوجه من جديد ، حتى ابتسمت في ضيق ، لكنه بادرها قائلًا :

آسف للحضور بدون موعد مرة أخرى ، لكن أخشى ما أخشاه أن الإذن الرسمي لم يأخذ وقتًا طويلًا كما كنت أظن ، لذلك من الممكن أن تعتبري هذه الزيارة رسمية بعض الشيء .

نظرت له السيدة بشيء من الريبة ، ورددت في حذر:

لحظات سيكون ابني هنا .

هز رمزي رأسه علامة الإيجاب ، قبل أن يقول :

فليأخذ وقته كاملًا ، لأني أعتقد أن الحديث هذه المرة سيستمر لأكثر من خمس دقائق ...

فهمت المرأة ما يرمي إليه بتلك الكلمات ، فقد توعد لولدها بالأمس ، وقرر أن يلقنه درسًا كي يحرجه ويجبره على التعامل معه بشكل جيد .

ومرت الدقائق ثقيلة بعض الشيء ، واقترب كريم من أذن رمزي ليهمس فيها :

ما هذا المكان الغريب ؟ إن الفيلا تبدو صامتة بشكل مرعب ، رغم أن الشارع في الخارج مكتظ بالأصوات والناس ، ورغم ذلك أنا عاجز عن سماع أي شيء ، كما لو أنني عبرت حاجزًا زمنيًّا ...

إنها لمكان مثالي لارتكاب أي جريمة !!

و استأنف متسائلًا ...

ما هذه الصور القديمة على الجدران ؟ يصعب تمييزها إذا ما كانت لوحات زيتية أم صور ضوئية باهتة بفعل عوامل الزمن !!

و بينما يتناقشان تناهى إلى سمعهما نزول الطبيب ووالدته ، وكان نهاد هو من بدأ بالحديث فقال في ضجر:

بداية أنا أرغب في رؤية ذلك الإذن الرسمي الذي تحدثت عنه ! كما أنك لن تستطيع استجوابي إلا في ظل وجود المحامي الخاص بي .

ظهر شبح ابتسامة على وجه رمزي ، ثم ضم شفتيه داخل فمه كي يمنع الضحكة التي كادت أن تفلت منه رغمًا عنه ، ثم قال في برود مماثل موجهًا حديثه إلى كريم ...

هل من الممكن أن تطلع د/ نهاد على الإذن الرسمي يا كريم؟

أما بخصوص الطلب الثاني لك د/ نهاد ...

أنا لا أمانع وجود ذلك المحامي ، لكن لك أن تعلم أن وجودي في منزلك لا يحتاج إلى محامي على الإطلاق ...

إن دوره يأتي عندما تشرفنا أنت بالزيارة ، ثم صمت قليلًا قبل أن يضيف ببرود ... قريبًا !!

ظهر الضيق واضحًا جليًّا على وجه نهاد ، ثم أطلق نفسًا عميقًا وهو يطلع على الإذن الرسمي في يد كريم ، قائلًا في عصبية واضحة ...

إن ذلك الإذن للاستجواب داخل الفيلا فقط، و ليس للتفتيش !

رفع رمزي حاجبيه في دهشة من القوة والصلابة الذهنية التي يتمتع بها ذلك الطبيب ، فهو على نقيض ما تصفه والدته بأنه مرهف الحس !!

لذلك فقد رد رمزي بهدوء :

نعم بالفعل ، لدي قوة في الخارج ، لكنها لن تتدخل قبل أن يتم استدعاؤها .

علق نهاد ساخرًا ...

إذن ! هل من الممكن أن تسرع في أسئلتك ؟

رد رمزي في آلية وبرود ...

السرعة تعتمد على إجابتك على أسئلتي ، أما الصمت لن يفيد أحد ، أنت هنا يا د/ نهاد سيد القرار ...

لم تخف إمارات التقزز والتأفف على وجه الطبيب ، بل كانت واضحة ظاهرة للعيان ، لكنه لم يجد أمامه مفر من الانصياع إلى أوامر رمزي .

كان الأمر أشبه بالتحدي ، أو مباراة في الأعصاب بين ندين قرر أحدهما تحطيم غرور الآخر ، وقد لاحظ كريم ذلك التغيير في سلوك رمزي في التعامل ...

فهو يعلم طباعه جيدًا ، بل ويحفظها عن ظهر قلب ، ويدرك تمامًا انه لا يتعامل بذلك الجفاء إلا اذا كان يتعمد إذلال شخص بعينه .

بداية من انتقاؤه للألفاظ المستفزة التي من الممكن أن يستشيط لها عقل الطبيب غضبًا ، وصولًا إلى الردود الجافة الحادة من الجانب الآخر .

وقتها فقط أدرك كريم السبب الذي جعل رمزي يصر على استخراج إذن رسمي بدخول تلك الفيلا !

استقر نهاد على الكرسي بجوار الخزانة ، والذي يفترض أن يكون جابر شاهد الجثة جالسة عليه ، عقد ذراعيه أمام صدره في تحد مماثل ، قائلًافي برود :

سل ما بدالك ، كلي آذان مصغية .

جلست الأم بجوار ابنها في ثقة ، ثم قالت هي الأخرى في اعتداد :

لك أن تسأل أيها الضابط عما يحلو لك ، إن ابني طوع بنانك كما سبق وأخبرناك ليس لدينا ما نخفيه !!

هز رمزي رأسه في شك ، وقال في تحد واضح :

هذه وجهة نظرك أنتِ ، أما القانون فمن الممكن أن تكون له وجهة نظر مغايرة !

هنا تدخل نهاد ، سائلًا في صدق :

هل من الممكن أن نفهم حتى سبب وجودك هنا ، وأسباب مطاردتك لنا كل يوم ؟

رد رمزي بسرعة ، وتلقائية :

ذلك ما أود أن أسألك إياه د/ نهاد ، هل هناك أي محاولة للسرقة حدثت في منزلك ليلة الثلاثاء الماضي ؟

ودون أن يبتعد نظر الطبيب عن وجه رمزي ، رد بكلمة واحدة قاطعة : لا

أمسك رمزي بذراع نظارته في حركة تلقائية ، وهو يسأل مرة أخرى :

هل أنت متأكد من ذلك د/ نهاد ؟ لدي من المعلومات ما يؤكد وجود لص بمنزلك تلك الليلة !

هز نهاد رأسه نافيًا وهو يقول :

أؤكد لك أن المعلومات التي لديك خاطئة يا سيادة الضابط ، وإذا كانت صحيحة فإنني بالتأكيد سأكون أول من يطلب الشرطة ، ولن أنتظر حتى تأتي الشرطة إلى منزلي لتخبرني بذلك !!

كان كريم ينتقل بنظره بين الاثنين ، كي يعرف ما هي الورقة التالية التي سيحاول رمزي الضغط بها ، عندما وجده يسأل في برود مصطنع :

لكننا قبضنا بالفعل على اللص يا د/ نهاد ، وقد قدم إلينا وصفًا تفصيليًا للمنزل ، قد يكون ذلك هو الشيء الذي يجعلنا متأكدين بنسبة 100 % من دخوله الفيلا ...

ثم مال بجسده إلى الأمام ، كأنه سيفصح عن سر خطير، ليقول هامسًا :

حتى إنه اقتحم المنزل من خلال تلك النافذة ، وأشار بيده نحو النافذة التي دخل منها جابر!

لم يبد على نهاد أو والدته أي تأثر بما قاله رمزي ، بل وعلى العكس فقد ابتسم نهاد لأول مرة ، وهو يقول بهدوء :

أرى أنك قد حددت كل شيء يا سيادة الضابط ! ليلة السرقة ، التوقيت ...

كما أنك حددت المكان الذي دخل منه اللص ، بالإضافة إلى أنك تزعم القبض عليه !

إذن لماذا تتولى التحقيق معنا نحن ؟ أليس من الأولى التحقيق مع اللص ؟ بل واسترداد المسروقات التي بحوزته وإعادتها إلينا ! أليس ذلك واجب رجال الشرطة يا سيادة الضابط؟

الآن فقط أدرك رمزي دهاء نهاد الشديد ، فقد كان يستخدم أسئلة رمزي بشكل عكسي جيد ، مما جعل والدته تبتسم في سخرية ، وتعلق في لؤم صريح :

نعم ، من فضلك يا حضرة الضابط نحن بحاجة إلى عودة تلك المضبوطات إلينا ، فنحن في أشد الحاجة إليها !

شعر رمزي بالغيظ كونه أصبح موضع سخرية من تلك العجوز الشمطاء وولدها المغرور، فقال في خبث مماثل :

للأسف يا سيدتي فأني لن أستطيع أن أعيد إليكم تلك المضبوطات ، لأنكم وببساطة شديدة تنكرون وقوع جريمة السرقة أساسًا !

و استأنف سريعًا ...

لكن أنا لدي سؤال آخر للدكتور/ نهاد ...

هل لديك في منزلك جهاز إنذار حديث يا دكتور؟

كانت نظرات الشماتة والسخرية لم تمح بعد عن وجه نهاد الذي رد في تلقائية وطبيعية :

لا ، ليس لدي .

حك رمزي شعر رأسه في حركة توحي بالتفكير ، قبل أن يسأل مستنكرًا:

عذرًا ، لكن ذلك الزجاج الذي يوجد بالنافذة المنشودة ثبت حديثًا ، وذلك واضح من خلال اللون ، النقاء والبريق الشفاف المختلف عن نظيره المقابل له ، كما أن هناك بعض التقشرات في لون الطلاء ...

مما يثبت نظرية أن الزجاج تحطم بالفعل !! فما هو ردك على ذلك أيضا د/ نهاد ؟؟

كاد نهاد أن يجيب عن ذلك السؤال ، لكن والدته أشارت إليه بأنها هي التي سترد على هذا السؤال ، قائلة في سخرية :

obeikandl.com

اسمح لي يا سيدي أن أجيب أنا عن هذا السؤال ، لأن أنا السبب فيما حدث ...

فقد طلبت من نهاد قص بعد الأغصان والفروع التي كانت تشوه منظر النافذة من الخارج ، وبالفعل وضع السلم الحديدي وصعد عليه وتخلص من جميع الشوائب ، وشذب كافة الفروع ثم شرع في الدخول للمنزل .

وفجأة تعثر في حجر بالحديقة ، مما أدى إلى اختلال توازنه ، واهتزاز السلم الذي بين يديه ، قبل أن يقع بدوره على النافذة الزجاجية ويحطمها ...

بدت الرواية منطقية بالنسبة إلى كريم الذي اكتفى بالجلوس صامتًا ، لمشاهدة ذلك التحقيق العجيب ، لكن ما لفت انتباهه بالفعل هو الإجابات المنطقية لكلا المتهمين ، كما أن والدته لم تكن تكذب عندما تحدثت عن وسامة ولدها ؛ لقد كان نهاد وسيمًا بالفعل !

لكن ظل تركيز رمزي على إقبال هانم ، خاصة وهي تتحدث ، وبدون سابق إنذار وجه حديثه نحو نهاد الذي كان يستمع بكل خشوع إلى ما تقوله وتشهد به والدته ، مما جعله يجفل قليلًا في بداية الأمر، وقد تفاجأ بسؤال رمزي الموجه له :

وأنت يا د/ نهاد ، هل أنت معتاد على ذلك النوع من الأعمال التي تحتاج إلى سلم حديدي ، ومقص ، باعتبارك طبيبًا وما إلى ذلك ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه نهاد القاسي ، وهو يعلق في هدوء :

نعم ، إنني أمتلك المهارة لاستخدام المقص والسلم ، بل وإلى المطرقة والمسامير إذا ما اقتضى الأمر ...

ثم لماذا نذهب بعيدًا ، فأنا الذي قمت بتغيير لوح الزجاج عندما تحطم!

واستأنف مسرعًا ...

و قبل أن تسأل فإننا (أنا ووالدتي) لا نحب دخول الغرباء إلى منزلنا ، خاصة هؤلاء العمال ، فإنهم فضوليين ، ولصوص بالفطرة ، لذلك فقد ترعرعت وأنا أصلح أي شيء في المنزل بيدي، دون الحاجة إلى أي أحد ، إلا في حالة الضرورة القصوى !!

ضحك رمزي بصدق وهو يقول :

و ما هي حالة الضرورة القصوى؟

رد نهاد في الحال ، دون تفكير:

عدم قدرتي على حل المشكلة بنفسي ، وحتى الآن لم تواجهني أي مشكلة عجزت عن حلها بنفسي !!

كاد رمزي أن ينفجر غيظًا ، قبل أن ينظر إلى المرأة مرة أخرى معتذرًا في أدب :

أرجو المعذرة فقد قاطعتك أثناء روايتكِ ، أرجو أن تكملي:

صمتت المرأة قليلًا قبل أن تواصل ...

ليس لدي ما أكمله ، فقد أكمل نهاد ما بدأته ، لذلك أرجو أن تكون إجابتي أفادت سيادتك يا حضرة الضابط ، فإنا وكما سبق أن أخبرتك من قبل لم يكن لدينا ما نخفيه عن حضرتك .

فنحن نحترم القانون ، وقلما اشتكى منا الجيران ، كما أننا عائلة محترمة ولها تاريخ عريق ، ولكن ما يؤرقني بالفعل إصرارك الواضح على التعنت معنا في كل شيء ، وأيضا قصة السرقة الغريبة التي لم تتم !!

سيطر الصمت لبرهة على الغرفة التي يجلس فيها الجميع ، كانت النظرات بين الأم وابنها تقضي بإغلاق التحقيق معهما نهائيًا في تلك القضية .

بينما كانت النظرات بين رمزي وكريم توحي بالشك والريبة خاصة بعد أن قضت الأم على آخر أمل كان رمزي يعتمد عليه ، ثم فجأة تذكر الخادمة .

فرفع رأسه في ثبات ، وسألها بطريقة خاطفة :

و الخادمة ؟ هل كانت موجودة في تلك الأثناء؟

ارتبكت الأم بعض الشيء وهي تقول مسرعة :

سعاد ! لقد كانت موجودة أثناء وقوع ذلك الحادث ، بل لقد ساعدت نهاد في تركيب الزجاج .

لم يخف على رمزي تلك النظرة السريعة التي لمحها بين الأم وابنها، لكنه لم يكن يستطع الضغط عليهم أكثر من ذلك ؛ فقد كانت الإجابات التي أدلو بها مرتبة للغاية ، حتى أنه كاد أن يصدقها في بعض الأوقات.

ثم سأل بفضول:

و أين هي سعاد ؟

ابتسمت الأم في خبث ، وهي تقول في تلقائية :

إنها تغادر في الخامسة بالضبط كما أخبرتك من قبل ، بل وبإمكانك أن تضبط عليها ساعتك تلك المرأة الخبيثة ...

إنها تتأخر فقط عند الوصول في الصباح ، أما عند الرحيل فإنها تحتسب الوقت بالدقائق والثواني !!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه رمزي، ثم قال وهو يهم بالنهوض من مقعده .

ومن منا لا يفعل ذلك ؟!

ثم قال وهو يغادر في هدوء :

obeikandl.com

أرجو أن لا أكون قد أثقلت عليكم في هذا التحقيق الودي يا إقبال هانم ، كما أعتذر على الازعاج يا د/ نهاد .

ابتسمت إقبال ، قبل أن تتنفس الصعداء قائلة في صدق :

نرجو فقط أن نكون وفقنا في الإجابة عن كل التساؤلات التي كانت تدور في ذهنك يا سيادة الضابط .

نظر لها رمزي دون إجابة ، بل وجه نظره نحو نهاد ، الذي قال بدوره وهو يغادر الغرفة بحدة :

أنا لا أعتبر اقتحام المنازل بمذكرة رسمية شيئًا وديًّا ، لذلك أنا أرفض اعتذارك ، وأتمنى أن لا أراك مرة أخرى مجددًا في هذا المنزل !

ذهلت المرأة من ذلك الرد الهجومي ، وعبثًا حاولت الاعتذار لرمزي في لهجة هامسة ، لكنه غادر المنزل قائلًا في تحدٍ :

سوف أختلق المشكلات كي أقتحم منزلكِ يا إقبال هانم ، وعليكِ أن تتذكري وعدي هذا ، بل وتذكري به ابنك الهمام .

قطبت المرأة حاجبيها في غضب ، قائلة في تحد :

هل هذا تهديد لأمننا يا حضرة الضابط ؟

علا صوت رمزي وهو يقول في قوة :

لدي شاهد إثبات بأن جريمة ما وقعت في هذا المنزل ، ولن أتراجع قبل إلقاء القبض على المجرم ، وإعدامه .

قال جملته الأخيرة ، وغادر مسرعًا بجوار كريم في عصبية واضحة ، فقد نجح نهاد في الجولة الثانية أيضًا .

بل لقد كان سببًا في أن يكشف أهم أوراقه ، ويفضي لهم عن السبب في إصراره على التحقيق معهم ، كما أنه فقد عنصر المفاجأة ، وهو ما كان يعتمد عليه بشدة في التعامل مع المجرمين في سائر القضايا التي حقق فيها.

فإن ذلك العنصر يكون دائمًا في صالحه هو، أما الآن فقد بات الأمر معقدًا بعد أن استفزه ذلك الطبيب العنيد مرة أخرى مستغلًا ثورته وغضبه !

نظر له كريم بدهشة ، ثم قال معلقًا ...

ما الداعي وراء ذلك التصريح الأخير ؟ لقد كشفت لهم به كل أوراقك ؟ أصبح بإمكانهم الآن أن يحتاطوا من أي شيء يخص ذلك الموضوع .

كان الضيق والغضب واضحان على وجه رمزي بما يكفي ، لذلك لم يجب على سؤال كريم الذي كان محقًّا فيه كل الحق ، و لم يلح عليه كريم في التأنيب أو إلقاء اللوم .

***

الافتراض العكسي...

كانت القضايا لدى رمزي أشبه بعلم الرياضيات معطيات ، مطلوب ، وبرهان !!

و في تلك القضية كانت المعطيات ثابتة ، وواضحة للعيان ، أما المطلوب فقد كان ينأى بنفسه عن الوقوع في الفخ ، وقد أصبح الآن يتمتع بمزية إضافية تنبأه عما يحاك ضده ، والجريمة التي هو بصدد التحقيق معه فيها .

وعندما تذكر رمزي تلك النقطة تملكه غضب عارم من تسرعه ، واستسلامه أمام انفعاله ، وعدم تحكمه من ضبط نفسه بالشكل الكافي .

كانت كل الفرضيات التي وضعها في تلك القضية الغريبة تم بناءها على مكالمة هاتفية من لص خزائن مأفون لزوجته التي سبق أن حكم عليها أيضًا في قضية احتيال حتى وإن كانت بريئة منها فهذا لا يبرر اقترانها بلص عتيد الإجرام .

وقد قام بكل التحريات بناءًا على صدق تلك الرواية ، أما الآن وقد وصل إلى طريق مسدود ، فليس أمامه سوى اختيار الحل الآخر وهو كذب تلك الرواية !

لذلك قرر أن لا يضيع مزيدًا من الوقت ، وغادر المكتب متجهًا بسيارته إلى منطقة وسط البلد ، فقد كانت المواجهة مع سوسن في هذه المرحلة من التحقيق ضرورية وحاسمة .

كانت عقارب الساعة تقارب التاسعة مساءًا ، عندما سمعت سوسن طرقًا خفيفًا على باب غرفتها ، فتحت الباب بعفوية ، فهي لا تتوقع أحدًا مهمًّا !

كانت ترتدي بعض الملابس الخفيفة التي تتناسب وذلك الطقس الحار، وما إن رأت رمزي حتى أغلقت الباب مرة أخرى ، حتى تتمكن من ارتداء (روب) في سرعة كبيرة ثم تفتح الباب مرة أخرى .

كانت ملابسها رقيقة الحال إلى حد كبير، وتفوح من الغرفة رائحة رطوبة هائلة ، اقترنت برائحة القهوة التي كانت تعدها سوسن ، والتي بادرت بقولها :

كنت أعد فنجانًا من القهوة ...

هل أعد لك واحدًا ؟

نظر لها رمزي نظرة فاحصة ، كان ارتباكها طبيعيًّا جدًّا بالنسبة إليه .

ابتسم دون أن يجيب على سؤالها ، ثم دخل مغلقًا باب الغرفة في هدوء !

سألته في فضول :

علام الابتسامة ؟ وهل تريد القهوة ؟

جلس على أقرب مقعد إليه ، قبل ان يقول في هدوء ساخر ...

لقد ألقيت القبض عليكِ المرة الماضية في نفس الغرفة تقريبًا ، وكنتِ ترتدين أيضًا نفس النوعية من الملابس الخفيفة الشفافة ، والأغرب من ذلك أنكِ أيضًا كنتِ تعدين القهوة !

لكني أشكركِ على القهوة ، لن أستطيع البقاء طويلًا ، أريد فقط طرح بعض الأسئلة بخصوص تلك القضية الغامضة !

همت بشرب القهوة ، ثم جلست فوق صندوق خشبي متوسط الحجم ، وقد بدى الاهتمام على وجهها وهي تقول :

تفضل سل ما بدالك .

وضع رمزي ساقًا فوق الأخرى، وهو يقول في هدوء :

عندما أتيتِ إلى المكتب ، قصصت علي تلك القصة الغريبة حول اقتحام زوجك أحد المنازل ، وعن وجود جثة داخلها ، وأنا وعدتك بالاهتمام بالقضية بنفسي ...

وقد وفيت بالفعل بوعدي هذا ، وأكبر دليل على ذلك أني اهتديت إلى الفيلا التي زعم زوجك أنه قام باقتحامها ، لكن إليك ما حدث ...

كانت الطريقة التي يتحدث بها تنبأها بأنه سوف يخبرها شيئًا ما، أو أنه يريد أن يصل بالحديث إلى نقطة ما، لذلك فقد بادرته بتساؤل :

هل هناك ما تود أن تصل إليه بتلك المقدمة ؟

ابتسم بفتور ، قبل أن يجيب ...

كما أنتِ لم تتغيري أبدًا ، نفس الذكاء والعناد ! جئت إلى هنا كي أخبركِ أنني حاولت بالفعل ، وبذلت قصارى جهدي ، لكن كافة القرائن تؤكد أن هناك شيئًا ما ناقص في تلك الرواية ...

إن ذلك الطبيب شخص عنيد وصارم للغاية ، ليس من السهل أن تزعزيه عن قراره ، أو تقتنصي منه اعترافًا ، بل تقتنصي منه حرفًا ! كذلك الشمطاء والدته ...

حاصرتهم بالأسئلة من كل جانب ، لكن الإجابات جاءت مقنعة و مرتبة للغاية ...

فهم ينفون تمامًا أي محاولة للسرقة قد تكون وقعت في منزلهم ليلة الثلاثاء الماضي ، بل إنهم يطالبون بالمسروقات ، وأرجعوا تغيير زجاج النافذة إلى وقوع سلم حديدي عليه كما أن لديهم شاهدة على ذلك وهي الخادمة ...

وضعت سوسن كوب القهوة جانبًا , وقالت بيأس شديد :

الخادمة كما أعلم تغادر نهارًا ، وجابر اقتحم المنزل ليلًا ، فكيف بالله عليك تشهد على واقعة تحطم الزجاج ؟

امسك رمزي برأسه ، وهو يحاول أن يعصر ذهنه عصرًا ، ثم رفع بصره ونظر لها قائلًا في هدوء :

لست متأكدًا في الوقت الحالي من أي فرضيات جديدة ، بقدر ما أنا متأكد من شيء واحد ... هو أن هناك من يكذب !

إما أنت وزوجك تخططان لأمر ما ، وتستغلان وجودي للتغطية على ذلك الأمر، أو أن ذلك الطبيب ووالدته من أبرع المجرمين الذين من الممكن أن يتعامل معهم القانون!!

طرقت سوسن برأسها أرضا ، ثم قالت في صوت ضعيف :

لقد كنت بالنسبة لي طوق النجاة الذي من المفترض أن ينتشلني من الحيرة التي أنا فيها ، ومن المعاناة التي يعيشها ذلك المسكين الهارب دون ذنب أو جريرة ...

لقد راهنت عليك ، وعلى ذكاءك وقوة شخصيتك ، لكن من الواضح أنني خسرت ذلك الرهان .

واستطردت قائلة...

وبما أنك في موقع الجريمة الذي تم التخطيط فيه كما تقول ، فبإمكانك تفتيش الحجرة يا حضرة الضابط ، عسى أن تجد الخيط الذي ينقصك حتى تلقي بي وبزوجي في السجن مرة ثانية ...

قالت جملتها الأخيرة وانخرطت في بكاء حار .

تأثر رمزي من ذلك الموقف بعض الشيء ، ولا يعلم لماذا لمس الصدق في تلك الدموع التي انهمرت في غزارة دون انقطاع ، كما أنه كان بالفعل يشعر أنه مدين إليها.

حاول أن يربت على كتفيها ليهدئ من روعها ، لكن النظرة التي رمقته بها كانت بمثابة حافز له كي يحتضنها لا أن يربت على كتفيها فقط .

فقد نظرت له ببراءة طفلة خذلها أبويها ، عندما لم يلبوا لها طلبًا طلبته منهما ، كان ظنها فيه قد خاب ، فقد كان بمثابة الأمل الأخير الذي تعلقت به ، لذلك فقد دفعت يديه بعيدًا ، وأكملت دون أن تنقطع دموعها ...

سوف أتوصل أنا لحل تلك القضية ، حتى لو اقتضى الأمر دفع حياتي ثمنًا لها ، أما إذا كنت لا تزال تصر على كوننا نخطط لشيء ما أنا وزوجي ، فيؤسفني أن أخبرك أن ذلك الخيط لن يصل بك إلى أي شيء ... لأنه الاستنتاج الخاطئ !!

على الرغم من الضعف الذي كانت تبدو عليه ، إلا أن هناك قوة غريبة كانت تنبع من قلبها ، حاول أن يستمد شيئًا من تلك القوة ، والإصرار في صوتها ، ليقول في تحدٍ مماثل :

صدقيني يا سوسن ، أنا لم أخذلك ، لكن هناك بالفعل حلقة ضائعة ، أو رابط مفقود هو الذي سيمكنني من حل تلك القضية المعقدة .

ابتسمت وسط دموعها ، وهي تقول في سخرية :

تلك المشكلة تخصك أنت يا سيادة العقيد ، لكن ما أعلمه جيدًا هو أنك إن لم تسع وراء معرفة تلك الحلقة التي تتحدث عنها فإنها ستزداد تعقيدًا يومًا بعد يوم ...

هز رمزي رأسه موافقًا سوسن على ما قالت للتو، ثم قال بشيء من الحنان والطمأنينة وهو يغادر الغرفة :

لكِ أن تعتبري هذه الزيارة كأن لم تحدث ، كما أنصحك بعدم التواجد نهائيًا في محيط الفيلا ، وسوف أعمل جاهدًا على إثبات وقوع تلك الجريمة .

ومن جديد رأى في عينيها شبح السخرية ، فكرر في إصرار ...

أعدكِ بأنني سوف أحل هذه القضية خلال 48 ساعة فقط لا غير !!

غادر الغرفة وهو يعلم جيدًا أن حل تلك القضية لن يكن سهلًا كما كانت تتوقع ، فهي لم تتعامل شخصيًّا مع قاطني تلك الفيلا المشؤومة كما تعامل هو معهم ...

ورغم ذلك فقد كان على يقين بأنه سيجد الحلقة المفقودة ، التي بدورها ستمكنه من حل تلك القضية ، والإيقاع بذلك الطبيب .

***

أحيانًا إصرارنا في البحث وراء شيء ما ، يجعلنا نغفل عن أشياء أخرى ثانوية ، ذلك لأن كل إحساسنا يكون مركز على تلك الغاية وذلك الهدف .

وفي خضم هذا التركيز قد تعبر من تحت أيدينا أشياء إن تبد إلينا في الغالب فرص لن تعوض .

توقف رمزي بسيارته فوق كوبري (قصر النيل) ، وجلس داخلها يتأمل نيل القاهرة ، وروعة ذلك المشهد المهيب ليلًا ، قبل أن يشرد بأفكاره بعيدًا ، و يتساءل في سكون :

هل من الممكن أن تبتعد الروح عن الجسد و المكان بغية السمو للوصول إلى حل اللغز الذي يستفز عقلك ؟ هل بالفعل للروح درجات قد نترقى فيها حسب نقاء السريرة ؟ أم أنها خاضعة لنظم العقل الذي يمكنه التوصل إليها ؟

خاصة عند الشعور بالخطر فإن الإنسان يشحذ كل قدراته العقلية والجسدية بغية الوصول لما تصبو إليه نفسه .

هكذا هو خلق الله عز وجل ، فقد صنع من الجسد البشري أجهزة ومحركات ، وتلك هي وظيفة الغدة الكظرية التي تفرز هرمون الأدرينالين ، الذي بدوره يحفز كل خلايا الجسم حتى يبث في كافة الأعضاء قوة هائلة جبارة لا يمكن للإنسان أن يتصور نفسه يتمتع بها إلا وقت الحاجة إليها فقط .

تلك هي الحالة التي كان عليها عقل رمزي ، قبيل مغادرته غرفة ذلك البنسيون الحقير، فما إن غادر تلك الغرفة التي تعيش فيها سوسن حتى قرر بينه وبين نفسه وضع نهاية حتمية ، وعاجلة لهذه القضية حتى لو كانت آخر قضاياه .

لم يذهب رمزي إلى المنزل ، بل توجه نحو الإدارة رغم أن الساعة كانت تشير عقاربها نحو منتصف الليل تقريبًا ، لم يكن هناك أحد سواه ، وكان يهوى هذا الجو من العمل !!

ما إن دخل المكتب حتى وجد عليه رسالة من صديقه عصام ، يخبره فيها بأنه قد عاد من تلك الإجازة القصيرة ، عسى أن يلتقي معه غدًا لبحث آخر المستجدات في القضية .

كانت العلاقة بينهما شبه مكملة نوعًا ما ، فكل منهما يكمل عمل الآخر بما لديه من معلومات ، وقد افتقده رمزي حقًّا ، خاصة خلال ذلك التحقيق مما ترك في نفسه أثرًا مشوبًا بالحيرة ...

لذلك فقد فرح كثيرًا بتلك الرسالة الصغيرة ، فقد كان ممن يفكرون على نهج الطريقة الفلسفية القديمة (عقل واحد يفكر أفضل من لا شيء ، وعقلين أفضل من عقل ، وثلاثة عقول أفضل بكثير من عقلين ... وهكذا)

لذلك كان يود بشدة أن يشترك عصام معه في تلك المعركة الذهنية ، لأنه ربما قد يمنعه كبرياؤه من تدخل كريم وحسن مساعديه في تلك القضية .

لم يتمكن من النوم أيضًا داخل المكتب ، لذلك ما كان عليه سوى أن يستمر في الإمعان بطرق أفضل للتفكير عسى أن يجد حلول جديدة ، قد تكون هي الطرق المناسبة لحل هذه القضية .

ربما بالفعل كانت طرق الاستنتاج التي يتبعها منذ البداية ، هي الطرق غير المناسبة مع تلك القضية .

قرر أن يبدأ ببعض المعطيات البسيطة والبديهية ، والتي طلب من كريم التأكد منها ، مثل رحيل أنجيلكا على متن الطائرة كما يزعم زوجها وحماتها ، لذلك يجب التأكد من رقم الرحلة في سجلات المطار .

كما يجب الحصول على عنوانها في ألمانيا ، أو رقم هاتف يمكن التواصل من خلاله للتأكد من عودتها سالمة إلى هناك ، وعلى الرغم من أهمية تلك الخطوة ، إلا أنه لا يدري لماذا لم يتفتق إليها ذهنه من قبل ؟

فقد كانت تلك الخطوة بمثابة المحرك الأساسي في القضية ، حيث إن فيها إبقاء تلك القضية على قيد الحياة ، أو نسفها نسفًا ...

قرر التواصل مع إدارة المباحث العامة في الإسكندرية للبحث عن جابر هناك ، خاصة في الأماكن رقيقة الحال ...

ما إن انتهى من وضع تلك الخطة حتى تناهى إلى مسامعه أذان الفجر، ومعه خيوط الشمس الأولى تنير سماء القاهرة معلنة عن يوم جديد .

حاول أن يحظى على قسط ولو بسيط من النوم ، لكن كثير من الكوابيس طاردته كي تتبخر تلك المحاولات ، محولة إياها إلى ترهات !!

انتظر رمزي حتى رنت الساعة ست دقات ، ثم رفع سماعة الهاتف موقظًا كلًا من كريم ، حسن وعصام ، بغية اجتماع رباعي هام يناقش فيه أهم النقاط التي توصل وحده إليها ، والتي قرر العمل عليها .

***

نحن لا نرى بالبصر، إلا ما نريد أن نراه بالبصيرة ، كما أن العقل لا يتخيل إلا ما يتصوره عقلنا الباطن فقط ليس إلا .

فكثيرًا ما نتخيل ذلك الطائر في السماء وكأنه يتجه نحونا مباشرة ، على الرغم من أنه يحلق مبتعدًا ، ولا يقترب على الإطلاق !!

هذا بالضبط ما حدث في تلك القضية مع رمزي ، على الرغم من اعتقاده أنه يبتعد عنها كل البعد ، ولا يمكنه التوصل إلى أي من الحلول التي قد تدخله مرة أخرى إلى الأجواء بالشكل الكافي ، إلا أنه في تلك المرحلة تحديدًا ، كان في أقرب النقاط للوصول إلى الحل الذي يصبو إليه !!

وما إن اجتمع مع صديقه ومساعديه ، حتى قام بتوزيع المهمات اللازمة عليهم ، وأكد على ضرورة الالتزام بتنفيذها كما يجب أن تنفذ ...

ثم طلب من مساعديه إطلاعه على نتائج التقارير التي طلب منهم إعدادها من قبل ، وقد بدت على ملامحه مزيد من الجدية أنبأت الجميع بالتأهب لحالات الترقب القصوى التي يتسم بها دومًا ، خاصة عندما يكون عكر المزاج .

بدأ كريم قراءة التقرير الخاص بالاستقصاء عن تلك العائلة ، لكن رمزي لم يجد في التقرير شيئًا جديدًا ، كذلك حسن الذي كلف بمراقبة الفيلا على مدار الـ24ساعة .

حتى معلومة الجراج المستأجر بالبناية المقابلة ، كان يعلمها سلفًا , لم يكن هناك جديد سوى معلومة طريفة عن عائلة إقبال فإنهم إناث معمرين فى أعمارهم !

من جديد لم يتفاجأ رمزي من السرد المنطقي الذي احتوت عليه التقارير.

وقف خلف مكتبه ، وقد استحوذ عليه غضب جم ، فكر في أن يوجهه تجاه مساعديه ، ويعنفهم للتقصير .

لكنه تراجع عن تلك الفكرة ، ففي الأخير هم بذلوا قصارى جهدهم ، كما وضع في اعتباره ضيق الوقت .

نظر نحو عصام نظرات ذات مغزى ، لكن الأخير الذي قرأ أفكاره اقترب منه باهتمام ، قائلًا فيما يشبه الهمس :

اذا كنت ستتحرى الدقة في كل ما يخص تلك القضية ، وقبل أن يكمل عصام ، قاطعه رمزي بشيء من العصبية :

لقد ذهبت إلى الفندق وقابلتها يا عصام ، وكنت بصدد هدم تلك القضية برمتها ، لكن شيء ما فيما تقول أقنعني بأن ثمة جريمة أو خطب ما وقع في تلك الفيلا الكئيبة .

طرق عصام برأسه ، قبل أن يكرر هامسًا :

أرى أنك بعد كل تلك السنوات لازلت تضعف أمامها !!

التفت إليه رمزي في شيء من العصبية ، وهمس غاضبًا:

إذن عليك أن تستجوبها أنت بنفسك حتى تتأكد من صدق روايتها ، كي تثق في حكمي وقدرتي على التفريق بين الشاهد والمتهم !

حاول عصام أن يقول شيئًا ما ، أو يعلق على ماقاله رمزي ، لولا أن الأخير وجه كلامه نحو مساعديه في لهجة آمرة:

كريم ، عليك استخراج إذن رسمي بتفتيش غرفة سوسن مصيلحي بفندق (الزهور الثلاث) في منطقة وسط البلد ...

سيكون استجوابها وتفتيش الغرفة مهمتك مع عصام بيه ، ثم نقل نظره نحو حسن قائلًا بنفس اللهجة ...

وأنت يا حسن ، اجمع لي اكبر قدر ممكن من المعلومات عن تلك الزوجة الأجنبية ، سواء في ألمانيا، أو هنا...

المدينة التي كانت تعيش فيها ،أهلها ومنزلها ، محل إقامتها الدائم ، الأصدقاء المقربين منها ، باختصار أريد أن أعلم كل ما كان يدور بحياتها قبل أن تتزوج ذلك الطبيب .

وعليك أيضًا أن تبحث في سجلات تلك العائلة المجنونة ، أريد أن أعرف عنهم كل شيء ، أجدادهم، أسلافهم، تاريخ حياتهم الذي شاهدته معلق على جدران هذا المنزل ... أتفهم ما أقول ؟

رد حسن سريعًا:

نعم سيادتك ، سيكون ذلك التقريرعلى مكتبك صباح الغد ...

لكن رمزي قاطعه في قوة ...

أريد ذلك التقرير على مكتبي قبل الرابعة عصرًا، أفهمت ؟؟

رفع الضابط الشاب حاجبيه في دهشة ، لكنه تابع في قلق ...

سأفعل يا افندم .

تابع رمزي بنفس الوتيرة الآمرة ...

وأنت يا كريم أريد التقرير عن استجواب سوسن ، وتفتيش غرفة الفندق ، في الرابعة عصرًا أيضًا ...

وأنا سأحاول استخراج إذن رسمي لمداهمة تلك الفيلا بالقوة هذه المرة ، عسى أن نجد أي دليل مادي يمكننا من محاصرة هذا الطبيب ، صمت قليلًا قبل أن يكمل في حدة ...

فقط علينا استقطابه إلى هذا المكتب .

ابتسم عصام في شيء من السخرية ، ثم تابع بهدوء ...

بالطبع أنت تريد أن تحضره إلى هنا بأي ثمن !

تبادل كريم وحسن النظرات بشيء من الريبة ، فاستطرد عصام موضحًا ...

obeikandl.com

لم يدخل متهمًا إلى هذا المكتب طوال المدة التي عرفت فيها سيادة العقيد ، حتى اعترف بجريمته التي تم اتهامه بها !

هنا وضع يده على كتف رمزي في شيء من الود و الصداقة ، قبل أن يكمل مازحًا ...

إن لديه القدرة على محاصرة المجرمين بطريقة خاصة به ، وهو يتلهف بشدة لأن يجلس د/ نهاد على ذلك الكرسي ...

نظر له رمزي بمزيد من التصميم ، ثم قال في قوة ...

سيجلس ...

انتهى الاجتماع العاجل في الثامنة صباحًا ، خرج بعد ذلك الجميع وقد تركوا رمزي وحيدًا في المكتب كما كان من قبل ، وفي ذهنه فكرة واحدة...

كيفية استقطاب د/ نهاد إلى المكتب ؟؟

***

كانت الطريقة التي يفكر بها رمزي تدفعه إلي الجنون في أغلب الأحيان ، على الرغم من إيمانه بقوة إحساسه ، وثقته في حدسه تجاه الأمور التي تخص عمله ، إلا إنه في نفس الوقت كان يعتمد الشك فيها إلى أن يتأكد من كذب تلك الشكوك ، أو كذب إحساسه !!

obeikandl.com

لم يذق طعم النوم منذ عدة أيام ، شعر بجفناه يتراخيان لا إراديًا ، حاول أن يطلب مزيدًا من القهوة ، لكن خيل إليه أن أشد أنواع المنبهات لن تجدي نفعًا معه ...

كما أنها لن تفلح في إيقاظ ذهنه ، أو جعله يتقد من جديد ، لذا آثر السلامة ، وتمدد بجسده على الأريكة الجلدية الموجودة بالمكتب ، ولسان حاله يقول ...

أبدًا لن أتمكن من إيجاد تلك الحلقة المفقودة ، وانا بهذه الحالة المزرية ، ما إن وضع جسده على الأريكة حتى راح في سبات عميق ، حتى أن عقله لم يناقشه .

طوال خمس ساعات لم يشعر رمزي بشيء ، إلا و عصام يقف على رأسه يوقظه مازحًا ...

أرى أنك تكثف جهودك لحل القضية !!

كان الضيق واضحًا على وجه رمزي بشدة ، خاصة بعد أن أخبره عصام بأن الساعة تجاوزت الخامسة بقليل .

واندهش كيف لم يسمع صوت المنبه الذي ضبطه قبل النوم !

حاول عصام أن يخفف من حدة توتره ، في جدية واضحة ...

رمزي إنك ترهق نفسك في تلك القضية أكثر من اللازم ، و أوافقك أن ذلك الطبيب يستحق أكثر من ذلك، لكنك لم تشعر بالوقت الذي مر عليك وأنت مستغرق في النوم .

ردد رمزي في لهجة آليه ...

إنها تطاردني حتى في أحلامي يا عصام !

جلس عصام بجواره ، وردد في حسم ...

وأنا بعد مقابلة سوسن أستطيع أن أجزم لك أن تلك القضية تسير بنا إلى طريق مسدود .

فرك رمزي عينيه في إرهاق، قائلًا في وهن :

هل أعددت التقرير؟

هز عصام رأسه إيجابًا ، قائلًا في هدوء :

كريم يعد التقرير، وكذلك حسن ، يقول أن لديه أخبار جيدة من الممكن أن تفتح لنا طرقًا جديدة ، لكني أشك في ذلك !!

هز رمزي رأسه دليلًا على استيعابه الجزئي ، قائلًا في هدوء :

ماذا دار في تلك المقابلة مع سوسن؟ هل هناك جديد بعد تفتيش الغرفة ؟

ابتسم عصام في هدوء ، ثم رفع سماعة الهاتف ...

طلب قدحين من القهوة المركزة ، ثم نظر إلى صديقه نظرة غامضة ...

ما دار في الغرفة لا يحكي إلا بعد أن تستعيد وعيك كليًا، ثم غمز بعينه وقال مكررًا ...

ألم أقل لك أنك لا تزال تضعف أمامها !!

ابتسم كليهما في سخرية ، وجلسا في انتظار القهوة ...

***

تعتمد قوة الشخصية في الأساس ، على القدرة السليمة في اتخاذ (القرار) وسرعة تنفيذه .

ولم يكن هناك شخص أسرع من رمزي في تلك الميزة ، لكن ما كان يضيق الخناق عليه هو أن د/ نهاد هو الآخر كان يتميز بشخصية تشابه رمزي إلى حد كبير.

عنيد بشكل لا حدود له ، متشبث برأيه ، مراوغ ومناور جيد ، لكن ما كان يؤرقه حسمه لقراراته بشكل قاطع .

لطالما أرقه بالفعل ذلك النوع من المتهمين ذوي الثقافة والعلم ، يستنزفون طاقته ويرهقونه جدًا ، خاصة إذا كانت لديهم خبرة قانونية

، يعلمون الكثير عن الحق المدني لهم فيما يخص التعامل مع ضباط الشرطة أو التزام الصمت التام .

وقد كان (نهاد) من ذلك النوع ، حاد الطباع عدواني ، واثق بنفسه قليل الكلام...

كما لديه خبرة ودراية طفيفة بالقانون، خاصة عائلته جميعها تنتمي لسلك القضاء والقانون .

لكن ما يثيرالدهشة هو أن معظم تلك الصفات تتوافر أيضًا في شخص رمزي ، عنيف حاد الطباع خاصة فيما يتعلق بالعمل ، كما أنه يجيد التعامل بالشد والجذب مع المتهمين خلال التحقيقات .

وكم كان صعبًا عليه التعامل مع شخص ما قريب الشبه منه إلى ذلك الحد ، لقد أختلط الأمر وأصابه بشيء من الارتباك !

فليس هناك أفضل من التعامل مع أناس تجيد قراءتهم بشكل كافي ، تتنبأ بتصرفاتهم ويكونون أمامك كالكتاب المفتوح ، أما من يسيطر الغموض على كلماتهم وأفعالهم ...

فإنك تتخبط فيما يقولون ، وتضطر أن تضعه في كافة الاحتمالات والخيارات .

أربكت تلك القضية رمزي بشدة ، بل وكادت أن تصيبه بالجنون ، كانت ثقته التامة بنفسه تزداد يومًا بعد يوم ، وأنبأته بقدرته على التوصل إلى حلها ، إلا أن عامل الوقت كان هامًّا جدًّا.

لقد طرده ذلك الطبيب من منزله مرتين متتاليتين ، لذلك فقد اصبحت مسألة رد الاعتبار بالنسبة إليه ضرورة عاجلة لا يمكن التهاون فيها .

أسرها بينه وبين نفسه ، وأبى أن يعترف بذلك لأحد ، حتى عصام الذي جلس يحتسي القهوة معه في هدوء، وبدأ الحديث ...

في بداية الأمر أنا مدين إليك باعتذار ، لأن كل ما استنتجته منذ البداية كان صحيحًا ، إن سوسن صادقة تمامًا في كل ما تفوهت به ، ولعل ما يؤكد روايتها تلك الرسالة التي تسلمتها بمحض الصدفة أثناء تفتيشنا لغرفتها ...

انتبه رمزي كليًّا إليه ، ثم حثه على الاستطراد ...

بينما كنا نفتش الغرفة سمعنا بعض الأصوات تتعالى باسمها عبر الرواق ، ثم طرقات خفيفة على الباب ...

فتحت أنا باب الغرفة لأجد طفل يحمل رسالة بلا أي طابع أو عنوان ، أخذت منه الرسالة وقرأتها ...

كانت من جابر يطمئنها فيها على نفسه ، ويخبرها عن مكان بعض النقود في حائط الغرفة خلف صورة زفافهم البالية .

ثم قال مذكرًا...

تلك التي سبق أن عثرت عليهم سوسن يوم تبعتنا إلى فيلا نهاد ، ولم يكن في الخطاب أكثر من ذلك فقد كان مقتضبًا جدًّا .

اعتدل رمزي في مجلسه ، ثم سأل في سرعة :

ألم يذكر أي شيءآخر بشأن عودته ، أو بشأن الجريمة ؟

هز عصام رأسه نفيًا ، فعاد رمزي يسأل بحدة :

أين تلك الرسالة ؟

تناولها عصام من جيب سترته ، ثم أعطاها لرمزي الذي فضها سريعًا ، وهم بقرأتها ، وحدث نفسه قائلًا:

الخط مذبذب ، من الواضح أنه متوتر كثيرًا ، أو يعاني إحدى النوبات المرضية ، ثم صمت وأكمل بحذر ...

أو كأنه يستقل وسيلة نقل ما ... قطار مثلًا !!

أشار عصام إليه بأصبعه ، وهو يقول:

منتهى الذكاء ، لكنها ليست بالجديدة ، فقد قالت سوسن نفس الملاحظة عندما شاهدت الخطاب .

قطب رمزي حاجبيه ، وسأل في ريبة ...

ماذا قالت سوسن؟

رد عصام بهدوء..

قالت إنه لن يستسلم أبدًا ، وأنه سوف يستمر بالهرب إلى أن يتم العثور على القاتل الحقيقي !

هز رمزي رأسه نفيًا ، موضحًا الأمر لعصام ...

لا يا عصام ، ذلك التفسير من الممكن أن يكون بمثابة نتيجة طبيعية للعشرة والتفاهم بين الزوجين وطول فترة ارتباطهم ببعضهم البعض ، ويجب أن تضع في اعتبارك ذكاء سوسن ، وقدرتها على التعامل مع الوضع .

كما أنه من الممكن أن تكون هناك رسائل أخرى وصلت إليها قبل هذه الرسالة ، أو ربما بها معنى ضمني لا يمكننا نحن أن نحل طلاسمه !!

ثم سأله فجأة ...

هل تابعت أمر استصدار الإذن ؟

أومأ عصام برأسه ، وردد في حسم :

obeikandl.com

القوة بالخارج في الانتظار، ربما استعدت بالفعل لمداهمة وتفتيش الفيلا كلها هذه المرة .

لذلك طوى رمزي الورقة الصغيرة بخط جابر ، واضعًا إياها في درج المكتب ، ثم خرج مع عصام كي يترأس القوة .

***

الاقتحام ...

كانت الساعة تقارب السادسة مساءًا ، حين داهمت القوة فيلا المستشار (رفعت رستم) بالمعادي ، ولم يكن هناك ما يقال للأم أو حتى لولدها .

فقد ترك رمزي لعصام حرية التصرف معهما ، وبعد التأكد من صحة إذن التفتيش للفيلا ، لم يجد (نهاد) أمامه سوى أن يجلس مع والدته في ذلك الركن الصغير خلف باب الفيلا !!

أرسل رمزي في ضبط وإحضار الخادمة (سعاد) التي طالما سمع عنها ، قبل أن يبدأ في توزيع المهام .

كانت امراة في منتصف الستينات تقريبًا ، متوسطة الطول ، مكتنزة الجسد نحيفته ، هناك انحناءة صغيرة في عمودها الفقري تؤثر بشكل طفيف على مظهرها .

obeikandl.com

مما يدل على أن تلك المرأة عاشت حياة بائسة ، عملت فيها بكد وتعب حتى أتت الدنيا على كل ما لديها .

لم يدر لماذا أحس نحوها بشعور غريب ، خاصة من نظرتها نحوه ، فقد كانت ذا مغزى غريب ، بينما لوهلة شعر وكأنها ستكون طرف الخيط الذي سيحل له هذه القضية .

توقف عن النظر إليها ، واتجه نحوها ، وقد رسم على وجهه ابتسامة خفيفة ، وهو يقول:

أهلًا بك م/ سعاد ...أليس كذلك ؟

كانت سعاد لا تزال تعاني حالة من الذهول نظرًا للاقتحام الهائل الذي حدث للفيلا ، خاصة أنها تشاهد إقبال هانم بكل جبروتها ، تقف مذعورة أمام ذلك الهجوم الشرطي الذي انتشر في المكان .

تلعثمت الخادمة بعض الشيء ، قائلة في ذهول:

نعم يا سيدي ، أنا سعاد تحت أمر سيادتك في أي شيء .

ربت رمزي على كتفها قائلًا في ثقة :

ليس الآن، ثم نظر نحو كريم ، وأمره بالتحفظ عليها في مكان آمن بعيد عن نهاد ووالدته ، ومن ثم توجه بنظره نحو هذين الآخيرين .

فبادره نهاد في مقت شديد ...

عليك أن تحدد من أين ستبدأ التفتيش ، كما يجب أن تعلم أن والدتي امرأة طاعنة في العمر ، والضغط العصبي والتوتر يولد لديها اكتئابًا حادًا ، لذلك عليك أن تنجز مهمتك في سرعة وصمت !

ابتسم رمزي ساخرًا، قبل أن يقول :

د/ نهاد سنبدأ بالطابق العلوي ، هل ستتواجد معنا أثناء التفتيش أم نعتمد ذاتيًا على أنفسنا ونتعامل مع الوضع !

جمد نهاد في موضعه ، عاقدًا ذراعيه أمام صدره في برود تام ، ولم يكلف نفسه عناء الرد أو النظر حتى نحوه ، بينما قامت الوالدة من مجلسها ، وقد بلغ بها التوتر مبلغه ، قائلة في ضعف :

سأصعد أنا معك يا سيادة الضابط .

نظر رمزي إليها بمزيد من التحدي ، قائلًا في تشف واضح :

ليكن يا إقبال هانم ، لكن لك أن تعلمي أن التفتيش سيستغرق بعض الوقت ، لأننا سنفتش كل صغيرة وكبيرة ، هل أنتي مستعدة لذلك ؟

عبرت النظرات على وجه إقبال هانم بالفعل عما يعتمل داخلها ، فقد كان التوتر يدفعها دفعًا نحو الارتباك الذي كان واضحًا من اهتزاز شفتها السفلى، وهي تقول :

ليكن يارمزي بيه ، هل تترك لنا خياراً ؟ نحن رهن إشارتك ...

قالتها وتوجهت نحو السلم الرخامي الكبير الذي يتوسط بهو الفيلا ، صعدته بهدوء دون أى خيلاء أو غرور , فقد سقطت عنها كل الأقنعة الزائفة التى طالما وضعتها على وجهها ، وتبعها الجميع عسى أن تتضح ملامح لتلك القضية.

***

كان الطابق العلوي مكون من ثلاث حجرات وحمام كبير ، الحجرة الأولى ، وهي أكبر الغرف حجمًا لإقبال هانم ...

دخلها رمزي ثم طلب منها الجلوس بصمت ، لحين الانتهاء من التفتيش مع باقي أفراد القوة .

لم يجد في الحجرة شيئًا سوى دولاب ملابسها ، وبعض المجوهرات الثمينة التي تحتفظ بهم في حرص وسرية كاملة ، كما وجد بعض ملابس قديمة تعود لزوجها المستشار تحتفظ بهم في أرضية الدولاب .

باقي الحجرة لم يجد بها سوى بعض الأدوية الخاصة بها ، وقد حرص على أخذ عينات من كل الأدوية الموجود بالحجرة ...

كانت هناك بعض الدفاتر القديمة والحديثة المتناثرة بالمكان ، لكنها لم تكن سوى بعض العمليات الحسابية ليس إلا .

تحفظ رمزي عليها أيضًا ، وهز رأسه متعجبًا مما يرى ، ثم نظر نحو السيدة المذهولة قائلًا في هدوء مستفز :

الحجرة التالية يا إقبال هانم ، لقد اكتفينا من هذه .

نظرت نحوه السيدة نظرة المغلوب على أمره ، ونهضت من مقعدها ، قائلة في هدوء :

إنها حجرة ولدي ، تفضل .

كانت الحجرة أصغر قليلًا من حجرة الأم ، لكن الغريب في الأمر أن الأثاث بها كان قديمًا باهتًا كما كان في الحجرة السابقة ، مما دفع رمزي إلى التعجب ، والتساؤل بينه وبين نفسه في حيرة ...

كيف يعيش هؤلاء الناس في هذا الكهف ؟!

فتش الحجرة في حرص ودأب ، لم يترك صغيرة أو كبيرة على حالها ، خاب ظنه مرة أخرى ، ولم يعثر في الحجرة على أي دليل مادي من الممكن أن يقوده إلى أي شيء .

بل على العكس فقد كانت الحجرة نظيفة بشكل لافت للنظر، وكأن صاحبها كان على علم بأنها ستخضع للتفتيش .

لم يجد أمامه سوى أن يأخذ عينات من كل الأدوية الموجودة ، تمامًا كما فعل في الحجرة السابقة .

عندما انتهى من البحث كانت النظرة على وجه إقبال هانم قد تغيرت تماما ، كما لو كانت استردت عافيتها من جديد .

بادرت هي بالسؤال هذه المرة قائلة فيما يشبه المزاح :

هل ستفتش الحمام يا حضرة الضابط ؟

نظر لها بسخرية مماثلة ، قبل أن يكمل في برود ...

سأفتشه بالفعل يا إقبال هانم ، ليس لديك أدنى فكرة عن الأدلة التي من الممكن أن نجدها في الحمامات .

ثم نظر إلى الحجرة الأخيرة قبل أن يكمل بنفس البرود :

لكن أعتقد أن هناك حجرة ثالثة في هذا الطابق قبل الذهاب لتفتيش الحمام ... أليس كذلك ؟

تقلصت ملامح وجه المراة العجوز ، قبل أن تجيب :

إنها حجرة مغلقة منذ أكثر من عشرين عامًا ، كنا نستقبل فيها بعض الأقارب الذين يأتون للزيارة ، ومن ثم أغلقت وأصبحت مكانًا نضع فيه أي شيء قديم لدينا ، ثم ابتسمت في خبث قائلة :

يمكنك أن تطلق عليها ، حجرة (الكراكيب)

بادلها رمزي خبثًا بخبث، وهو يقول :

ألم أخبرك منذ قليل أننا نجد العديد من الأدلة في الحمامات ، لكننا أيضا نحل الكثير من القضايا من خلال صناديق القمامة وحجرات الكراكيب ، لذلك فأنا أريد أن أفتش حجرة الكراكيب !

اندهشت السيدة من ذلك الإصرار، وقالت بعناد :

الحجرة مغلقة كما أخبرتك منذ عشرون عامًا ، وليس لدي المفتاح الخاص بها.

هنا ضحك رمزي بصوت منفعل، وهو يقول :

إقبال هانم ، إن المفاتيح لا تمثل لنا في عملنا أي إشكالية ، خاصة في وجود هذه القوة !

فهمت على الفور ما يرمي إليه ، وبدا على وجهها الذعر كما لو كانت تنهار تصاعديًّا في سرعة مذهلة .

هل معنى كلامك أنك سوف تحطم باب من السنديان عمره ضعف عمرك مرتين ، اسمح لي يا سيادة الضابط ، هذا تصرف أهوج و أرعن ، لن أسمح لك بذلك حتى لو كان على حساب حياتي .

ابتسم رمزي في لؤم ، وعدل من وضع نظارته الطبية فوق عينيه ، قائلًا في حسم ..

لن نحطم بابك الأثري يا إقبال هانم ، وسأعتبر ما تفوهت به كأنه لم يكن ، نظرًا لوضعك الحرج ، كما أنك في مثل عمر أمي .

سوف يفتح الباب بطريقة عادية جدًّا، وسوف تشاهدي هذا الآن أمام عينيك.

تقدم أحد أفراد القوة بحوزته بعض الأدوات ، وانحنى في هدوء يعالج الباب ، وكانت المفاجأة حين فتح الباب بكل سلاسة ، وكأنه استخدم بالأمس فقط !

صدمت إقبال ، لم تتمكن من التفوه بكلمة ، كما لم تقو على الوقوف ، فأمسك بها رمزي ، بينما أحضر لها عصام كرسيًّا كي تجلس عليه ، قبل أن يقول ساخرًا:

لقد أرهقنا الباب بشدة يا إقبال هانم ، لذلك عليك أن تستريحي أنت حتى لا تلوثي ملابسك السوداء بتلك الأتربة التي تتراكم منذ عشرون عامًا !

فهمت السيدة ما يرمي إليه ، ونفذت رغبته في خشوع تام ، وجلست وكأن على رأسها طيرًا [1]

كانت الحجرة أصغرهم حجمًا، وبالفعل مليئة بالأغراض القديمة غير المستخدمة .

كان هناك دولابًا قديمًا رجح رمزي أنه قد يكون لنهاد قبل مرحلة الزواج ، مكتبة قديمة صغيرة الحجم عليها بعض الملصقات لبعض المطربين الأجانب في مرحلة الثمانينات .

كما أنه لاحظ وجود بعض الكراسي والمناضد البالية التي تناثرت هنا وهناك .

[1]- كأن على رؤسهم الطير (مثل عربى قديم) أي تجمد في مكانه.

لفت انتباه رمزي شيء غريب ، هو أن جميع الأشياء بالحجرة مطمورة تماما بالتراب الناعم الكثيف ، عدا الدولاب ، والمكتبة ! فقد نظفت ضلفتي الدولاب في حرص شديد ، إذ أن الخبراء لم يتمكنوا من رفع أي بصمة من عليهما ، وقد تكرر نفس الوضع مع المكتبة .

لم يكن الأمر غريبًا فحسب ، بل كان مثيرًا للدهشة أيضًا ، حيث أن ذلك لا يدل إلا على أن هذين الشيئين قد تم استخدامهما وتنظيفهما بعناية مؤخرًا !

لذلك فقد ترك الحجرة لفريق التفتش ، واهتم هو بنفسه بتفتيش الدولاب والمكتبة .

كما توقع ملابس قديمة ، لكنها في حالة متوسطة وليست مهترئة بعد ، اخذ يفتشها قطعة قطعة بحرص ودقة ، حتى وصل للقطعةالأخيرة ...

كان سترة زرقاء اللون قاتمة ، لم تكن قديمة بشكل كلي ، لكن ما لفت نظره تمزق الجيب الأيسر منها ، كما أن صدرها تناثرت عليه بعض الدماء .

شعر بقلبه يرقص بين ضلوعه طربًا وفرحًا ، فها هو الدليل الذي كان يسعى خلفه منذ البداية ، حتى أنه لم يشعر بيد عصام توضع على كتفه ، قائلًا فيما يشبه الهمس :

ألم تلحظ أن هناك آثار للخطوات بالقرب من هذه المكتبة ؟

نظر له رمزي ، قائلا بنفس الهمس :

يمكنك أن تضف عليها تلك السترة الملطخة بالدماء!

اتسعت عينا عصام دهشة، ثم تناول السترة من يده،

لكن رمزي همس مرة أخرى :

عليك أن تتكتم الأمر حتى أبحث أيضًا في تلك المكتبة ، عسى أن نعثر على دليل آخر، فإن لدي حدس قوي تجاهها يا عصام .

وصل إلى المكتبة ، وأخذ يفتح كتبها كتابًا كتابًا ، ليس ذلك فحسب إنما أخذ يتصفح حتى بعض الكتب وأرقامها .

مما دفع إقبال هانم إلى مغادرة المقعد ، ودخول الغرفة كي تحثهم على الإسراع بالمغادرة ، خاصة أن الليل قد بدأ يرخي سدوله على تلك الليلة الليلاء .

وما إن رأته يتفحص المكتبة ، حتى هوى قلبها بين ضلوعها ، لم تخف عليه تلك النظرة التي ارتسمت على وجهها ، فرفع لها يده قائلًا بلهجة آمرة .

عليكِ أن لا تغادري مقعدك يا إقبال هانم ، ونظر نحوأحد أفراد القوة وقال بنفس اللهجة :

راقب السيدة العجوز ، ولا تدعها تغادر مقعدها لأي سبب من الأسباب ، هل فهمت؟

عاد مرة أخرى إلى ما كان يبحث عنه ، إلى أن وصل إلى كتب ومراجع الثانوية العامة والمذكرات القديمة الخاصة بنهاد ...

وجد بينها كتاب علمي مترجم لأحد المستشرقين الفرنسيين يرجع تاريخ إصداره إلى السبعينات ، لكن ما جذبه هو مضمون الكتاب ، حيث إنه عن (نهر النيل) في مصر.

لم يكن ذلك ليثير الشك في نفس أي شخص يهتم بالبحث العلمي ، بالعكس إنه كتاب علمي ذو قيمة عالية ، فقد كان كل ذلك طبيعيًّا .

لكن ما أثار الشكوك في نفس رمزي ، متيقنًا أن ذلك هو الدليل الذي يبحث عنه.

هو تلك الصفحة المطوية منذ القدم في سكون تام ، وقد تعنونت بـ (أعمق البقاع في نيل مصر) .

كان لذلك وقعًا غريبًا يوحي بأن هناك جريمة ما قد ارتكبت عن طريق هذا البحث ، الذي بالتأكيد كان الهدف منه علمي بحت ، لكن أيضًا من الممكن أن يصبح وسيلة للقيام بعمل إجرامي يتم التخطيط له بدقة وبراعة .

شعر رمزي لوهلة بالغثيان ، لكنه قرر أن يكمل البحث بهدوء دون أن يفصح عما وجد مرة أخرى ، عسى أن يجد دليلًا ثالثًا ...

حيث اكتشف درجًا سريًا ، داخل الدرج الرئيسي مخبأ بحرص تحت مجموعة من المجلدات القديمة ، وجد به ما يشبه المذكرات باللغة الألمانية .

كانت كل تلك القرائن أكثر بكثير من كل أحلام رمزي عندما داهم ذلك المنزل ، فقد كانت بمثابة الجائزة التي طالما سعى إليها،استمر في تفتيش باقي أجزاء المكتبة في حرص تام ، ودقة متناهية عسى أن يجد دليل جديد ، لكن هيهات...

فقد كان باقي أجزاء المكتبة نظيف تمامًا ، ليس له أي علاقة بأي شيء مريب .

كما تمكن فريق البحث من الانتهاء من تفتيش الحجرة ، وكذلك الحمام الموجود بالطابق العلوي ، تحفظ عصام على الأدلة التي وجدها رمزي في دقة وحرص ...

ثم هبط مع القوة إلى الطابق الأرضي الذي انتهى كريم و حسن من تفتيشه مرتين دون أن يتم العثور على أي دليل مادي ، أو حتى أي قرينة .

لكن اهتمام رمزي لم يكن يقتصر إلا على شيء واحد فقط في هذا الطابق ، وهي الخزنة .

دخل رمزي وفريقه إلى غرفة المكتب ، ونظر نحو نهاد قائلًا في برود :

من فضلك افتح الخزنة يا د/نهاد .

لم يستطع أن يرفض أو يمتنع ، لكنه اشترط خروج كل من في الغرفة عدا رمزي و عصام .

استجاب رمزي بهدوء ، وقد استرعى اهتمامه رباطة جأش الطبيب حتى الآن .

كانت من النوع التقليدي ذا القرص الدوار وكلمة السر، ولم يكن ذلك ليثير في نفوسهم أي دهشة أو حيرة ، فمثلها مثل أي قطعة أخرى بالمنزل قديمة عتيقة ، أثرية .

لكن الدهشة الحقيقية أصابتهم لحظة فتح الخزنة ، كانت مكدسة بالذهب والمجوهرات الأصلية ، كما تراصت داخلها بعض رزم من الأوراق المالية والعملات المعدنية النادرة .

ارتسمت تعبيرات صادمة على وجه كلًّا من رمزي وعصام ، تكفي لإلهام مائة رسام ، تجهم رمزي، وقد اتسع محجر عينيه حتى كادت المقل أن تغادر مكانها .

أما عصام فقد فغر فاه وتجمد في مكانه ، ولم يستفيق إلا عندما ردد نهاد في صوت آلي معدني ، فارغ تقريبًا من الحياة ..

هل تود فحص محتوياتها عن كثب ؟

أفاق رمزي وقتها فقط ، وقد تدارك الزمن من حوله ، قائلًا في شرود :

نعم من فضلك ..

بدأ نهاد مع والدته إفراغ كافة محتويات الخزنة على المكتب، بينما ظل رمزي وعصام كما هما حتى انتهيا تمامًا من عملهما، لكن عبثًا كان بحثهما .

فلم يجدا شيئًا يذكر في تلك الخزنة سوى مبلغ مالي لا يتجاوز خمسين ألف جنيه ، لكن تلك السبائك الذهبية لفتت انتباه الجميع ، وقد زعمت إقبال هانم أنها إرث عائلي من ضمن ممتلكاتها .

كما تواجدت كمية لا بأس بها من المجوهرات النفيسة التي قد لا تقدر بثمن ، ومسدس .

تفحص رمزي المحتويات بدقة ، ثم نظر نحو نهاد قائلًا بهدوء ، يمكنك إعادة كل شيء إلى مكانه يا د/نهاد ، واستدرك في سرعة :

كل شيء فيما عدا المسدس .

ساعدته والدته ، وسألت رمزي بوهن :

هل انتهت تلك الليلة الليلاء ؟ هل يمكننا الذهاب إلى النوم ؟

رفع رمزي حاجبيه دهشة ، وسأل نهاد في تهكم :

هل هذا المسدس ملكك يا د/ نهاد ؟

قال نهاد في بطئ متعمد ومستفز :

نعم، إنه لوالدي، وهو مرخص .

هز رمزي رأسه ، كأنه لم يسمع شيئًا قبل أن يردد في إصرار:

من الممكن أن تغلق الخزنة بقفلها السرى مرة أخرى د/ نهاد ، لكن المسدس سيتم تحريزه و فحصه بواسطة الخبراء .

نظر له نهاد مطولًا ، قبل أن يقول في بطء مماثل :

أنا أحفظ محتويات هذه الخزنة أكثر من اسمى ، وفي حال نقص أي شيء من محتوياتها سوف أطالبك أنت به يا سيادة الضابط .

أمن رمزي على ما قال ، قائلًا في لهجة يشوبها بعض السخرية :

اطمئن يا د/ نهاد ، وهل من الممكن أن أبدد عهدة لن أتمكن يومًا من ردها !

ثم استطرد :

اطمئن ، سوف يتم تشميع الفيلا من الخارج أيضًا ، كما سأحرص على تواجد حراسة مشددة عليها .

لم يكتف رمزي بذلك بل أمر بتفتيش كل ركن في حديقة الفيلا ، عسى أن يتم العثور فيها على أي دليل من الممكن أن يدعم ملف تلك القضية .

مر الوقت ثقيل كسلحفاة بلغت من العمر أرذله ، نهاد ووالدته يجلسان خلف باب الفيلا الكبير في صمت ووجوم ، لم يفيقا من هذه الحالة إلا ورمزي يخاطبهما قائلًا :

إقبال هانم ، لقد انتهينا من تفتيش الفيلا الآن ، ثم تحول بنظره نحو نهاد الذي كان يجلس كالطود دون حراك، قائلًا في برود :

د/ نهاد ، يمكنك الآن أن تستدعى المحام الخاص بك ، لأني سآمر بإلقاء القبض عليك لاستجوابك واتهامك بقتل زوجتك .

ثم نظر نحو الوالدة قائلًا :

وأنت أيضًا يا إقبال هانم سوف يتم القبض عليكِ ، وأكرر مرة أخرى أن الفيلا سوف يتم تشميعها بالشمع الأحمر ، إلى أن ننتهي من هذا التحقيق .

كادت الدموع تنهمر غزيرة من عيني السيدة العجوز ، ثم نهضت وهي تنظر إليه نظر المغشي عليه من فرط الإهانة والمقت ، لكنها أبت أن يراها رمزي في مثل هذه الحالة من الضعف .

لذلك فقد جاهدت للمحافظة على إخفاء انفعالاتها ، فقط من أجل كبريائها ، وفي المقام الثاني جاء ولدها !

خرجت الكلمات من حنجرتها ثقيلة ولزجة ، وقالت لرمزي في جمود :

إذا كنت ستقوم بتشميع الفيلا ، فأين سيمكنني أن أقيم وأنا في مثل هذا العمر ، كما أنك لابد أن تمنحني بعض الوقت كي أتمكن من حزم بعض الملابس لي ولولدي .

كما أنه من الضروري أن تكون قد لاحظت وجود بعض الأدوية الضرورية لكلينا على حد السواء .

هز رمزي رأسه متفهمًا ، ثم قال وهو يدس يديه في جيبيه :

بالتأكيد سوف أمنحكِ كل ما تريدين من وقت يا إقبال هانم ، ولن يتم تشميع الفيلا إلا قبل أن تتأكدي من أنكِ قد أخذتِ منها كل ما تحتاجين إليه .

ومن ثم سوف يصطحبك عصام باشا وبعض أفراد القوة إلى القسم كي نسالك بعض الأسئلة .

ثم اقترب منها ، كأنه يهمس لها قائلًا :

يكفي أننا وأخيرًا ، سنتمكن من رد حسن الضيافة يا إقبال هانم لك ، ولولدك .

فهمت السيدة على الفور ما يرمي إليه رمزي بهذا التهديد المقنع ، فقد كان يود أن ينتقم لكرامته التي لطالما جرحت في هذا المنزل .

***

نقطة ومن أول السطر ...

لم يكن هناك إحساس بالعالم أروع مما كان يشعر به رمزي أثناء عودته مع الحملة التي قام بها على فيلا المستشار (رفعت رستم)

حتى أشهر الأدباء والشعراء قد يعجزوا عن شرح وترجمة تلك النشوة التي اعترت جسده بل وأصابته بالقشعريرة.

صادف خلال مطاردته للجريمة العديد من المجرمين ، لكنه أبدًا لم يصادف حالة مثل حالة ذلك الطبيب .

فور وصوله لمكتبه أمر بالتحفظ على الطبيب في مكان منفصل عن الخادمة .

وقرر أن يبدأ مع السيدة/ إقبال ، التي كان وجهها يحاكي وجوه الموتى بسبب لونه الأزرق ، أعطى بعض التعليمات السريعة إلى مساعديه بكلمات شبيهة بالهمس .

لم تتمكن إقبال من سماع أي شيء منها ، أغلق رمزي باب المكتب وجلس أمامها في هدوء .

كان المكتب به نافذة واحدة ، ومروحة سقف عتيقة ، لكن ما أثار حيرة إقبال هو وجود كاتبين للاستجواب ، بدلًا من كاتب واحد !

obeikandl.com

قد كان هذا أمر غير اعتيادي بالنسبة إليها ، خاصة وأنها قد زارت ذلك المكتب من قبل .

ابتسم رمزي في هدوء مستفز ، قائلًا في تحفز:

هل أطلب لك فنجانًا من القهوة يا إقبال هانم ؟

طرقت برأسها أرضًا ، قائلة في خشوع مصطنع :

لا، شكرًا ، لكني لدي سؤال واحد ، هل يمكنني أن أسأله؟

أجابها رمزي بلا اكتراث ، وهو يضع أحد سجائره في فمه :

بالتأكيد يا سيدتي ، من حقك أن تسألي أي سؤال ، ومن حقك مكالمة هاتفية ، وكذلك تواجد المحامي الخاص بك .

تكررت نفس ابتسامتها الصفراء مرة أخرى ، وهي تقول بخبث:

لا ، إنه سؤال يخص المكان هنا ، فقد لاحظت أنك أجلست كاتبين كي يكتبان المحضر، رغم أنه في المرة الماضية لم يكن هناك أي منهما .

حك رمزي رأسه بإصبعه ، وهو يجيب ببطئ :

لا تخشِ شيئًا يا إقبال هانم ، إنني لن أكتب حرفًا ما لم تتفوهي به بنفسك ، وتكوني على يقين تام منه أيضًا ، لكن وجود كاتبين في التحقيق الرئيسي هذه إحدى طقوسي وطرق عملي أنا ، واسمحي لي بالاحتفاظ بالسر ، وعدم الإفصاح عنه .

هزت السيدة العجوز رأسها علامة الفهم ، فاستطرد رمزي في هدوء تام.

هل نبدأ الآن ...؟

أومأت السيدة العجوز برأسها علامة الإيجاب ..

بدأ رمزي التحقيق الذي استفسر فيه من المتهمة أمامه عن كل ما يخص حياتها بداية من وجودها في تلك الفيلا ، وحتى اللحظة الحالية .

ثم أتت النقطة التي يهتم بها رمزي ، والمحور الذي يدور حوله ذلك التحقيق برمته .

كان لدي رمزي عادة قديمة ثابتة حرص عليها منذ أن كان ضابطًا شابًا ، وهي خلع الساعة وتركها في درج المكتب ، ذلك لأن عامل الوقت لم يكن يؤثر عليه كثيرًا.

لكن السيدة كانت تنظر إليها في يدها بين الحين والآخر ، كأنها على موعد ما ، لذلك فقد سألها رمزي مباشرة :

هل تنتظرين شيئًا ما يا مدام/ إقبال ؟

كان الإرهاق واضحًا على ملامح السيدة العجوز، فقالت في إجهاد طبيعي ...

لقد مضت ثلاث ساعات الآن ، وأنا أقص عليك قصة حياتي بداية من زواجي ، حتى زواج ابني من تلك الأجنبية اللعينة.

ظهرت على شفتي رمزي نفس الابتسامة الصفراء المصطنعة التي كانت تصدرها له إقبال منذ بداية التحقيق ، وعلق مازحًا ...

نحن لم نشبع منكِ بعد يا إقبال هانم ! هل بالفعل سئمتِ منا وتودي أن تغادرينا ؟

ثم استطرد ...

نحن لا زلنا في بداية التحقيق ، كما أنكِ لن تغادري فور انتهاء التحقيق ، سوف يستكمل أصدقائي استجوابكِ في مكان آخر .

لذلك اقترحت عليكِ منذ البداية أن تتناولي فنجانًا من القهوة ؛ لأن التحقيق متى بدأ في هذا المكتب ، لا أحد يمكنه التكهن أبدًا بموعد انتهائه .

قال ما قال ، وكأنما ألقى بقنبلة مدوية على رأس السيدة العجوز .

***

لم يكن الدخول ممكنًا إلى مكتب رئيس المباحث في الوقت الحالي ، لذلك فقد توجهت سوسن مباشرة إلى مكتب الرائد / عصام .

وما إن وجدته أمامها حتى ابتسمت في براءة ، وجلست دون حتى أن يدعوها إلى ذلك .

أمر العسكري بالانصراف ، ثم وجه حديثه إليها بجدية ...

أخشى ما أخشاه أننا سنكون في غاية الاضطراب اليوم ، بسبب ذلك الطبيب ووالدته ، بالطبع أنتِ هنا بسبب ذلك ، فأنتِ على حد علمي تلازمين المبنى ولا تبارحيه .

ساد صمت قصير بعض الشيء ، قبل أن تقول سوسن في هدوء وسكينة .

هذا هو الفارق بينك و بين الضابط /رمزي، أنك لا تنتظر إجابتي ، إنما هو فيفعل !

لقد أتيت فقط كي أعلم إذا ما تم العثورعلى أي دليل إدانة ، وهل له علاقة بزوجي ؟

هز عصام رأسه في حركة سريعة وآليه ، وقال في عصبية واضحة :

ليس في إمكاني إخبارك أي شيء الآن ، إن المتهمين قيد التحقيق ، من فضلك انصرفي الآن ...أو عودي غدًا !

نظرت له والدموع تملأ عينيها ..

فاستطرد في حسم :

نعم ، تم العثورعلى دليل ، لكننا لم نعلن بعد إذا ما كان دليل للإدانة أم لا ، ثم أنه ليس له علاقة بزوجك على الإطلاق .

انتظر مغادرتها لكنها استمرت كما هي بلا حراك ، فقال عصام بعصبية واضحة ...

هل هناك أسئلة أخرى يا سوسن هانم ؟

شعرت لوهلة بالحرج قبل أن تقول في إصرار:

إنني أود أن أنتظر هنا حتى نهاية التحقيقات !

كاد عصام يصرخ في وجهها ، لولا أنها استطردت في سرعة ...

أرجوك ، من الممكن أن تستأذن لي من العقيد / رمزي .

لم يجد سبيل أمام رجائها سوى أن يستجيب لطلبها ، لكن دون أن يعرضها للخطر .

لذا فقد أبقاها في غرفة الشهود وحدها ، وطلب منها عدم التحدث مع أي شخص ، ولاتغادر مكانها إلا بإذن منه .

كادت تطير فرحًا وهي تغادر الغرفة ، فقد كان في أعماقها شعورًا أكيدًا بأن تلك القضية سيتم حل طلاسمها الليلة .

وما إن غادرت المكتب حتى تنفس عصام الصعداء ، فهو لم ينجز شيء بعد من المهام الكثيرة التي طلبها منه رمزي .

obeikandi.com

أولًا ، تحليل عينة الدم على الجاكت الذي تم العثور عليه ،

ثانيًا ، ترجمة المذكرات الألمانية التي عثر عليها ، وما إذا كانت مطابقة لخط الزوجة .

ثالثًا ، التوصل إلى رقم هاتف ، او أي وسيلة اتصال مستعينًا بعنوان المنزل الذي كانت تتواصل به مع أهلها.

رابعًا، التأكد من وصولها إلى ألمانيا أوعدمه ، والتوصل إلى عنوان الصديقة أو حتى رقم هاتف .

***

فأر ... ومصيدة

كانت الساعة تقترب من الواحدة صباحًا عندما انتهت السيدة (إقبال المراغي) من فنجان القهوة الذي أحضره لها رمزي ، وشرع في استئناف التحقيق مرة أخرى ...

نعود الآن يا إقبال هانم إلى ليلة الثلاثاء المزعومة ، والتي من المفترض أن تكون سافرت فيها زوجة ابنك عائدة إلى وطنها مرة أخرى ، لكن هذه المرة إلى الأبد .

obeikandl.com

لذلك أنا أطلب منكِ أن تتذكري كل أحداث تلك الليلة من أجل سلامتك أنتِ وابنك ، هل من الممكن ذلك ؟

تململت إقبال في جلستها قليلًا ، وقالت في تأفف واضح :

سيدي الضابط/ لقد سبق أن أخبرتك كل ما تريد أن تعرف عن تلك الليلة قبل أيام عندما أتيت إلى زيارتك هنا للاعتذار عما بدر من ولدي تجاهك في منزلنا ، أليس كذلك ؟

نظر لها رمزي في قسوة ، ثم مال إلى الأمام متكئًا على المكتب بيده ، قائلًا بقوة :

مدام إقبال/ أنت أتيت إلى هنا بدافع واحد فقط ، وهو أنكِ كنت تكادين تموتين قلقًا كي تكتشفي السر أو تعرفي السبب وراء زيارتي إلى حصنكم المنيع ...

والتي كللها ابنك الهمام بالفشل عندما قام بطردي أنا وزميلي ، على مرآى ومسمع منك .

حاولتِ أن تظهري لي روح الضعف التي أنتِ عليها ، وأن ولدكِ هو المتصرف والمتحكم في كل شيء .

وعاد إلى هدوءه مرة أخرى ، ليستطرد في حسم ...

لكن ذلك بعيد كل البعد عما نحن بصدده الآن ، فما مضى قد مضى ، لقد كانت دردشة عادية لاعلاقة لها بأي نوع من أنواع التحقيق ، أما الآن فهو وضع آخر ...

سوف أطرح أنا الأسئلة ، وأنتِ تتفضلين بالإجابة عليها بكل وضوح ودقة ، إذا كنتِ بالطبع تودين أن تنتهي هذه القضية ، وتذكري ...

أنكِ كلما كنتِ عنصر فعال ومفيد في القضية ، كلما تمكنتِ من العودة سريعًا إلى منزلكِ .

قال ما قال ، وعاد بظهره إلى الوراء ، ليقول في لهجة آمرة:

س – ماذا تتذكرين عن تلك الليلة؟

إنه كان يوم عادي ، مثله مثل أي يوم آخر، أيقظت ولدي من النوم ثم ذهب للتريض كالعادة ، ومن ثم عاد ليقرأ ويستذكر بعض الأبحاث .

س- ألم تتناولوا أي وجبة في هذا اليوم ؟

إن ولدي يتناول إفطاره في الصباح الباكر معي ، ثم يقرأ جرائد الصباح ، أما الغداء نجتمع فيه ثلاثتنا .

س- ألم تتحدثوا في أي شيء؟

لا نحن لم نتحدث على المائدة إطلاقًا ، نحن عائلة تتميز وتفضل الصمت !

س- ذكرتِ أن أمتعتها كانت ثقيلة ، من أنزلها من الطابق العلوي؟

سعاد .

س- إذن سعاد كانت متواجدة ؟

نعم .

س-ماذا فعلتِ بعد أن انتهى الغداء ؟

صعدت إلى غرفتي كي أحظى بقليل من الراحة ؟

س- متى كان موعد الرحلة ؟

حوالى السابعة أو الثامنة ، لا أستطيع أن أتذكر بالتحديد .

س- من الذي سيوصلها للمطار؟

لقد طلبت سيارة أجرة ، لأن نهاد يكره لحظات الوداع .

بدت السخرية جلية ، واضحة على وجه رمزي ، لكنه استكمل دون مقاطعة ...

س – أفهم من ذلك أنكِ أنتِ وولدكِ لم تحضرا لحظة رحيل أنجيلكا من المنزل ؟

لقد صافحتها قبل أن أصعد إلى غرفتي ، هذا كل ما أعرفه .

obeikandl.com

س- وأين كان زوجها ، هل صعد إلى الأعلى هو الآخر؟

لا على ما أعتقد قد دخل الجناح الخاص (المكتب والعيادة)

س- ألم يودع زوجته ، حتى بكلمات ضئيلة ؟

لا أعتقد ، لأنها بعد أن صافحتني ذهبت كي تتأكد من وجود أوراق السفر الخاصة بها .

س- من الممكن أن يكونا قد تحدثا بعد صعودك , أو تشاجرا مثلًا ؟

لا ، أستطيع أن أجزم بذلك ، إذ أنني وقفت قليلًا على السلم كي أعلم ما سيدور بينهما من حديث ، عسى أن تتنحى عن فكرة الرحيل لكنها خيبت ظني .

س- من الذي جلب التاكسي ؟

سعاد ..

س- هل تابعت أنجيلكا ، أثناء ركوبها السيارة من الطابق الثانى ؟

نعم ، بالتأكيد .

س- ومن الذي حمل الحقائب إلى التاكسي ؟

السائق .

س-إذن من الممكن ، ان تتذكريه إذا ما رأيته مرة أخرى ؟

opelkanal.com

لا أظن ذلك ، كل ما أذكره هو أنه كان متوسط الطول ، أصلع وممتلئ القوام بعض الشيء ، أما الوجه فلا يمكنني أن أميزه جيدًا .

س-وولدك ... أين كان في تلك الأثناء ؟

أظنه كان لا يزال في غرفة المكتب كما هو .

س-وهل نزلتِ إلى الطابق الأول بعد ذلك ؟

لا ، استكملت فترة راحتي .

س- هل تحدثتما معًا مرة أخرى في تلك الليلة ؟

نعم ، لقد صعد إلى غرفتي في حوالي الساعة التاسعة بينما كنت أصفف شعري استعدادًا للنوم .

س-وهل في الغالب تظلين مستيقظة حتى يصعد إلى غرفته ؟

نعم ، ودائمًا ما يأتي كي يلقي علي تحية المساء قبل النوم .

س- وهل يأوي إلى الفراش باكرًا مثلك؟

إنه معتاد على القراءة كل ليلة ، سواء في غرفة المكتب أو في غرفة نومه ، لذلك لا يصعد قبل منتصف الليل ، يطمئن علي ويلقي تحية المساء .

س- هل كان الحزن باديًا عليه عندما دخل إلى الغرفة ؟

obeikandl.com

كان متجهما بعض الشيء .

س-هل كان يدرك أن زوجته ستتركه إلى الأبد ؟

أعتقد ذلك

س- هل كانت هناك خلافات بينهما ؟

الخلافات العادية التي تحدث بين جميع الأزواج .

س-وذلك اليوم تحديدًا ، هل حدث بينهما أي مشادات من

أي نوع ؟

أعتقد أننا جلسنا على المائدة مدة تقارب النصف ساعة ، لم ينبس أحدنا بكلمة واحدة ، حتى سيطر على الغرفة جو أشبه بصمت القبور.

س- هل كان بين ابنك وزوجته أي عاطفة قبل الزواج ، أو بمعنى آخر، على أي أساس كان الارتباط بينهما ؟

لقد كان ولدي بـ47 عندما تزوجها ، وهي بـ45 , فعن أي عاطفة تتحدث أيها الضابط ، أعتقد أن العاطفة الوحيدة التي من الممكن أن تجمع بينهما هي العقل والمنطق .

س- من أول شخص يستيقظ بالمنزل ؟

أنا .

obeikandl.com

س- هل تتذكري أنكِ دخلتي إلى غرفة المكتب ، أو العيادة في صباح الأربعاء ؟

صمتت قليلًا قبل أن تجيب بحذر ...

أعتقد ذلك .

س- هل لاحظت أي شيئًا غريبًا في الغرفة ؟

لا ، فقط رتبت الغرفة ، وأعدت بعض الكتب المتناثرة إلى مكانها في المكتبة .

س- ألم تلاحظي أن هناك زجاجًا مكسورًا بالحجرة ؟

لا ، لقد تم إصلاحه باليوم السابق .

س- ماذا عن الجثة التي شاهدها اللص الذي اقتحم منزلكم ،

والتي يرجح أن تكون جثة زوجة ابنك الألمانية ؟

هنا انفعلت السيدة العجوز ، وهي تقول في عصبية بالغة :

أنا لا أصدق ما تسمعه أذني ، تصدق لص خزائن يدخل إلى المنازل عنوة كي يسرقها ، وتكذبنا نحن رغم أنك تعلم جيدًا تاريخ عائلتنا العريق ، ومكانة زوجي الراحل .

ثم استطردت بنفس القوة ...

تكذبنا وتصر على ملاحقتنا ، بل وتتعمد مضايقتنا وإهانتنا ..

رغم أننا في حياتنا لم نخرق قانونًا قط ، بل إن ولدي لم يكسر حتى إشارة مرور ولو مرة واحدة في حياته .

لاحظ رمزي انفعال السيدة العجوز ، حاول تهدئتها بعض الشيء ، قائلًا في تهذيب ...

إقبال هانم اعذريني فإن واجبي كضابط شرطة أنا أفترض كافة الافتراضات ، وعليكِ أن تهدئي تمامًا لقد انتهى التحقيق بسلام .

ولكن عليك الانتظار قليلًا في مكتب النقيب / كريم ، لأنه يود أن يستفسر معك عن بعض النقاط التي من الممكن أن تفيد القضية .

بالفعل غادرت إقبال المكتب برفقة رمزي إلى مكتب آخر، ثم مد يده بورقة مطوية إلى كريم الذي أخذها منه ، و أومأ له برأسه دليلًا على الفهم .. ثم قال له ساخرًا :

إقبال هانم أمانة في رقبتك يا كريم ، استفسر منها عما شئت ، ثم لا تنس أن تسلمها بنفسك إلى النقيب/ حسن .

نظرت إليه مستغيثة بعدما سمعته ، لكنه غادر في هدوء ، ونظرة التشفي لم تبارح وجهه .

***

أشارت عقارب الساعة إلى الثانية صباحًا عندما دخل الرائد/ عصام إلى الغرفة التي يحتجز فيها د/ نهاد ، ليجد ذلك الأخير يقطع الحجرة ذهابًا و إيابًا مثل الليث الحبيس .

جلس عصام على المكتب بكل أريحية ، ثم طلب من الطبيب أن يأخذ مجلسه لأنه سوف يخضع للتحقيق ، لكن الأخير نظر له شذرًا قائلًا في عصبية واضحة :

لقد أتيت إلى هنا بناءًا على استدعاء من السيد رئيس المباحث ... أأنت رئيس المباحث ؟؟

شعر عصام بالدم يتصاعد إلى رأسه غيظًا ، وردد فيما يشبه الفحيح:

لا أظن أنك في وضع يسمح لك بالاختيار، أو الزهو بالكلمات القانونية التي صممتها من مكتبة والدك أيها الطبيب الأرعن .

فأنت الآن كالفأر في المصيدة ، ولا أظنك بخارج منها أبدًا .

عاد نهاد إلى تلك النظرات النارية التي ظل يسددها بين الحين

والآخر، وقد نجح في استفزاز عصام إلى أقصى حد ، فتابع في تحد واضح .

أسأل ما بدالك ، لكني لن أنطق بحرف واحد ما لم يأتي المحام الخاص بي ، وكذلك في حضور السيد رئيس المباحث شخصيًّا !

وكأن السماء كانت تستمع إلى رغبات نهاد ، بل ومنصتة إليها ، فما إن نطق نهاد بتلك الكلمات حتى فتح الباب فجأة ، ليدخل منه رمزي ، قائلًا فيما يشبه المرح ..

لا أظنك افتقدتني يا د/ نهاد !

لكنه تفاجأ بوجود عصام بالحجرة ، ورغمًا عنه وجد ملامح وجهه تتغير شيئًا فشيئًا ، لكنه تذكر كم كان عصام مساعدًا جيدًا له في تلك القضية ، بل وعقلًا مفكرًا يعمل بطاقة إيجابية ليس لها حدود .

تراجع في الحال عن فكرة الهجوم خاصة أمام ذلك النهاد ، سدد نظرة ذات معنى إليه فاستوعبها عصام على الفور ، وصرخ غاضبًا ...

إنه يرفض الإجابة على أي سؤال ، ويقول أنه تم استدعاؤه من

قبل رئيس المباحث ؛ لذلك لن يستجوبه إلا هو، كما أنه يطلب المحامي الخاص به .

مط رمزي شفته السفلى إلى أسفل ، ثم أكمل بنفس المرح الذي دخل إلى الحجرة به قائلًا :

وأنا لن أخذلك مطلقًا يا عزيزي نهاد ، فأنت تستحق أن يتم التحقيق معك من قبل رئيس المباحث شخصيًا ...

لكن كما تعلم لابد للتحقيق أن يجري في مكتبي ، لذا سوف ترافقني إلى هناك .

وأثناء ذهابهم من مكتب الحجز الاحتياطي إلى مكتب نهاد ، لمح نهاد والدته تجلس أمام كريم ممسكة برأسها في عصبية واضحة .

نظر إلى رمزي في غضب ، وكأنه يستفسر عما يحدث مع والدته .

و الغريب أن رمزي فهم ما يرمي إليه ، ورد في برود مفتعل ...

لا تخش عليها شيئًا ، إنها نظرية خاصة بي في التحقيق ، يمكنك ان تعتبرها أسلوب أو وسيلة متحضرة ...

لكن والدتك عبرت الخطوة الأولى بنجاح ، ووصلت الآن إلى منتصف الثانية تقريبًا ، ولم يتبق لها إلا الخطوة الأخيرة ...

بعدها من الممكن أن تنتظرك في نفس الحجرة التي كنت تجلس بها منذ قليل .

كانا قد وصلا إلى المكتب ، فاستطرد رمزي في هدوء :

يمكنك أن ترتاح الآن ، إن الوالدة في رعايتنا ، كما أنها ستحصل على وجبة عشاء الآن ...

إذ من المحتمل أن ننتهي من تلك التحقيقات سريعًا ،إذا ما تعاونت معنا وتعودا معًا إلى المنزل .

أخيرًا نطق نهاد في ضيق وبعد معاناة ، لذلك فقد خرج الصوت من فمه متحشرجًا وضعيفًا ...

سل ما بدالك..

تكرر نفس المشهد من استجواب الأم أمام الكاتبان مرة أخرى ، يستعدان لطرح الأسئلة بتحفز واهتمام ، رمزي يتفرس في ملامح نهاد ، بينما يشغل نفسه ببعض الأوراق ..

ثم قال فجأة :

دعنا في البداية نسأل إذا ما كنت بحاجة إلى فنجان من القهوة

يا د/ نهاد ، أو شيء من هذا القبيل ؟

لكن الأخير رفض ، لذلك فقد بدأ رمزي التحقيق .

س- ما هو سبب رحيل زوجتك الأجنبية ؟

لا أعلم ، لقد قررت ذلك مع نفسها ، وقد بررته بأنها تود العودة إلى وطنها الأم .

س- هل كانت هناك خلافات بينك وبينها ؟

لا ، كانت العلاقة بيننا مستقرة , وعلى مستوى راقي ومرتفع في الحوار والفهم .

س- هل كانت تعاني من مرضٍ ما ؟

نعم ، تضخم طفيف في القلب.

قلب رمزي عدة أوراق أمامه قبل أن يسأل في اهتمام ...

obeikandl.com

س- ألم يتوفي والدك ، وزوجتك الأولى أيضًا بسبب أزمة قلبية ؟

نعم ، وأنا أيضًا أعاني من تضخم طفيف في القلب ، هل معنى ذلك أنني سوف أموت نتيجة ازمة قلبية !

ليس ذلك فحسب بل إنه من الممكن أن تكون أنت نفسك مصابًا بتضخم طفيف في القلب ، فهوليس مرضًا بالشكل المتعارف عليه يا حضرة الضابط ، كما أنه لا يرقى إلى مرحلة اللغط أو الهبوط في القلب .

هم رمزي بأن يسأل السؤال التالي ، لولا جرس الهاتف الذي تعالى في إلحاح مستمر، رفع السماعة بشكل حاد ...

كان عصام على الطرف الآخر يطلبه من أجل أمر هام .

ترك رمزي المكتب ، وحرص على تشديد الرقابة داخل وخارج الغرفة في إحكام تام .

مرت الدقائق والثواني بطيئة ثقيلة ، بينما نهاد ينتظر وصول رمزي الذي ذهب منذ قليل ، فقد ظل يجلس بأريحية تامة واضعًا ساقًا فوق ساق أمام من في المكتب فقط !

أما داخله فقد كانت هناك نارًا مستعرة تنبأ عن حرب وشيكة ستندلع عما قريب .

***

صراع الوزن الثقيل ...

في تلك الليلة كانت السعادة تغمر ملامح رمزي، بسبب وفاؤه بوعده ، وتمكنه من القبض على نهاد خلال 48 ساعة، تمامًا كما وعد سوسن.

نفذ ذلك الوعد ، لكنه لن يستطيع أن يجزم إذا ما كانت تلك السعادة استطاعت أن تتسلل إلى داخل جدران قلبه أم لا !

ها هو يهرع إلى مكتب عصام عسى أن يكون الأمر هامًا بالفعل ، لكنه لم يكن سوى سوسن التي تواجدت في غرفة الانتظار منذ مدة ، وترغب في إخباره بأمر ما .

كادت أعصاب رمزي أن تنهار، لذلك ردد مغتاظًا ...

عصام ، لا أريد أن يزعجني أي شخص خلال استجوابي لذلك الطبيب ، اللهم لأمر بالفعل بالغ الأهمية ، هم يغادر المكتب ، ثم التفت إليه فجأة يسأله :

أين النتائج والتقارير التي طلبتها منك؟

تلعثم عصام قليلًا ، وهم بالرد عليه ، لولا أن أوقفه رمزي بإشارة من يده ، كأنه تذكر شيئًا هامًا ...

عصام ، أريد أن أضيف مهمات أخرى، واستطرد في حزم .. أريد قوة تفتح ذلك الجاراج عنوة ، وتقوم بتفتيش سيارة ذلك الطبيب تفتيشًا جيدًا ، عسى أن نعثر بها على أي دليل آخر.

كذلك استجواب القائمين عليه ، كما أن هناك عمارة مقابلة لذلك الجاراج عليك باستجواب جميع من فيها عسى أن نجد لديهم أي داعم لتلك القضية ، ثم استئنف بعد تفكير ...

ولتكن أنت على رأس تلك القوة ، كما أني أريدك ترسل في طلب عدد لا بأس به من الغطاسين لتفتيش نهر النيل بمنطقة المعادي ، تحديدًا نفس النقطة التي ذكرها الكتاب ، وأقرب مكان لمنزل نهاد .

ألقى أوامره في حسم وقوة ، ثم غادر عائدًا إلى مكتبه ، لكنه قرر العدول عن ذلك ، والمرور بغرفة الانتظار التي تتواجد بها سوسن ، لعل الأمر بالفعل هام وحيوي ، ولا يحتمل التأجيل .

لكنها أبدًا لم تعتد عليه في مثل هذه الحالة من التوتر، فالساعة تجاوزت الثالثة صباحًا ، وهو لم يبدأ بالاستجواب الرسمي بعد ، لذلك فقد بادرها قائلًا في حزم :

ما الذي أتى بك إلى هنا؟

أشارت برسالة في يدها للإيضاح ، ثم قالت معقبة :

وصلتنى رسالة جديدة من جابر، بلا عنوان أيضًا

ألقى رمزي إحدى سجائره في فمه ، قائلًا بشيء من الخشونة :

ماذا يقول هذه المرة؟

همهمت قليلًا قبل أن تقول في ضعف...

لا شيء ، نفس الخط المهتز الكئيب ، كتب في ضعف (أوضاعي مستقرة ، لا تقحمي نفسك في أمر أكبر منكِ)

نفس رمزي دخان سيجارته بعيدًا ، ثم نقر على المكتب أمامه بأصابعه ، كاد أن يقول شيئًا ما ، لكنه نظر إليها ، وسألها في لهجة آمرة :

وما الذي استنتجتهِ أنتِ من هذه الرسالة ؟

صمتت قليلًا، قبل أن تقول بصوت ضعيف يشوبه اللؤم :

لا شيء سوى أنه يخشى علي .

نظر لها رمزي متحديًا ، ثم ردد في قوة :

أنت تكذبين ، إن جابر هنا يتواجد حول هذا المكان، بل

ويراقبك باستمرار، ويعلم أنكِ ترددين على القسم .

ظنًا منه أنكِ في ورطة ما ، لذلك يأمركِ بالابتعاد عن الأمور

التي هي أكبر منكِ .

أنهى حديثه ، ثم نظر لها كأنه يتفحصها لأول مرة ، ثم سألها:

هل ذلك صحيح ؟ أم أن الأمر تطور أكثر من ذلك وتقابلتم معًا !

هزت سوسن رأسها نفيًا ، وهي تقول في إنكار تام...

أبدًا لم يحدث ، أقسم لك على ذلك .

كانت النظرة في عينيه قاسية وصارمة ، لكن شيء ما داخله يصدقها ، لذلك صرخ قائلًا في قوة وحزم :

استمعي جيدًا لما سأقول ، وعليكِ أن تنفذيه بالحرف الواحد...

هناك طبيب طردني من منزله مرتين ، ويحتمل أن يكون أقدم على قتل زوجته ، لكنه ينكر ويأبى الاعتراف بذلك.

و هناك سيدة عجوز في الخامسة والسبعون من عمرها تحمل داخلها بئر لا قرار له من الأسرار, حتى يخيل إليكِ وأنتِ تتحدثين معها أنها تهيم في بيداء جهلها بحثًا عمن يرشدها إلى الطريق الصحيح .

لذلك سوف أدخل الآن للقاء صديقى د/ نهاد في غرفة التحقيق مرة أخرى دون أي مقاطعة منكِ .

أما أنتِ فسوف تجلسين بجوار تلك السيدة ، وتقنعيها بأن زوجك محتجز لدينا قيد الاعتقال ، وأننا نستخدم معه طرقًا غير تقليدية ، بل ومحرمة في بعض الدول .

باختصار عليكِ أن تقنعيها أننا نستخدم التعذيب في استخراج المعلومات واقتناص الاعترافات من المتهمين.

ثم سألها مستفسرًا:

هل بإمكانك القيام بتلك التمثيلية الهزلية؟

هزت سوسن رأسها دون تفكير، وقالت كأنها تلميذة تخاطب معلمها:

كل ما تريده سوف أقوم به على أحسن وجه ، لأنني بالفعل أرهقتك وكنت سببًا في تمسكك بتلك القضية ، لذلك أريد أن أكون عضوًا فعالًا فيها، وليس مجرد متفرج من بعيد.

أخيرًا أفتر ثغره عن ابتسامة ماكرة، قائلًا وقد لانت ملامحه وصوته معًا ...

لقد تم توريطي بالفعل في هذه القضية ، لكن إن انتهيت اليوم ، عليك إذن أن تسقطي الدين القديم ونصبح متعادلين معًا !

ضحكت قائلة بود حقيقي:

أقسم لك بالله أني لستُ حاقدة عليك ، حتى وإن لم تتمكن من حل القضية بأكملها.

غادر الحجرة في سكون، عائدًا إلى المعترك الآخر الذي ينتظره في مكتبه.

***

كانت أولى الجرائم في تاريخ البشرية (القتل) ذلك عندما قتل قابيل أخوه هابيل بجمجمة حمار، لذا وبعد تلك الجريمة أصبحت كل الجرائم مباحة ومتوقع حدوثها.

كما أنه توجد بالفعل جرائم تم التخطيط لها بدقة، حيث قام المجرم بجريمته ثم فر نافدًا من العقاب ، وعلى الرغم من المقولة المزعومة ...

(بأنه ليس هناك جريمة كاملة) –لا– فإن هناك بعض الجرائم الكاملة ، والتي سطرت أحداثها في مجلدات التاريخ التي تزخر بها كل مكتبات العالم .

لكن الأمر يختلف في تلك الجريمة التي يحقق بها رمزي، حيث أن هناك من الأدلة ما يكفي للإدانة ، كما أن المتهم لا يملك أي شهود للنفي .

ورغم ذلك لا يستطيع رمزي إنهاء التحقيق حتى الآن ، على الرغم من أن الساعة قاربت الرابعة صباحًا.

لعلها شخصية ذلك المتهم الذي يفرض نفسه على التحقيق ، حتى أن رمزي للحظة أعجب بصلابته ، وقوة إرادته ، لكنه لم يظهر له ذلك بالطبع ...

فقد مرت عليه في هذه المهنة سنوات عدة ، قابل خلالها الكثير

من أنواع المجرمين والمتهمين منهم الجاهل والمثقف ، العنيد ، الغاضب ، المدمن، الحاد ، المشاكس ، المناور.

لكنه في حياته ما قابل تلك النوعية من البشر، إن ذلك النهاد مختلف كل الاختلاف عن كل من قابلهم من قبل سواء هو، أو والدته غريبة الأطوار .

وعلى الرغم من علامات الإرهاق والتعب الذي نال منه ، وكان باديًا على وجهه بشدة ، إلا أنه أبى أن يظهرها أمام رمزي ، خاصة عندما دخل إلى المكتب واستقر خلف مكتبه ، وأخذ يقلب

في أوراقه كالعادة ، بلا اكتراث أو اهتمام بالكائن الذي لا يزال يجلس أمامه..

لذلك فقد عادت ملامحه إلى نفس الجمود الذي كان عليه من قبل ، ولاحظ أن رمزي يتفحصه في هدوء وريبة ، فلم ينظر إليه حتى سمعه يقول في لؤم :

أرى أن مرضاك قليلون للغاية يا د/ نهاد ! ألست طبيبًا ماهرًا ؟

نظر له نهاد نظرة مبهمة دون أن يعقب بكلمة واحدة ، غير أن رمزي استطرد بنفس الهدوء المشوب باللؤم ...

كما معظمهم من النساء ! أليست تلك صدفة ؟

وأيضًا لم يحظ رمزي على أي رد فعل ، سوى أن حدجه نهاد بنظرة قاسية أخرج فيها كل ما بداخله من كراهية وحقد ، ولسان حاله يقول (ليس هذا من شأنك ايها الوقح) !

رفع رمزي حاجبيه علامة التعجب ، نظير هذا الصمت التام ،

ولم يجد أمامه بدًّا من استفزازه قائلًا في سخرية واضحة:

إن لغة الصمت ليست مستخدمة هنا يا د/ نهاد ، عليك أن تجيب على جميع تساؤلاتي ...

ثم نظر نحو الكاتبان، معلقًا في سخرية...

من أجل أن نتمكن حتى من تسجيل الاستجواب الخاص بالقضية ، أليست لديك رغبة في انتهاء هذا الكابوس ، والعودة إلى قصرك المنيف مع السيدة الوالدة !

إنها لم تزل تنتظرك في الخارج ، وقد استبد بها القلق عليك ، خاصة بعد أن اقنعناها أننا نستخدم معك القوة المفرطة والتعذيب ، وطرقًا غير شرعية في الاستجواب..

نجح رمزي مرة أخرى في استفزاز نهاد ، فقد قفز الأخيرمن مقعده ، بل كاد أن يوجه إليه لكمة عنيفة قبل أن يقول في خشونة:

لماذا قلتم لها ذلك ؟ سيستبد بها القلق ، ثم بدأ يتساءل في قوة:

أليست في قلوبكم شفقة على سيدة في مثل عمرها ، كي تلهو بأعصابها واستخدامها كوسيلة للتسلية ، وقد استغليتم خوفها على ولدها ...

أخبرني يا حضرة الضابط ، ماذا لو تبادلنا الأدوار؟ هل تود لو أتبع مع والدتك نفس الأسلوب ؟

ظهرت من جديد نفس النظرة القاسية التي كانت ترتسم على وجه رمزي منذ قليل مع سوسن ، وقد كشر تمامًا عن أنيابه ، قائلًا ...

إذن أجب على ما يوجه إليك من أسئلة دون أي مواربة ، إذا كنت بالفعل تريد مزيد من الاحترام ، واجلس على مقعدك .

ثم مال إلى الأمام ، كأنه يتمنى الغوص داخل رأسه ، وسبر أغوار ذلك الغموض القاتل ، قائلًا في حدة :

لقد طلبت منك الجلوس .

وما إن جلس نهاد حتى سأله رمزي في برود قاتل :

س – هل كنت تعلم أن زوجتك مريضة بالقلب ؟

خرج نهاد عن صمته أخيرًا ، وقرر التعامل بمزيد من المرونة في الحوار ، وأجاب صاغرًا ...

نعم ، لقد أخبرتني بذلك .

س- من الطبيب المشرف على حالتها ؟

د/ أحمد لطفي ، جراح القلب الشهير.

س- هل أنت من أشار عليها به ؟

لا ، لقد كان طبيبها قبل حتى أن أتعرف عليها .

س- وهل كانت حالتها شديدة التطور حتى تحتاج إلى طبيب بحجم الدكتور/ احمد لطفي ؟

هنا عاد نهاد إلى الجفاء والجمود ، عندما رد في اقتضاب :

يمكنك أن تسأله بنفسك عن ذلك .

س- زوجتك الأولى ، هل كانت أيضًا مريضة بالقلب؟

ظهرت ابتسامة خبيثة على شفتي نهاد ، قائلًا في بطء تام ...

ستجد شهادة وفاتها بين الأوراق العديدة التي تحفظتم عليها عندما قمتم بتفتيش مكتبى .

رفع رمزي سماعة الهاتف في حركة آلية، وردد بلهجة أمرة...

أأمر باستدعاء د/أحمد لطفي ، جراح القلب بعد ساعتين من الآن .

ثم استطرد في هدوء ، كأن شيئًا لم يكن ...

قرأ رمزي على وجه نهاد ملامح الإرهاق التي بدأت تظهر جلية وواضحة للعيان ، فاقترب منه أكثر قبل أن يتمتم في هدوء ...

د/ نهاد ، رغم أنك طردتني من منزلك مرتين ، ولم تحاول حتى أن تحترمني في أي مرة منهم على الإطلاق ، بل على العكس لقد كنت تتعمد إهانتي في منزلك ، وكأنك تتسلى بشيء ممتع بالنسبة لك ، إلا أنني بوسعي أن أعتبر كل ذلك التحقيق بمثابة دردشة ودية إذا ما أخبرتني بالحقيقة عن اختفاء زوجتك .

ردد نهاد بصوت معدني تردد صداه في الغرفة أكملها :

بأي حق إذن تستجوبني إذ لم يكن هذا تحقيقًا رسميًا ؟

هز رمزي رأسه دليل اليأس ، واستمر في بروده المستفز قائلًا ...

لقد كنت أشفق عليك مما سيحدث فيما بعد ، لكن بما أنك تفضل التحقيق الرسمي ، فيمكنك من الآن اعتباره كذلك ، وليكن في علمك أن أمامنا شوطًا طويلًا معًا لا يستهان به .

من الممكن أن يبدأ الآن ، ويستمر إلى ما لا نهاية ، ونظر في الأوراق أمامه مرة أخرى عائدًا إلى التحقيق .

س- هل ذلك المرض وراثي ؟

نعم ، لقد ورثته عن والدي .

س- هل وراثته شرط في الإصابة به ؟

من المحتمل ، في بعض الحالات.

س- كم كان عمرك وقت وفاة والدك ؟

18 عام.

س- ما هي طبيعة علاقتك بوالدتك ؟

لا أفهم السؤال!

س- العلاقة بينك وبين والدتك علاقة فريدة ومميزة؟ فسر لي ذلك ؟

لقد قضيت معها كل سنون عمري ، ماذا تتوقع ؟

س- حياة أشبه ... بحياة زوجين !

استنكر نهاد السؤال، قائلًا:

أجننت!!

س- هل تشعر والدتك بالغيرة ، عندما ترتبط ؟

لم يعلق نهاد على السؤال ، واكتفى بنظراته الحادة .

طرق رمزي بأصابعه على المكتب ، وأخذ يردد بلهجة توحي بالشك والتفكير بصوت عالي ...

أليست صدفة عجيبة أن تكون أنت ووالدك مرضى بالقلب ،

obeikandl.com

وتتزوج للمرة الأولى بزوجة مريضة بنفس المرض ، وتموت متأثرة به ، ثم يبتسم وكأنه يلقي نكتة ما ...

لكن الأغرب هو أنك عندما تقدم على الزواج مرة أخرى , يصدف أن تكون الزوجة أيضًا مريضة بالقلب ! ثم اكتسى صوته بالجدية قبل أن يضيف :

إن حياتك مليئة بالقلوب المريضة يا د/ نهاد !

ومن جديد عاد يسأل ...

س- هل أمنت على حياتك يا د/ نهاد؟

بالطبع ، لقد تولت والدتي هذا منذ أن كنت صغيرًا

س- ووالدتك؟

كل أفراد أسرتي اعتادوا التأمين على حياتهم ، كما أعتقد ان كل أفراد الأسر في المعادي ، أو قاطني الفيلات من الجيران قد أمنوا على حياتهم .

س- لماذا تحتفظ في خزانتك بكل تلك السبائك الذهبية يا د/ نهاد؟

إنها إرث عائلي ، وترفض والدتي أن تحتفظ بالأموال داخل البنك ، خاصة تلك السبائك .

س- وماذا عن نظام الخزنات السرية في أي بنك من البنوك ؟

obeikandl.com

و هنا رد نهاد بتساؤل آخر ...

و هل هناك قانون يمنع أن أحتفظ بهم في المنزل، سواء كانت نقود أو سبائك ذهبية ، أو حتى في أي حالة أخرى .

لم يبد على وجه رمزي الاقتناع بالإجابة ، لكنه عاد إلى التحقيق ، كأنه يتجاوز عن شيء ما .

س- هل كانت أنجيلكا على علم بوجود هذه السبائك ؟

بالطبع .

س- هل كانت لها أي أغراض في تلك الخزنة ؟

نعم ، لكنها استردتها قبل أيام عندما كانت تعد حقائبها للسفر .

س- لقد كانت زوجتك أجنبية ، وعلى الرغم من ذلك فقد تزوجتم بعقد موثق فقط عند المحامي الخاص بك .

و قد حدث ذلك في ظل وجود فرص للزواج المدني ، الذي يتم في سفارة الزوجة مثلًا .

هل من الممكن أن تفسر لي ذلك ؟

أخذ نهاد نفسًا عميقًا، قبل أن يقول في برود ...

obeikandl.com

لطالما كرهت إيلا التعاملات الروتينية ، كانت تمقتها بشدة ، لذلك هي التي اقترحت فكرة الزواج الموثق في جهة واحدة ، إنها فكرتها وليست فكرتي !

أشار رمزي بسبابته تجاه نهاد ، وهو يقول بخبث :

تشير إليها بصيغة الماضي ، ألم يحن الوقت لتخبرني أين جثة زوجتك؟

عاد نهاد إلى جموده ، وردد ساخرًا ...

ليتك تخبرني أنت عن مكانها ، حتى ينتهي ذلك الكابوس!

نظر له رمزي بتحد لا مثيل له ، ثم سأل في صرامة ...

س- هل كانت زوجتك من الأثرياء؟

نعم .

س-أكثر منك ثراءًا أم أقل؟

نحن في نفس المستوى تقريبًا .

س- وهل كنت أمينا على تلك الأموال يا د/ نهاد؟

على ما أعتقد ، حتى حدث ما حدث .

س- وما الذي حدث؟

obeikandl.com

مغادرتها لنا .

س- هل أخذت معها تلك الأموال في حقائبها؟

نعم.

س- ألم يدر بينك وبينها أي نوع من أنواع النقاش خلال العشاء ، أو حتى بعده ؟

لا.

س-كيف يمكن لي أن أتأكد إذا ما كانت تلك الأموال التي عثرنا عليها في الخزنة ملك لك وحدك أنت ووالدتك؟

سوف تجد بين الأوراق وثيقة موقعة من المحامي تحتوي تفاصيل ومحتويات الخزنة يوم زواجي من أنجيلكا ، ومنها يمكنك التأكد والمقارنة ، لقد قمت بتوثيق كل شيء حتى لا تختلط الأموال ببعضها البعض .

هز رمزي رأسه علامة الفهم ، ثم قال في تساؤل حقيقي ..

لقد شاهدت الوثيقة بالفعل ، لكن لفت انتباهي مجموعة من الأوراق هنا في هذا الدفتر .

هل يمكن لك أن تفسر لي ما هذا ؟

ألقى نهاد نظرة سريعة على الأوراق ، ثم قال في ضجر:

نعم ، إنها كشف حساب شهري بمصروفات المنزل، كلمة (نحن) ترمز لي أنا وأمي ، وكلمة (إيلا) ترمز إلى مصاريف إنجيلكا.

قطب رمزي حاجبيه ، وردد في شك ..

هل تعني أنها كانت تتقاسم معكم المصروفات الشهرية بالمنزل؟

رفع نهاد كتفيه علامة التعجب، وردد في يسر:

على الأقل فيما يخص حاجياتها!

أمسك رمزي رأسه بكلتا يديه ، وقد شعر لوهلة أن رأسه يكاد أن ينفجر مما يرى أمامه ...

هل تريد أن تخبرني ، أن زوجتك كانت تعيش معك أنت ووالدتك في نفس المنزل ، وتتكلف هي بنفقاتها الشخصية ، وأنتم كذلك !

هز نهاد رأسه علامة الإيجاب ، ثم أضاف في هدوء :

النفقات الشخصية ، وبعض احتياجات المنزل !

ألقى رمزي بالقلم من يده ، ونظر نحو نهاد نظرة جوفاء ، لا تدل على أي شيء سوى أنه كان بالفعل يريد أن يفهم ما في داخل عقل وصدر هذا الرجل ، هو أو والدته .

كانوا غريبي الأطوار بكل ما تحمله الكلمة من معان ، نهض من مكانه وهو يردد في صوت أجوف ..

سوف أطلب لك فنجانًا من القهوة ، ولا تخش شيئًا سوف أدفع لك ثمنه.

خرج رمزي من مكتبه ، ورأسه يكاد ينفجر غيظًا ، وأنفاسه تحترق احتراقًا .

***

أي إنسان له نقطة ضعف ، يقف عندها ولا يمكن تجاوزها إطلاقًا ، وبالنسبة للدكتور نهاد ...

لم تكن نقطة ضعفه طباعه الحادة أو حتى كبرياؤه الذي تحطم على صخرة عناده المستديم ، لكنها والدته .

تلك السيدة التي أبت أن تترك الممر الذي يتواجد فيه ولدها ، وهو قيد التحقيق ، رغم أنهم عرضوا عليها أن تعود للاستراحة الخاصة بالانتظار ، والتي من المفترض أن يتم التحفظ عليها فيها .

كم كانت أم عظيمة بالنسبة إليه ، ولم لا ؟! فقد عاشا معًا عمرًا طويلًا يجعل كل منهما يفهم ما يدور بخلد الآخر، دون أن يتفوه حتى بكلمة واحدة .

وقد استنتج رمزي ذلك بكل سهولة ، لقد فهم العلاقة المعقدة التي تجمع بين الأم والابن ، لكنه أسرها في نفسه ، ولم يفصح لما يفكر به

لأحد ، كما لم يبد على وجهه أي إيحاء يجعل الآخرين يقرأوا ما يعتمل داخله .

كاد الصداع أن يفتك برأسه فتكًا ، وقد بلغ به الأرهاق مبلغه ، فقد نسى تمامًا معنى الراحة منذ 36 ساعة .

وها هو يستمر دون حتى أن يتناول أي طعام ، اللهم إلا القهوة

والمنبهات التي تبقيه مستيقظًا ، لكن على وهن .

ما إن دخل مكتب عصام ، حتى وجد النقيب / حسن مع المترجم الخاص بالمذكرات ، فسأله عما إذاكان هناك شيئًا يستحق الوقوف عنده ؟

أجاب حسن بسرعة :

لقد بدأنا من أول المذكرات ، فهي تعتبر كوميدية بعض الشيء ، فلن يمكنك تخيل ما سطر فيها ، أنا أتعجب عن سر إبقاء ذلك المعتوه لتلك المذكرات .

إن كل ما يوجد فيها يعيبه ويعيب شخصيته المريضة التي يحاول أن يخفيها خلف التسلط والتبجح .

ردد رمزي ، متعبًا وهو يفرك عينيه :

ستتعجب أكثر عندما تقرأ التقرير النهائي لتلك القضية ؟

obeikandl.com

اتسعت عينا حسن في قوة وفرح ، وسأله على الفور ..

أأعترف لك بملابسات الجريمة؟

صمت رمزي قليلًا ، ثم عقب ببطء :

وهل كنت سآتي إليك لأعلم محتوى المذكرات يا حسن ، إذا كان المتهم اعترف بجريمته !

هز حسن رأسه في خجل ، وقال بصوت منهك :

إنني غير متفائل ، يخيل لي إننا لن نوفق في انتزاع أي اعتراف من هذا الطبيب !

لم يعقب رمزي على ما قال ، بل وجه كلامه نحو المترجم قائلًا :

إلى ماذا توصلت حتى الآن؟

لقد ترجمت أول عشر صفحات يا سيدي ، وكلها تتحدث عن كونها أخطأت في الاختيار، وأنه ليس بالزوج المناسب لها .

لا سيما أنه لم يزل صبيًّا يافعًا ، تحركه والدته يمنة ويسرة كما تحب وعندما تريد .

كما أن هناك واقعة تتحدث عن مشادة كلامية وقعت بينهما بسبب رغبة الزوجة في السفر إلى أسوان على متن باخرة نيلية ، ورغم موافقة نهاد في البداية ...

إلا أنه تراجع عن الموافقة بناءًا على رغبة العجوز الشمطاء والدته ، هكذا نعتتها يا سيدي في كل الصفحات تقريبًا ، من المؤكد أنها كانت على غير وفاق مع تلك السيدة .

حثه رمزي على استكمال الترجمة ، دون الدخول في تفاصيل أخرى، فأكمل المترجم على الفور...

لا شيء يذكر يا سيدي سوى أنه صعد إلى الغرفة كي يستعطفها لإلغاء تلك الرحلة ، وقد ذكر لها رحلة نيلية أخرى، انتاب الجميع خلالها نوعًا من الإعياء بسبب دوار البحر .

وأكملت الزوجة ، قد كنت أكثر شجاعة منه حين نزلت إلى الطابق الأسفل ، وواجهته هو ووالدته الكئيبة ، وقد بينت لكلاهما أن ذلك الإعياء انتابهم بسبب عدم خروجهم من ذلك القبرالاختياري الذي يسكنون فيه.

كما أنه تم التعامل معهما من قبل الطبيب المتواجد على ظهر الباخرة ، لكنهما لم يغفرا لي أبدًا ذلك الذنب.

و قد تسببت تلك الوقعة بخصام بيني وبين نهاد استمر ثلاثة أشهر، قبل أن أضبطه داخل الغرفة يفتش في أغراضي .

وعندما واجهته منفعلة ، صرخ في وجهي لأنه وجد مسدسًا بين أغراضي ، وقد قامت بسبب ذلك المسدس حرب ضروس .

طرق رمزي برأسه ، وردد في شرود...

إذن كانت تملك مسدس!!

ثم وضع يده على كتف المترجم ، وقال في امتنان:

استمرفي الترجمة ، لكن عليك أن تسرع قدر المستطاع ،

ونصيحتي إليك أن تبدأ من نهاية تلك المذكرات .

***

في تلك الأثناء كانت سوسن تنفذ الخطة المتفق عليها مع رمزي بإيهام إقبال هانم بأن ولدها يتعرض للضرب والتعذيب من قبل رجال المباحث.

بدأت بالبكاء الخفيف فيما يشبه النهنهة ، حتى نجحت في لفت انتباه السيدة العجوز التي كانت تجلس في المقعد المجاور لها ، وقد بدأت معها الحديث على مضد .

فقد كانت تأنف من تلك الزائرة التي أتت ، وجلست بالقرب من عرشها الذهبي الذي تجلس عليه .

لماذا تبكين ؟ ألكِ أحد بالداخل و يخضع للاستجواب؟

توقفت سوسن عن البكاء ، قائلة بصوت مبحوح :

إنه زوجي يخضع للتعذيب على يد هؤلاء الكلاب منذ ثلاثة أيام ، كل يوم سواء بالأيدي ، أو العصا أو حتى عن طريق الكهرباء .

رفعت السيدة حاجبيها غير مصدقة لما سمعته أذناها ، ثم عادت لتنكمش في مقعدها للوراء ، وتسأل في ضعف...

لماذا ؟ ما هي جريمة زوجك ؟

شعرت سوسن أن خطتها تسير في الاتجاه الصحيح ، فقالت بنفس الضعف الذي ارتسم على ملامحها :

إنه لم يرتكب أي جريمة ، إنهم يشتهون فيه فقط ، يريدون أن يرغموه على اعتراف دون ذنب أو جريرة يا سيدتي ...

هل تتصوري أن يصل الظلم إلى ذلك الحد ؟

إنني هنا منذ ثلاثة أيام ، وكلما أراه أجد آثار الجروح والتعذيب تتجدد كل يوم ، حتى أنني اقترحت عليه البارحة أن يعترف بما يريدون كي يتخلص من هذا العذاب .

كانت أمارات الرعب تظهر واضحةعلى ملامح وجه إقبال هانم ، والتي كادت تتوسل لأي عسكري يمر من أمامها كي تتمكن من رؤية ولدها في تلك اللحظة .

لكنها لمحت بطرف عينها تلك الابتسامة المتشفية التي ارتسمت على وجه سوسن ، لم تغب عنها ، فمكثت كما هي في وهن وسكون، وقد بدا

التأثر على صوتها الذي تهدج ، وقررت أن تتولى هي دفة الحوار، لتسألها في رفق :

يبدو من ملابسك أنكِ رقيقة الحال ، مما يوحى أنه من الممكن أن يكون قد تم استغلالك بشكل أو بآخر كي تتصلي بي ، أو حتى كي تستدرجيني في الحوار .

ألكِ بالفعل أحد بالداخل ؟ ما هو اسمه ، وما هي مهنته ؟

إنني على صلة برئيس المباحث شخصيًا ، ويمكنني أن أطلب منه استخدام بعض الرفق واللين في المعاملة إذا ما كنت تودين ذلك.

ارتبكت سوسن، وارتعشت يداها، فرددت في ذهول...

وما الذي جعلك تستنتجي ذلك ؟ إنني بالفعل زوجة أحدهم .

وقبل أن تكمل حديثها، استطردت إقبال في هدوء :

تذكري يا بنيتي أن عمري ضعف عمرك ، وقد شهدت في

الحياة ما يجعلني أستطيع التفريق بين الحقيقة والكذب ،

ولا يمكنني أن أنكر أنكِ نجحت في البداية فى إدخال الشك

إلى نفسي ، لكني فيما بعد تداركت الموقف.

إنني هنا منذ الأمس ، تحديدًا منذ الحادية عشر مساءًا ، لم يحاول أحد من الجلوس أن يقترب مني .

سوى العامل الذي أرسله رئيس المباحث ليحضر لي طعام العشاء والقهوة ، ثم جاء ليسألني إن كنت أود تناول شيء ما .

ثم اتسعت عيناها فبدت المرأة مخيفة وغامضة أكثروأكثر، حتى أن سوسن انكمشت أمام ذلك التحول الرهيب ، فأكملت إقبال في بطء تام .

عليكِ أن تعودي من حيث أتيتِ ، ولا تنسي أن تبلغهم تحياتي .

لم تصدق سوسن نفسها أنها انتهت من ذلك الكابوس ، ففرت من أمام إقبال على الفور دون أن تلوى على أي شيء.

***

عندما عاد رمزي إلى المكتب كان كل شيء كما تركه منذ قليل ، فيما عدا نهاد ، فقد نهض من مكانه وشرع في تدخين سيجارًا ضخمًا , لم يلبث أن رأى رمزي أمامه ، ولا شعوريًّا قال في هدوء:

أتسمح لي؟

هز رمزي كتفيه علامة اللامبالاة ، قائلًا في برود :

يمكنك أن تفعل ما تشاء يا دكتور، ولا تخش شيئًا فليس معنى أنك أهنتني من قبل وطردتني من منزلك مرتين أنني سوف أنتقم منك بشكل شخصي.

لا، إنني إنسان متزن إلى أبعد الحدود ، كما أنك يجب أن تلقى أفضل معاملة هنا ، فقط لوتساعدني في إنهاء تلك المهزلة , وتخبرني أين زوجتك ؟

هز نهاد رأسه ، مرددًا في ثبات ، كأنه تعود على الوضع الجديد و بات يألفه :

لقد أخبرتك من قبل أنها سافرت إلى ألمانيا ، ولم أعد أعلم عنها شيئًا منذ ليلة الثلاثاء الماضي ! ثم إن عليك أن تنسى تمامًا قصة طردك من المنزل مرتين ، لأنك أسمعتني إياها أكثر من عشر مرات إلى الآن.

هنا انفعل رمزي ، وضرب المكتب بكلتا يديه ، صارخًا

لأول مرة...

نهاد ، لقد قَتلت زوجتك ليلة الثلاثاء الماضي ، فإما أن تعترف بهدوء، أو أجبرك أنا على الاعتراف.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يناديه فيها باسمه مجرد بدون القاب ، عسى أن يحطم ذلك الجبروت.

لكن الجبل ظل كالطود العظيم ، لم تهتز منه شعرة واحدة ، أو حتى تختلج أي خلجة من خلجاته .

ظهر الغضب واضحًا على وجه رمزي ، لذلك ردد في حسم :

حسنًا ، إنك لا تمنحني خيارًا آخر يا د/ نهاد ، سنعود للاستجواب مرة ثالثة ، لكن تذكر أني حاولت معك بكل الطرق السلمية الممكنة ، ولك أن تعلم أنني سوف أتمكن من إبهارك كما تمكنت أنت أيضًا من إبهاري.

ثم استطرد ضاحكًا ومغتاظًا في آن واحد...

هل تعلم ! لقد ابتكرت أنا رمزي عاصم، أسلوبًا فريدًا في اقتناص الاعترافات من المتهمين ، أطلقت عليه اسم (مثلث برمودا) كما أنني أفخر دائمًا بأنه يتم تنفيذه دون إراقة نقطة دم واحدة .

لذلك فأنا أطمئنك للغاية من هذه الناحية نظرًا لأنني أعلم جيدًا درايتك وإلمامك بحقوقك المدنية ، ومدى تمسكك بها ، استمرت ضحكاته بصوت عالي ، قبل أن يكمل فجأة...

س- توفي والدك وأنت في سن الـ18 عام ؟ ماذا كانت طبيعة علاقتك به؟

كان من أوائل القضاة الذين تقلدوا منصب رئيس للمحكمة ،

كان رجل قانون من الطراز الأول ، قضى معظم أوقاته ما بين المكتب والمحكمة .

س- سألتك عن طبيعة علاقتك به ، ولم أطلب منك تعريفًا له؟

علاقة عادية ، ولم أكن أراه كثيرًا فقد كان دائم الانشغال !

س- وماذا عن علاقته بوالدتك ؟

عليك أن تسألها بنفسك كي تعرف الإجابة جيدًا .

س- لاحظت أن كافة الصور في منزلكم تعود لأفراد من عائلة والدتك ، ألم تكن هناك أي صور لوالدك بالمنزل؟

لست أدرى ، إنني لا أهتم بتلك التفاصيل المملة .

س- ألم يكن لديه أيأصدقاء؟

حتى لو كان يملك من الأصدقاء الكثير، فأعتقد أن معظمهم قد فارقوا الحياة الآن .

س- أعطني فقط أي أسماء ، ودع لي أمر البحث عنهم ، كونهم على قيد الحياة أم لا؟

لا أعلم أي أسماء .

وبدون أي انفعال رفع رمزي سماعة الهاتف، مرة أخرى طالبًا رقمًا مختصرًا ، ثم ردد في صوت آمر...

المستشار (رفعت رستم) عليك أن تعثر لي على كل من كان يدرس معه في الحقوق ، وكل من أكمل معه الطريق حتى وصل إلى سلك القضاء ، والأصدقاء المقربين سواء من القضاء أو من مهن أخرى .

وضع السماعة ، وارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء ، وأخذ يردد في خبث...

سوف تنبهر بما نملكه من معلومات عنك ، وعن عائلتك الكريمة .

كالعادة لم تؤثر تلك التهديدات على صلابة نهاد الذهنية ، وقوة تحمله ، على العكس لقد بدا أكثر ارتياحًا عن ذي قبل ، إذ ربما تعود على الوضع واستطاع أن يتكيف معه ، ووضع ساقًا فوق ساق ، ولمح رمزي شبح ابتسامة على فمه لم يسبق له أن شاهدها من قبل , فسأله في ود مطلق :

أيمكن أن أطلب شيئًا مثلجًا بخلاف القهوة والماء يا رمزي بيه ، أم أنكم لا توفرون سواهم للمتهمين ؟

هنا ظهرت ابتسامة خبيثة مماثلة على شفتي رمزي ، قائلًا بلؤم...

للأسف لا يتواجد لدينا أي نوع من أنواع النبيذ، سواء الأبيض أو الأحمر!

اختفت الابتسامة على شفتي نهاد ، وحلت مكانها الدهشة ، وقال بذهول :

من الواضح أنك تراقبني منذ زمن يا رمزي بيه !

ردد رمزي وقد بدأ يشغل نفسه ببعض محتويات درج مكتبه ،

كأنه يفتش عن شيء ما ..

لقد بلغ بك الرعب مبلغه ، حتى بت تتناول الخمر سرقة خوفًا من والدتك !

هز نهاد رأسه في عصبية واضحة ، معللًا في تردد ..

يمكنني أن أشرح لك ذلك، ولكن هذا بعيد كل البعد عن الموضوع الذي نحن بصدده هنا.

إنني من أسرة ثرية كما هو واضح لك ، وقد توارثنا تلك الثروة جيلًا بعد جيل ، لكن جدي لوالدتي كان مدمنًا للخمور.

مما جعله يبدد جزء كبير من تلك الثروة الهائلة ، حتى توفي في حادث مؤلم نتيجة حالة السكر التام التي كان عليها ، بعد تلك الواقعة تم تحريم الخمر على أي فرد من أفراد العائلة .

وقد بات الرعب يملأ نفس كل من يفكر في تناول أي نوع منه ، أو حتى من مشتقاته .

وكما ترى والدتي وقد بلغ بها الكبر, لا يمكنني أن أحطم لها قلبها ، أو حتى أن أكون سببًا في وفاتها .

كاد رمزي أن يعلق على تلك القصة التي انتهى نهاد من سردها للتو ، لولا جرس الهاتف الذي تعالى وقطع حوارهما ، رد رمزي في سرعة...

ثم بدأ في إلقاء بعض الأسئلة على الطرف الآخر...

حسنًا ، من منهم لا يزال على قيد الحياة ؟

وعندما تلقى الإجابة ، علق رمزي في هدوء :

إذن أرسل في طلب استدعاؤه ، واحرص على أن يكون ضيفك حتى أنتهي من الدكتور نهاد .

ظهرت علامات السعادة على وجه رمزي، وهو يقول :

سوف أجعلك تقابل أعز أصدقاء والدك الراحل ، المستشار/

أحمد سالم .

***

كانت الساعة تقارب السادسة صباحًا، عندما وصل

الدكتور(أحمد لطفي) إلى مقر قسم المعادى ,

obeikandl.com

وهو أحد أهم أساتذة القلب في مصر والعالم العربي ، بلغ منذ أيام عامه الخامس والستين .

عندما دخل رمزي إلى المكتب ، كان الضجر يرتسم على وجهه ، وإمارات التشنج واضحة عليه .

ولم يحاول رمزي الاعتذار، بل فضل إن يكون صريحًا في استجوابه للطبيب دون أي مواربة ، أو حيادية حتى يتمكن من الحصول منه على المعلومات التي استدعاه بشأنها .

وبدأ كلامه موضحًا ، أنت هنا يا د/ أحمد بصفتك شاهدًا ليس إلا ، وأريد أن أسألك بعض الأسئلة عن مريضة كنت تتابع حالتها .

س/ هل تعلم أنجيلكا هاربر؟

رد الطبيب فورًا دون تفكير.

نعم، أعرفها جيدًا وأتابع حالتها منذ أربع سنوات تقريبًا.

ردد رمزي في تلقائية :

عظيم .. عظيم ، وهل تعرف زوجها ؟

هز الطبيب رأسه نفيًا وهو يقول . .

أعلم أنه طبيب عيون ، لكني لم أره من قبل ، ولا مرة واحدة , حتى عندما ذهبت إليها فى المنزل مرتين , كان فى استقبالى الخادمة فقط !

س/ كيف كانت حالتها يا دكتور؟

كانت مستقرة ، لأنها كانت تعاني تضخمًا طفيفًا في القلب لا يرقي إلى مستوى الخطورة المعتادة في أمراض القلب .

س/ هل كانت هناك أدوية معينة تصفها لها، وأخرى محرمة عليها يا د/ أحمد؟

بالتأكيد ، كل فترة كنا نقوم بعمل (إيكو) على القلب ، وعلى أثره نحدد العلاج المطلوب والجرعات المحددة .

س/ وماذا عن الأدوية المحظورة يا د/ أحمد؟

تأفف الطبيب قليلًا قبل أن يسأل :

هل من الممكن أن اعلم لماذا كل هذه الأسئلة ؟

بالتأكيد يا دكتور ، مريضتك اختفت ، يرجح أنها قتلت برصاصة في الصدر...

انتبه الطبيب بعض الشيء عندما سمع السبب في حضوره إلى قسم البوليس ، فعلق في سرعة :

إذا كنت تسأل عن التاريخ المرضي لأنجيلكا ، فليس من السهل أن تصاب بأزمة قلبية ، خاصة وأنها تتمتع برباطة جأش وشخصية قوية .

هنا استنتج رمزي أن الطبيب لا يريد أن يورط نفسه في تلك القضية أكثر من ذلك ، مما جعله يعطي إجابات محايدة بعد أن كان متحمسًا في البداية...

لذلك فقد أخرج من جيبه ورقة وقلم و أخذ يدون فى صمت أسماء بعض العقاقير وعندما انتهى , مد يده بالورقة فى برود قائلا ..

هذه هي الأدوية المحظورة على مرضى القلب .

هكذا انتهت تلك المقابلة الغريبة مع الكتور أحمد لطفى فى هدوء...

***

حول مكان الجريمة...

في ظل الظلام الدامس الذي كسا ملامح كافة شوارع العاصمة ، والهدوء الذي يسيطر بالفطرة على حي المعادي ، لم يكن من الصعب أن تصل الحملة التي يقودها عصام لتفتيش الجاراج الخاص بالدكتور نهاد .

ما إن وصلت السيارات حتى أيقظ جميع القائمين عليه بالحراسة ، كما شرع الآخرون في التعامل مع البوابة الخاصة بالسيارة.

ثم بدأ المختصين من المعمل الجنائي برفع البصمات من فوقها , ومسحها مسحًا شاملًا عسى أن يعثروا على أي دليل أو قرينة جديدة .

أما عصام فقد بدأ في سؤال الحارس وزوجته عن السيارة ، ومن يملكها ؟

كانا يعلمان الكثير حيث أجزمت له زوجة الحارس أن د/ نهاد خرج بسيارته ليلة الثلاثاء في تمام الساعة الواحدة صباحًا بعد منتصف الليل ، مما أثار في نفسها الشك .

لأنه ليس معتادًا على الخروج أبدًا في ذلك الوقت ، لكنها كانت ترضع طفلتها التي أجهشت بالبكاء قبل أن يقتحم نهاد الجاراج بسرعة وينطلق بالسيارة .

وتستطرد السيدة...

كدت أن أسأله عن السبب الذي يدفعه للخروج في ذلك الوقت المتأخر، لولا أني أعرف جيدًا طباعة الحادة .

فهو ليس اجتماعيًا ، كما أنه لا يميل للتحدث مع الناس بشكل مستمر ، ولما كان على عجلة من أمره ، توقعت أنا وزوجي أن تكون والدته العجوز قد أصابها مكروه ما ، لكننا شاهدناها فيما

بعد بصحة جيدة .

كانت تلك المعلومات بالنسبة لعصام أكثر من ممتازة ، كانت كما يقول البعض (جامعة مانعة) ، اكتفي بذلك القدر من الاستجواب، قرر أن ينسحب هو والقوة فور الانتهاء من رفع البصمات على السيارة .

بينما كان ذلك يحدث ، ظهر من جديد جابر الخفيف ، ثم أخذ يطوف كالمجنون بلا هدى حول الفيلا .

ما إن لمح ضوءًا في إحدى الشقق بالطابق الأول حتى هرع إليه دون أي تفكير ، فقد مضى وقتًا طويلًا عليه في الآونة الأخيرة بلا مأوى ، أو طعام يذكر مما جعله يلجأ للتصرف العشوائي دون خطط مسبقة .

نجح جابر في الولوج إلى الشقة ، أخذ منها كل ما ثقل ثمنه وخف وزنه.

لكن ثمة شيء ما في شخصية جابر كان يجعله بالفعل جديرًا بلقب (الحزين) فقد كان أكثر لصوص العالم نحسًا.

ففي نفس الوقت الذي كان يعبر فيه جابر الشارع مسرعًا ، بعد أن ضرب ضربته هذه المرة بنجاح ، انطلقت أصوات أبواق سيارات الحملة التي يقودها عصام معلنة عن رحيلها من هذا المكان .

شعر جابر أنهم بصدد إلقاء القبض عليه ، فما كان منه إلا أن ألقى بكافة المسروقات بعيدًا ، ثم هرول بلا هدف .

لم يشعر بقدميه وهما تسابقان الريح من أجل الهرب ، كما لم تر عيناه تلك الشاحنة المسرعة التي اصطدمت به بكل عنف وقسوة ، بينما يتلفت خلفه خشية أن تلحق به الشرطة .

ارتفع الجسد الخفيف فوق الأرض ما يقارب العشرة أمتار، ليهبط عائدًا إليها إلى الأبد ، فقد فارق جابر الحياة قبل أن يرتد جسده حتى إلى الأرض مرة أخرى ، لقد أصبح بالفعل جثة هامدة .

توقفت كل مركبات الشرطة إثر ذلك المشهد المهيب ، كذلك الشاحنة ، وعبثًا حاولوا إنقاذ هذا المصاب ، أو نقله إلى إقرب مستشفي ...

لكن المفاجأة كانت من نصيب عصام الذي تعرف على صاحب الجثة ، والذي كان يحوم حول مكان الجريمة كالعادة ، عسى أن يجد ما يطمئنه أو يجعله يعود إلى منزله مرة أخرى .

***

خرج رمزي من الحجرة الجانبية مسرعًا بعدما أخذ ما أخذ من

د/ أحمد لطفي ، عائدًا إلى غرفة التحقيق بسرعة ، فقد كان عليه الانتهاء من ذلك الاستجواب في أسرع وقت ممكن ، فقد كانت بالنسبة إليه بداية يوم جديد .

لكن استوقفه المترجم ، وكأنه يريد أن يخبره شيئًا هامًّا في تلك المذكرات التي تركتها خلفها أنجليكا هاربر.

كان انتهى بالفعل من الجزء الأخير بأكمله ، وبعض النقاط الأساسية في المذكرات كلها بوجه عام ، ثم بدأ الشرح بهدوء .

في مجملها يا سيدي تلخص جملتين رئيسيتين ، وهي أنها تكره حماتها ، أو تلك السيدة العجوز كرهًا شديدًا لا مثيل له .

أما المحور الأخر هو ضعف شخصية زوجها ، الذي طالما شبهته بالأطفال الصغار الذين يرتعدون خوفًا من آبائهم عند اقترافهم أي خطأ ما .

ثم نصل إلى المحور الثالث ، تلك الكوابيس التي كانت تطاردها كثيرًا ، خاصة في الفترة الأخيرة .

أما عن السرد الكوميدي ، فإنه لا يتوقف ، حيث أنها تصر على نقاء سريرة نهاد بشكل حقيقي ، لكن ذلك لا يمنع سواد قلب السيدة العجوز ، فهي لا تنسى أي شيء ، بل يظل عالقًا بذهنها !

ثم تصف الأم بأنها أمكر من الحيوانات خبثًا ولؤمًا، وتتعجب من العلاقة التي تجمعها هي وابنها، فهما شبيهان بالتوأم الملتصق!

كما تقول مندهشة ، رغم أنه زوجي أنا، إلا أنه لم يدخل غرفتنا.

إلا مرات معدودة ، ولا أستطيع أن أتكهن إذا كانت تلك الزيارات رغبة منه فعلًا، أم بناءًا على طلب من والدته !

ثم تعلق على السيدة العجوز..

لا أعلم لماذا تكره زوجها بشدة ، أو إلى هذه الدرجة ! هناك سبب ما أنا لا أعرفه ، لكنها أيضًا نجحت في أن تجعل نهاد هو الآخر يكرهه ويحقد عليه .

حتى أنها قامت بإعدام كل الصور الخاصة به هو ، وأقاربه في المنزل فور وفاته بساعات قليلة!

وتستطرد...

كم أتعجب من تلك المرأة ، بل أني أشمئز منها ، و أتطلع بقوة إلى اللحظة التي سوف أحصل فيها على حريتي مرة أخرى، وأعود إلى بلادي الحبيبة .

توقف المترجم عن الكلام ، ليأخذ رمزي نفسًا عميقًا قبل أن يسأل في فضول ...

هل ذكرت بين السطور اسم العقار الذي عالجهم به طبيب السفينة ؟

بدأ الرجل يراجع المذكرات مرة أخرى، كي يتذكر ما كتبه منذ قليل ...

فقد استشعر أهمية تلك الإجابة ، كونه يساعد رئيس المباحث في حل قضية هامة ومعقدة ، كما أن هذه المذكرات قد راعت انتباهه بشكل أو بآخر .

ثم نطق فجأة ...

أخيرًا ، وجد السطور التي تخص الواقعة ، ثم بدأ ترجمتها بهدوء ، ها هي يا سيدي ...

تقول أن الطبيب فحص حالتها هي ونهاد ، ولما كان الأخير يعاني تضخمًا ضئيلًا في القلب فإنه لم يحصل على نفس العقار الذي أخذت منه والدته ذات القلب السليم .

ثم انتفض الرجل عندما رأى الكلمة بين القوسين ، فصرخ

فرحًا...

ها هو يا سيدي اسم العقار..

قارن رمزي بين اسم العقار ، والقائمة التي بحوزته عسى أن يكون ضمن الأسماء التي أعطاه إياها د/أحمد لطفي منذ قليل , لمعت عيناه فجأة ، وقد شعر بالقوة تسري في أوصاله من جديد .

***

أرواح بلا ثمن...

لم ينتظر عصام حتى ينتهي رمزي من استجوابه لنهاد ، بل دخل إلى المكتب على الفور .

لكنه لم يجد رمزي ، بل وجد نهاد والكاتبان فقط لا غير ، وبينما كان يتراجع إلى الخلف مغادرًا في هدوء ، اصطدم برمزي نفسه ، وقد ارتسمت على وجهه أمارات الغضب ، ثم سأله مباشرة :

لماذا تتصبب عرقا ؟ وما هي نتائج حملتك ؟

كان عصام لم يزل يلهث من هول ما حدث منذ قليل ، لكنه في الأخير كان عليه أن يخبره ، فجذبه للخارج وهو يتمتم في خفوت ، أفضل أن يكون ذلك على انفراد!

شعر رمزي بأهمية المعلومات لدى عصام ، فسأله مباشرة دون إبطاء :

هل يمكنك أن تخبرني ما حدث سريعًا ؟

هز عصام رأسه مجيبًا ، ثم قال حاسمًا...

لقد فتشنا الجاراج ، وقد كان نظيفًا تمامًا ، حتى السيارة غسلت حديثًا ، لكن لدينا شاهدة تؤكد بنسبة مليون بالمائة أنها شاهدت

د/ نهاد، وهو يغادر الجاراج بسيارته مسرعًا ليلة الثلاثاء الماضي في تمام الساعة الواحدة صباحًا ، قبل أن يعود في الثالثة والنصف تقريبًا.

اتسعت حدقتا عيني رمزي ، وسأله في لهفة :

من هي تلك الشاهدة بالله عليك ؟ وهل يمكنني استدعائها للمحكمة في أي وقت؟

علق عصام مسرعًا...

إنها زوجة حارس الجاراج ، لديها طفلة رضيعة كانت تبكي في ذلك الوقت ، وقد كانت تلك الطفلة هي السبب في أن أمها تستيقظ لتكون شاهدة على ذلك الوغد ، وهو يغادر مسرعًا وكأن شياطين الأرض تطارده .

تنفس رمزي الصعداء ، وهو يحثه على الاستمرار..

في البداية ظنت أن خطبًا ما قد حدث لوالدته ، لكنها ما لبثت أن رأتهما معًا في صحة جيدة.

ابتسم رمزي ، قائلًا بفرح شديد :

عظيم ، لكن تلك الأخبار أكثر من رائعة ، لماذا إذن وجهك أزرق اللون ؟

استكمل عصام بحذر...

بينما كنا عائدين مع القوة ، وبصحبتي زوجة الحارس ، كي نأخذ أقوالها هنا بشكل رسمي ، أطلقنا كالعادة السارينة المميزة لنا.

مما أفزع أحد اللصوص الذي كان يحاول الهرب بعد نجاحه في سرقة إحدى العقارات بالدور الأرضي ، ففر هاربًا تاركًا كل شيء خلفه ، لكنه

كان مسرعًا جدًّا أثناء عبوره للطريق ، فاصطدمت به شاحنة كبيرة ، مما أدى إلى وفاته على الفور.

خيم الصمت على كلاهما ، قبل أن يسأله رمزي في دقة :

كيف تأكدت أنه أحد اللصوص ، هل لديه وجه مميز ؟ أم له سجل إجرامي في الأرشيف ؟

تعرق عصام قليلًا قبل أن يجيب...

نعم ، إنه شهير جدًّا خاصة هذه الأيام ، معروف باسم...

(جابر الخفيف) !

تراجع رمزي إلى الوراء ، كأنه صعق بالكهرباء ، فاستطرد عصام حواره...

اقسم بالله ، كل ما فعلناه هو أن أطلقنا الأبواق ، فأصابه الفزع ، وحاول الهروب ، حتى أننا لم نكن نعلم بوجوده أساسًا!

من الواضح أنه كان يحوم حول المكان كي يستكشف الأجواء حول الفيلا ، لكنه لم يستطع أن يظل ساكنًا دون أن يزاول نشاطه المريض ؛ فما كان إلا أن دفع حياته ثمنًا لغباؤه وجبنه !

هز رمزي رأسه متفهمًا ، قائلا بهدوء يحسد عليه :

obeikandl.com

فقط عليك أن لا تخبر سوسن بذلك الآن ، صدقني من المحتمل

أن يكون ذلك أفضل ما حدث لها ، وله على حد السواء !

قال ما قال ، وأمسك بمقبض الباب لاستكمال استجواب الطبيب العنيد في الداخل ، لكنه فوجئ بكريم يأتي مسرعًا يخبره أن المستشار/ سالم ، أعز أصدقاء والد نهاد ينتظر في حجرة الاستراحة .

وعلى الفور ، قرر أن يترك نهاد يعتمل في غضبه أكثر وأكثر ، وفضل الاستماع إلى أحد أهم الأعمدة التي تعتمد عليها تلك القضية .

***

دخل رمزي إلى حجرة الانتظار الخاصة بالضيوف ، والتي يجلس بها المستشار/ سالم ، توقع في البداية شيخًا عجوزًا متذمرًا كما كان الوضع مع الطبيب .

لكنه وجد رجلًا مرحًا على غير العادة ، وقد بادره هو بالحديث :

مرحبًا أيها الضابط ، ألم يكن لديك وقت أفضل من هذا حتى تطلب رؤيتي فيه ؟

ابتسم رمزي من تلك البداية المازحة ، قائلًا باحترام ...

لو كان الأمر بيدي لكنت ذهبت أنا بنفسي إليك يا سيدى ، وأقسم لك على ذلك .

لكنها الظروف التي تضطرني إلى عدم مغادرة هذه الأروقة ، قبل حل تلك القضية المعقدة التي أعمل عليها منذ أربع أيام بلا توقف حتى كاد رأسي أن ينفجر.

هز الرجل رأسه متفهمًا ، وبلا مقدمات سأله مباشرة...

وما هى الخدمات التي يمكنني أن أقدمها لك يا ولدي، وأنا في عمري هذا؟

تناول رمزي كوبًا من العصير، ثم ناوله للمستشار/ سالم ،

قائلًا بمكر...

ذكريات يا سيادة المستشار ، مجرد ذكريات!

أريدك أن تعتصر عقلك بعض الشيء ، كي تتذكر اسم واحد من أهم أصدقاءك ، فهل من الممكن ذلك ؟

وضع الرجل كوب العصير جانبًا قبل أن يسأل في حذر...

اعتقد يا ولدي أن أصدقائي ، أو من في نفس مرحلتي العمرية بعيدون كل البعد عن أي شبهة جنائية ، ثم أفتر ثغره عن ابتسامة هازئة قبل أن يكمل , حتى أن معظمهم قد فارق الحياة بالفعل .

امسك رمزي كتف الرجل بحنو ، واقترب من أذنه أكثر،

ليهمس قائلًا..

بالفعل يا سيدي ، إن الذكرى التي أطلبها منك تخص أحد الأصدقاء الذي غادروا الحياة ، المستشار (رفعت رستم) .

رفع الرجل حاجبيه على الفور، قبل أن يقول :

رفعت لم يكن صديق فحسب ، بل قضى معي معظم أوقات حياته ، إن لم تكن أكثر من التي قضاها برفقة زوجته المجنونة وولده.

انتبه رمزي لما يقول ، وسأله باهتمام من جديد :

هل كانت علاقتك به قوية ، إلى أي درجة كانت ؟

مط العجوز شفتيه ، قبل أن يعلق مازحًا...

رفعت كان أكثر من شقيق ، لم يكن هناك داعي أن أعتصر ذاكرتي كي أتذكره ، لقد أقام في منزلي فترة من الوقت.

تلك عندما قرر أن يترك تلك المجنونة ، ويتزوج إحدى الفتيات التي تعلق بها قلبه ، وقد أحبها بشدة .

توقف رمزي عن اللف داخل الغرفة فجأة ، وجلس على المقعد المقابل للمستشار، وأخذ يكتب كل كلمة نطق بها.

وعاد للسؤال بهدوء ...

من جديد يا سيدي الفاضل ، لكن أرجوك بهدوء شديد.

obeikandl.com

إن ذلك الابن متورط في جريمة ما ، وأريد أن أعلم بعض المعلومات عن ماضيه خاصة لأبيه ، فهو يرفض الحديث عنه.

انفعل الرجل ، وصاح معنفًا..

هو يخجل من تاريخ رفعت ! يا ولدي لقد رأيت زوجته ، وابنه

هذا مرتين اثنين فقط ، لكن من خلالهما أستطيع أن أجزم لك ، دون أي تجني أنهما بالفعل غير أسوياء .

لقد بلغ البخل بالزوجة مبلغه ، حتى أنه أخبرني ذات مرة أنها تعشق الذهب والنقود أكثر من أنفاسها التي تتردد داخل صدرها.

بينما رفعت كان مسرفًا بطبعه ، رافضًا لسياسة الحصار الاقتصادي التي فرضتها زوجته على المنزل ، فقط أعلن التمرد عليها .

كنا نعشق السهر كل ليلة في مكان ما ، فقد كانت الحياة بالنسبة إليه مغامرة ، أو فيلم من أفلام الإثارة والتشويق .

عاش حياته كما يطلق البعض (بالطول والعرض) ؛ فقد كان رفعت أوسم من في الدفعة كلها.

وقد كانت الحياة في ذلك الوقت تستحق أن نحياها بالفعل يا ولدي ، كانت حياة من كل الأوجه وبلا أي استثناءات ، غير أن رفعت راح يبعثر أمواله نكاية فيها ، لكن القدر ، والقلب الضعيف لم يمنحاه الفرصة

لاستكمال تلك المغامرة ففارق الحياة في نفس اليوم الذي حدده للزواج .

وإحقاقا للحق ، لقد اختفى كل ما يتعلق بالفرح والسعادة ، برحيل رفعت المفاجئ .

انتهى الرجل من سرد الذكريات ، فسأله رمزي بتهذيب .

هل رأيت فيما بعد زوجته أو ابنه ؟

هز الرجل رأسه نفيًا ، وعلق مستاءًا...

لم ترد الزوجة أن تقابل أيًّا من الأصدقاء خلال العزاء ، وكذلك الابن ، بعدها انقطعت كل العلاقات بيننا !

كانت الإجابات التي أفضى بها المستشار/ سالم أكثر من وافية كي يلتف حبل المشنقة حول عنق نهاد أكثر فأكثر .

ودع الرجل بهدوء وأدب جم ، وقرر العودة إلى المكتب ، وقد منح نهاد فرصة أخيرة للتحدث بصدق وصراحة في تلك الجولة الأخيرة بينهما.

***

الجولة الخيرة... مثلث برمودا *[2]

[2]- مثلث برمودا (مثلث الشيطان) منطقة جغرافية على شكل مثلث متساوى الأضلاع ، يقع في المحيط الأطلسى .

obeikandi.com

كانت المعركة سجالًا بين الطرفين ، وإحقاقًا للحق أنهما من

الوزن الثقيل ، خصمان استطاع كل منهما أن يتحدى الآخر...

لم يكن سهلًا على نهاد بقاؤه ساكنًا مقيد الحركة ، دون أن

يعترض ، فقد دنس رمزي محرابه المقدس ، قاموا بهدم المعبد فوق رأسه بداية من المنزل الذي تعرض للغزو من الرعاع الغوغائيين.

وصولًا إلى تعمد إهانته وإذلاله أمام كافة الناس، ووالدته الحبيبة.

كان شيء ما في شخصيته ، سببًا في أن يعزف عن أي بادرة ندم أو استياء ، ربما غروره ، أوكبرياؤه .

فهو محتجز منذ الحادية عشر مساءًا ، والآن السابعة صباحًا ، ولا يزال الاستجواب مستمرًا لا يعلم أحد متى سينتهي .

إلى أن دخل المكتب كالعاصفة ، ومرة أخرى يناديه باسمه مجرد من الألقاب ، وكأنهم أصدقاء قدامى .

س- نهاد ، ألم يحن الوقت بعد لتخبرني كيف قتلت زوجتك ؟

أنا لم أقتل زوجتي .

س- لم يكن أيًا منكما يبادل الآخر حبا بحب، لماذا تم الزواج ؟

لقد تقابلنا صدفة وأعجبنا ببعض ، وهي التي سعت إلى الزواج .

س- كيف كانت العلاقة فيما بينكما ؟

لم يكن بيننا أي خلاف .

س- أرى أنك تهرب من الإجابة على سؤالي يا د/ نهاد؟

لا أعلم لماذا ترهقني بالأسئلة أيها الضابط مادمت قمت بالتحري ، عني وعن عائلتي ، وجمعت كل المعلومات الضرورية ، لقد نشأت على عادات ثابتة لن أحيد عنها يومًا .

بينما كانت تعشق هي الكتابة وتدوين المذكرات ، ولعلك الآن تخضع تلك المذكرات للترجمة الفورية ، حتى يمكنك فك طلاسم ذلك الهراء الذي كانت تعكف على كتابته ليلًا ونهارًا.

س- إذن ، فقد عشت معها عامين تحت سقف واحد ، لكن كالغرباء يا د/ نهاد .

هز نهاد رأسه نفيًا ..

ليس تمامًا ، لكن يمكنك اعتباره كذلك!!

كانت هناك رغبة جامحة في خيال رمزي ، بل كاد أن يحطم رأس نهاد من أجل تلك الإجابات الممزقة التي يمنحها له على أي سؤال ، فسأله في حدة ..

س- ما الدافع الذي يجعل طبيب ينحدر من عائلة عريقة ، ويعيش في مستوى عالي من الرفاهية ، يقبل بذلك الوضع في الزواج ؟

رفع نهاد كتفيه علامة التعجب ، قائلًا ببرود مستفز :

لقد تزوجت بناءًا على رغبة والدتي عندما وجدت الإنسانة التي تناسبني عمرًا وعقلًا.

ثم استطرد في سخرية...

هذه هي أسبابي ، أما أسباب إنجيلكا فيمكنك أن تسألها بنفسها..!

صرخ رمزي بعنف..

أنجيلكا ماتت .

و بنفس البرود ، رد نهاد...

و لماذا تستبعد العثور عليها حية ترزق !

س- هل أنت متأكد من ذلك؟

نعم ، ولن أجيب على أي سؤال آخر يخص تلك القضية .

نهض رمزي من خلف المكتب ، قائلًا في برود...

إنها السابعة صباحًا ، لكن ليس أمامي سوى إعادة استجواب إقبال هانم الآن .

obeikandl.com

انطلقت نظرة حادة ممزوجة بالكراهية ، كأنها سهمًا مسمومًا ، ويا حبذا لو يخترق صدر رمزي، كي يزيح ذلك الكابوس عن طريقه إلى الأبد ، ثم ردد في بغض شديد :

لا أعلم كيف تنام ليلًا ! فأنا ما كنت أتمنى يومًا أن أكون مثلك أيها الضابط !

ابتسم رمزي نتيجة سماعه هذا التعليق ، ورد في تلقائية...

أنا أيضًا لا أتمنى أن أكون في مثل موقفك هذا أيها الطبيب !

ثم استطرد في إصرار وعزم وتحد ...

لقد قتلت زوجتك الثانية يا د/ نهاد ، كما أرجح أن تكون قتلت زوجتك الأولى أيضًا ...

كانت نظرات الحقد تشع من عيني الطبيب كشعاع الشمس في وهج الظهيرة ، لكنه قرر العودة إلى أسلوب الاستفزاز ، واضعًا ساقًا فوق ساق ، وهو يقول :

إنني أتضور جوعًا ، ولن أكمل حرفًا دون أن أحصل على طعام ! ثم استطرد في سرعة ، وقد خفت الحدة من صوته , ولوالدتي إن أمكن...!

طمأنه رمزي ، وهو يبتسم في كراهية مماثلة :

لقد تناولت عشاءها بالفعل ، وتخضع الآن لبعض الأسئلة قبل أن أتولى التحقيق معها بنفسي ، صمت قليلًا ، ثم أضاف ببرود ...

مرة أخرى ، ظهر الرعب على وجه نهاد ، وفكر في إثناؤه عن الفكرة قائلًا...

إن والدتي امرأة طاعنة في السن لا علم لها بشيء ، ثم حاول أن يستدر عطفه فأكمل :

ألا يحمل قلبك الشفقة لامرأة في عمر والدتك ؟

مط رمزي شفتيه قائلًا...

كانت زوجتك أولى بتلك الشفقة ..

ركز نهاد عينيه على رمزي، وقال مقتضبًا:

هل يمكنني أن أراها؟

سأله رمزي بخبث...

من تقصد؟

والدتي ..

هنا أفتر ثغر رمزي بابتسامة ثعلبية ، قائلًا ببرود:

لا..

obeikandl.com

ثم قام من خلف مكتبه ، ليجول في الحجرة دون توقف حتى بدأ السرد قائلًا :

سأقص عليك يا نهاد قصة مختصرة ، ولا أريدك أن تقاطعني أثناء السرد ، عسى أن نحصل على نهاية لتلك الليلة الليلاء ...

س- هل تعدني بذلك ؟

هز نهاد رأسه صاغرًا بهدوء ، وقال :

نعم ..

نهاد ، إننا هنا بصدد لغز اختفاء زوجتك ، وإحقاقًا للحق

أنت لم تحد عن الحق كثيرًا ، فمعظم ما قلت تطابق مع الأدلة

والشهود.

لكن وفاة إيلا بنفس الطريقة التي توفيت بها زوجتك الأولى ، سيكون مثيرًا للشك ، كما أن شخصية إيلا وتكوينها البدني مختلف تمامًا عن الزوجة الأولى...

ولما حسمت تلك الزوجة أمرها بالرحيل ، والعودة إلى وطنها الأم ، وقد سأمت من العيش معكم تحت سقف واحد ، وتم التأكد من حجز الطائرة بالفعل وكل شيء , إلا أنها لم تكن على متن تلك الطائرة!

لا تفسير لدي عن سبب عودتها مرة أخرى إلى المنزل بعد مغادرته ، لكني على علم بأنها كانت تملك مسدس ، وما أعجز عن استنتاجه حقًّا هو , من أطلق النار على من؟

هل بادرت هي بإطلاق النار عندما ضبطتك تسرق من أموالها ؟ بمبدأ الدفاع عن النفس؟

أم أنت الذي بادرت باستخدام المسدس ، عندما كانت تتحاسب معك لتسترد ما سرقته من أموالها؟

ثم انتابك الذعر عندما رأيت ما اقترفته يداك...

دعنا الآن نضف إلى المشهد وجود والدتك إقبال هانم ، فإنها أبدا لم تكن بغرفتها ، فقد تولت أمر المراقبة إلى أن تأتي أنت بالسيارة من الجاراج .

ثم استطرد بهدوء ، كأنما يعيد ترتيب أفكاره من جديد ...

لعل الحلقة الضائعة التي تكاد تفقدني العقل ، هي السبب وراء عودتها للمنزل ، ما الدافع وراء ذلك؟

استمر نهاد في الاستماع إليه ، ورمزي يرد على نفسه...

لعلها لم تغادر المنزل مطلقًا ، حجزت تذكرة الطائرة ، ثم تأهبت لكنها أبدًا لم تغادر ، ثم صمت قليلًا وأكمل بحذر:

لقد اكتشفت سرقة ما كما ذكرت من قبل ، وهكذا بدأ الشجار!!

ثم جلس أمامه ، وأكمل كفحيح الأفعى...

أم أنها هددت والدتك المسكينة بالسلاح لترغمك على القيام بأمر ما مثلًا ، ثم علق ضاحكًا...

هل تعلم أنها كانت تكن لوالدتك كراهية لا مثيل لها ، لذلك أنا أرجح أنها قد هددت بنسف رأسها كي تحثك على القيام بعمل ما ، ثم مال برأسه أكثر وهمس قائلًا :

باعتبار والدتك نقطة ضعفك الوحيدة !

ثم عاد إلى الدوران في الغرفة ، مرة أخرى ثم وضع يده على كتف نهاد مكملًا...

أو أنها هاجمتكم معا أنت ووالدتك ، فسحبت أنت مسدسك من الدرج وأطلقت النار عليها .

في كل تلك الاستنتاجات نجد أنك بعيد كل البعد عن حبل المشنقة ، إذ أن النية بالقتل لم تكن مبيتة ، وركن الترصد لم يكن وجود .

ثم أشعل أحد سجائره ، وهو يقول :

س- ما رأيك في ذلك التحليل؟

ودون أن يرفع نهاد نظره عن رمزي في تحدٍ وجلد ، ردد في هدوء وإرهاق...

إن ما نحن فيه من الممكن أن يستمر إلى الأبد!

هز رمزي رأسه كمن فقد الأمل في شيء ما ، فقد حاول السيطرة على غضبه بشتى الطرق ، لكنه رغمًا عنه خرج صوته مرهقًا ضعيفًا :

نهاد ، أنت ترى في المكتب معنا كاتبين ، أليس كذلك ؟

هز نهاد رأسه إيجابًا ...

وعلق رمزي سريعًا...

هل تعلم الغرض من تواجد اثنين بدلًا من واحد؟

حاول نهاد كتم ضحكة كادت أن تفلت منه ، لكنه قرر استفزاز رمزي من جديد ، ما دام سأله عن رأيه ، فقال هازئًا :

نظرًا لأنك من أكثر الضباط الذين قابلتهم زبدًا وإلحاحًا !

ضحك رمزي بصدق هذه المرة ، بل و ارتفع صوته قائلًا:

في تشفٍ واضح :

أنت تتمتع بحس دعابة رائع ، لكن الإجابة خاطئة هذه المرة أيضًا ، السبب هو أن أحدهم يكتب السؤال ، والآخر يكتب الجواب فقط .

جلس أمامه في تحدٍ هائل ، وقال هامسًا :

هنا يكمن سر.. (مثلث برمودا) !

سأغادر المكتب بعد قليل يا د/نهاد ، وسيحل مكاني ثلاثة رجال من أكفء المساعدين لي ، ولك أن تتخيل ماذا سيفعل كل واحد منهم ؟

سيعاد استجوابك بكل تلك الأسئلة مرة أخرى ، واحدًا تلو الآخر، وعندما تصل إلى الثالث سوف نعيد الكرة من جديد.

اتجه رمزي صوب الباب ، ولم يغب عنه ذلك التعبير الفزع الذي ارتسم على وجه نهاد ، فأنهى كلامه معقبًا في سخرية :

أرجو أن لا يكون لديك العديد من المواعيد خلال الأيام القادمة ، وإلا فإن مرضاك سيفتقدونك يا دكتور!

***

دخل رمزي إلى مكتب عصام مرة أخرى ، ليتفقد وضع المترجم الذي لم يزل منكبًا على المكتب ، وما إن شاهده الرجل حتى قال في إرهاق :

لقد أنتهيت تمامًا يا سيدي ، فهل أقرأها على سيادتك ؟

أشار له رمزي بيده ، قائلًا بهدوء :

تفضل..

تعود لتكتب عن أحلام كانت غالبًا ما تطاردها ، كانت تلك الأحلام تنبأها بأن شيئًا ما سيحدث لها في ذلك المنزل الكئيب ، إذ أنها تشعر بنفسها غريبة وهي تعيش معهم في ذلك المنزل.

لقد اختفت السعادة وتلاشت من حياتها ، بل وتعتبر أفضل أيام حياتها هي التي قضتها في الفندق قبل أن تقابل نهاد ووالدته.

تلك السيدة العجوز، لم يسبق لي أبدًا أن تعرفت على أحد يعشق ذاته كما تعشقها هذه الشمطاء وسوف تتاح لها الفرصة كي تعتلي عرش منزلها بلا منازع من جديد ، إذ أنني أنوي الرحيل !

أما نهاد فلا أعتقد أن الفراق سيكون فارقًا معه في أي شيء ، كما أنني على ثقة من أنه كان يعلم جيدًا ما سيؤول إليه زواجنا هذا , نحن ورغم بقاءنا معًا تحت سقف منزل واحد ، إلا أننا لا نزال أمام بعضنا البعض أغراب تمامًا ، لا يعرف كلانا الآخر، فقد كنت ألتقيه على المائدة ، وهي بالمناسبة المكان الوحيد الذي نجتمع فيه ثلاثتنا .

أشعر أحيانًا بأنه شخص عابر، مر في حياتي على سبيل الصدفة ، فقد كان خلال المرات القليلة التي اقتربنا فيها من بعضنا البعض ، خجلًا إلى أبعد الحدود !

ولعل خجله يؤكد ظني بأنه لم يكن حتي يقترب مني إلا بناء على تعليمات من السيدة الوالدة ، وبتوجيهات منها .

هذا ما يجعلني أشفق على تلك الزوجة الأولى له ، فهي بالتأكيد ماتت من جراء الغرائب التي رأتها في ذلك المنزل .

يضحك رمزي في تهكم ، ويشير للمترجم بالاسترسال...

ما يثير الدهشة هو أن هؤلاء الناس يعيشون في عالم ليس بعالمهم ، كأنهما في دنيا أخرى ، أوعالم موازٍ اقتطعاه من المجرة الكونية كي يعيشا فيه معًا فقط دون أي شريك .

وها أنا اليوم استفز تلك الشمطاء ، و أذكرها بزوجها الراحل ، فكل من يعرف نهاد أو والدته جيدًا، يدرك أنها لا تتحدث عن زوجها إطلاقًا...

بل لا تذكره حتى في أي حديث عابر أمام أي شخص على الإطلاق ، و أني أعجب بالفعل من أن تلك المرأة كان لها زوج في يوم من الأيام ...

بل وتكتئب جدًّا عندما يذكره أحد أمامها في عبارة عرضية ، وقد تبينت بعد ذلك أنها اصدرت حكمًا بالإعدام على كل ما يخص ذلك الزوج ...

سواء صور، ملابس ، دفاتر، قضايا ، أصدقاء... حتى عائلته قطعت كل صلتها بها .

لم يتبقى منه سوى مكتبة ضخمة حرص ولدها الأبله على قراءة كل ما بها من مؤلفات ، واحدًا تلو الآخر كي يلم بالقانون بشكل تام ، ذلك

لأن الأم تفضل عدم الاختلاط بعالم المحاماة حتى لا تتذكر الزوج الراحل .

و رغم أنهم يهددون الجميع بإستدعاء المحام الخاص بهم , إلا أنه لا يوجد لهم أى صلة بعالم المحاماة !

لم يكن نهاد ووالدته يعترفان بوجود أي شخص معهما في هذا العالم ، سوى الأموات أصحاب الصور المثبتة على الجدران من حولهم .

فهم دائمًا موضع حديثهم ، كما أن ذكرياتهم هي محور حياتهم ، لا يسأمون أبدًا من التحدث إليهم ، وعنهم كل ليلة بلا كلل أو ملل ، مثلهم مثل أي كائن حي .

كنت كلما تحدثت عن شيء لا يرغبان في التحدث بشأنه ، يفضلان الصمت التام ، حتى أتوقف أنا عن الكلام من تلقاء نفسي .

لعل ما يثير دهشة أي إنسان هو أن هؤلاء الناس لم يغادروا منزلهم أبدًا حتى تحت أي ضغط ، وقد أصر نهاد على أن ترافقنا والدته خلال شهر العسل بعد زواجي منه .

وعندما فكرت في السفر مجددًا ، اقتنع مبدئيًّا ، قبل أن يلغي فكرة السفر نهائيًا ، وبرر ذلك بأن امه صدمت لمجرد سماعها الفكرة ، حتى أنه كاد أن يقبل يدي حتى يثنيني عن النقاش معها في موضوع السفر .

تلعثم المترجم قليلًا , قبل أن يكمل بتوتر...

تعود لواقعة المسدس مرة أخرى، وكيف ثارت ثائرة نهاد بسببه ، ولم يغادرالغرفة إلا بعد أن تأكد أن المسدس فارغ و لا توجد به ذخيرة .

ثم تتحدث عن إقبال ...

لكن ما يجعلني مصرة على فكرة الرحيل ، هو تلك السيدة التي دخلت إلى الغرفة ، وهي تسعى كالأفعى التي تبث سمها في كل مكان .

وأخذت تناقشني في حمل السلاح ، بلا سأم حتى سلمتها آخر مشط ذخيرة من الدولاب .

لكن بعد ذلك بعدة أيام ، وأنا أرتب بعض الأغراض ، وجدت في أحد الحقائب القديمة مشطًا آخر، ضحكت بشدة عندما رأيته ، وحرصت على إخفاؤه تمامًا عن الأفعى و ولدها.

***

بئر عمـــيق...

ترك رمزي المترجم ، وغادر عائدًا إلى مكتبه ، كان قد استنفذ

كل ما لديه من قوة ، وألاعيب ، وقد نال منه التعب والإرهاق ؛ فشعر بالدوار فجأة ...

لولا العسكري الذي أخبره أن سوسن تريد مقابلته في نفس الحجرة التي تقابلا فيها مرة أخرى .

نظر في ساعة يده ليجدها السابعة والنصف صباحًا ، وهو يحتجز ذلك الطبيب البغيض منذ الحادية عشر تقريبًا ، أي أنه في تلك الدوامة قرابة التسع ساعات.

لم يذق خلالها طعم الراحة أو الطعام ، لم يتذوق سوى مرارة القهوة ، التي بدأ رأسه يعتاد عليها فلم يزل يغالبه النعاس وهو ممسكًا بقدح القهوة بين أصابعه.

ما إن بلغ الحجرة حتى تفاجئ بمها زوجته تتواجد هي الأخرى أمامه ، نظر لكلتاهما بلا مبالاة ، ثم عرف كل واحدة على الأخرى ، وبدأ مخاطبًا زوجته...

بما أنكِ جازفتِ وأتيت مبكرًا،أتعشم أن يكون السبب هامًّا !

نظرت له طويلًا ، ثم قالت باهتمام:

بالفعل السبب هام ، عندما تغلق الهاتف الخاص بك لمدة 48 ساعة ، كما أنك غير متواجد بالمنزل!!

أظن في تلك الحالة ، ومن أبسط حقوقي يا حضرة الضابط أن أطمئن عليك ، وأعرف أين أنت ؟

نظر إليها بمزيد من اللؤم ..

وكيف استنتجتِ أنني هنا ، وليس في أي مكان آخر؟

لقد سأمت الانتظار، كونك مشغولًا طول الوقت ، فأخبرني عصام عبر الهاتف أنكم هنا منذ ثلاثة أيام !

لذلك أتيت كي أختبر تلك التجربة الرهيبة التي تمر بها كل يوم ، عندما تحل قضية ما !

أتيت لأني لطالما أحببت أن أشاهدك وأنت تعمل ، ثم تساءلت بهدوء:

هل تكفي تلك الأسباب يا سيادة الضابط !

انتهت مها من الحديث ، وساد على الغرفة صمت مطبق ، استشعرت سوسن الخجل والحرج ، لأن من الواضح وجود توتر في العلاقة بين رمزي ، وزوجته.

وكم كان حجم المجهود الذهني والبدني الذي بذله اليوم ، بل وعلى مدى ثلاثة أيام من أجل حل طلاسم تلك القضية المعقدة ، التي وعدها بحلها مهما كلفه الأمر، بعد أن أتت إلى مكتبه ، ألقت إليه فقط بالخيوط الأولى فيها ، ثم غادرت .

رغم الإرهاق الذي يلم به ، إلا أن التعبير الذي ارتسم على وجه سوسن لم يغب عنه ، وقد تذكر فجأة خبر وفاة جابر الذي نقله إليه عصام منذ قليل...

وفكر في سرعة كيف سينقل إليها الخبر، لكنه فضل أن يكون ذلك بعد مغادرة مها ، لكن الأخيرة أصرت على تجلس معه هو وسوسن .

باغتها رمزي بالسؤال...

ما الذي استطعت أن تصلي إليه خلال تلك المقابلة؟

كان تعبير خيبة الأمل على وجه سوسن أفضل جواب ، ازدردت لعابها بصعوبة ، وقالت بيأس :

لقد سيطرت في بادئ الأمر على مجريات الحديث ، لكن تلك السيدة ما هي إلا بئر عميق يا سيدي , و من ثم انهالت بالأسئلة علي من كل حدب وصوب كما يقولون ، حتى أنها باتت شبه متأكدة من أنك أنت الذي أرسلتني للاستفسار منها عن أي معلومات..!

ابتسم رمزي في وهن ، ثم أشار إلى سوسن بالاسترسال...

فأكملت ببراءة...

إنها امرأة غير عادية ، لا يمكن أن تطاق بأي حال من الأحوال , أخبرني بالله عليك كيف استطعت أن تحتمل الابن تسع ساعات كاملة ؟

وقف رمزي قليلًا ، ونظر نحو سوسن بغيظ وعلق مازحًا...

أولًا ، أنا عالق في تلك الدوامة الغبية مع هؤلاء الحمقى منذ ثلاثة أيام ، منذ أن دخلتِ أنتِ بطلتك البهية إلى تلك الإدارة لتسردي علي قصة اختفاء...

توقف فجأة عن الكلام ، ونقل بصره بين سوسن ومها، ثم قال بلهجة آمرة ، و قد غلبها شيء من الحزن :

استمري دون توقف...

هذا كل ما حدث , فقد طلبت منى أن أبلغكم التوقف عن إزعاجها ..

توقف رمزى فى مكانه ثم أغمض عينيه في إرهاق تام ، وعاد برأسه إلى الوراء حتى خيل إليها أنه سوف يخلد إلى النوم , لم تحاول أن تنتزعه من تأملاته ، لكنها سألت في حرص :

هل لي أن أستكمل ما بدأته معها يا سيدى؟

فتح رمزي عينيه ، قال في أمر صريح :

لا يا سوسن ، سوف تذهبين الآن مع زوجتي مها إلى المنزل ، ولكِ أن تعتبري تلك القضية أغلقت الليلة بأي حال من الأحوال .

ابتسمت سوسن في ضعف ، قائلة في حرج :

و لماذا لا أنتظر هنا ؟ أو أعود إلى الفندق مرة أخرى!

هنا استجمع رمزي شجاعته ، وردد في صوت حزين :

لقد ظهر جابر الليلة يا سوسن ، كان يحوم حول الفيلا في المعادي ، عسى أن يستشف جديدًا في الأمر، لكنه بالفعل يستحق لقب الحزين ؛ لأن شيطانه ولسبب ما أقنعه بسرقة إحدى العقارات المجاورة للفيلا...

هنا قاطعته سوسن في ذعر:

هل تم إلقاء القبض عليه؟

نكس رمزي رأسه ، ونظر نحوها في حنان بالغ قائلًا في ضعف :

لا يا سوسن ، لقد تصادف مرور سيارة الشرطة بالفعل ، والتي أطلقت أبواقها كالعادة...

فظن جابر أنهم قادمون من أجله ، جرى مسرعًا يعبر الطريق ، ولم يلحظ الشاحنة المسرعة...

قبل أن يكمل أمسكت سوسن فمها بكلتا يديها ، وارتمت على

الكنبة التي كانت تجلس عليها منذ قليل ، وانهمرت الدموع بغزارة من عينيها .

كانت تنهمر ساخنة تحفر وجنتيها حفرًا كالأنهار، ففي الوقت الذي دخلت هى فيه حربًا ضروس من أجل انقاذه من تلك الورطة ، لم يحاول هو أن يبذل القليل من الجهد كي يظل سالمًا من أجلها !

اقتربت منها مها زوجة رمزي لتحتضنها في حنان ، قبل أن يكمل رمزي في جمود...

سوف تغادرين الآن مع مها كما أخبرتك ، وسوف أرسل أحدًا إلى الفندق كي يأتي بأغراضك جميعها من هناك .

ستنتقلين للعيش في منزلنا حتى أتمكن من إيجاد عمل ومسكن ملائم لك .

غادر الغرفة في صمت ، لتنفجر دموع سوسن كالبركان في صدر مها ، التي احتوتها بين ذراعيها عسى أن تتمكن من وأد أحزانها...

***

الكره القاتل...

تجاوزت الساعة الثامنة صباحًا بقليل ، عندما دخل رمزي إلى الغرفة التي تواجدت بها (سعاد) الخادمة ، والتي تم التحفظ عليها في مكان منعزل عن براثن إقبال هانم .

وجدها نائمة على الكنبة الموجودة في ركن الغرفة ، أيقظها برفق ، ثم طلب لها شيئًا من الطعام ، وكوبًا من الشاي .

وبدأ في الاستجواب، قائلًا بهدوء :

لن أؤخرك أكثر من ذلك يا مدام سعاد ، ولن أطيل عليكِ ، أعلم أنكِ واجهتِ ليلة صعبة بما فيه الكفاية ، وأعدكِ أنها ستكون مجرد أسئلة خفيفة...

س- منذ متى وأنتِ تعملين في فيلا... رفعت رستم ؟

منذ ثلاثة سنوات تقريبًا .

س- كيف بدأت العمل هناك؟

عن طريق ولدي عادل ، فهو يعمل في محل الأدوات المنزلية الذي يتعامل معه الطبيب .

س- هل يمكن أن تحددي بشكل أفضل يا مدام/ سعاد ؟

إن ولدي يعمل في محل لبيع الأغراض المنزلية ، كأدوات الكهرباء – السباكة – الزجاج – الطلاء... هكذا

إنه مجمع كبير بالمعادي ، وقد تم التعارف بين ولدي والطبيب حينما كان يوصل بعض الأغراض إلى سيارته .

لسبب ما فإن الطبيب يذهب إلى هناك كثيرًا ، وقد اعتاد التعامل مع ولدي ، لذا فقد تجرأ يومًا وطلب منه إذا ما كان يعرف أحدًا يساعد والدته في أعمال المنزل .

obeikandl.com

ووافقت ، وذهبت لمقابلتهم في نفس اليوم ، ولم يكن في وسعي الرفض خاصة مع ظروف الحياة الصعبة.

لكن ما أثار الدهشة أن الطبيب ووالدته ، جعلوني أوقع على عقد بالعمل لديهم لمدة ثلاث سنوات ، وأحمد الله وأسجد له شكرًا ، إن ذلك العقد سوف ينتهي في شهر أكتوبر القادم .

دهش رمزي لتلك العلاقة الغريبة ، التي تربط كل من في المنزل ، فأمسك برأسه ، كأنه سوف يطير من مكانه ، صارخًا في ذهول:

ما هذا المنزل الغريب ! ما هذا المنزل الغريب !

ثم عقب قائلًا:

هل يمكننا أن نرسل في استدعاء (عادل) ابنك لسؤاله بضع أسئلة عن علاقته بنهاد ؟

نظرت له السيدة طويلًا ، وقالت مترددة :

لكننا سنرحل معًا من هنا ، أنت وعدتنا بذلك .

هز رمزي رأسه مؤمنًا على كلامها .

فأخبرته الأم برقم ولدها ، وفي الحال قام رمزي باتصالاته لاستدعاء عادل .

كان من داخله يشعر بأن النهاية تقترب شيئًا فشيئًا ، وأن الخناق يشتد على إقبال وولدها ، لذلك عاد لسعاد وسألها مباشرة...

س- بعد مدة ثلاثة سنوات قضيتيها معهم في الفيلا ؟ أي نوع من البشر هم يا مدام/ سعاد ؟

إنهم حيوانات قذرة ، بخلاء إلى أقصى حد .

س- هل يعني ذلك أنك تحقدين عليهم ؟

وما الذي يدفعني إلى غير ذلك !

س- حتى السيدة الأجنبية ؟

لم تكن أكرم منهم بكثير ، بل كانت تناسبهم تمامًا ، فقد كنت أستمع إليهم أحيانًا ، وهم يتحاسبون .

كان من الممكن أن يمر نهارًا كاملًا ، وهم يراجعون الحساب الشهري للمصروفات ، بل ويتشاجروا من أجل خمسة جنيهات!

ذهل رمزي مما سمع ، وقد أنعشته تلك الكلمات والمعلومات الأخيرة من إرهاقه تمامًا...

س- ألهذه الدرجة وصل بخلهم ؟

obeikandl.com

سيدي الضابط ، إن السيدة إقبال لم تكن لتمنح برتقالة إلا إذا تأكدت تمام التأكد من كونها فاسدة تمامًا ، ولا تصلح للأكل ، بل ويأنف منها الحيوان !

س- والسيدة الصغيرة ، فيما كانت تقضي وقتها ، وهل كانت تمنحك شيئًا أكثر من إقبال؟

ضحكت سعاد وقالت متهكمة...

صغيرة ! إنها لم تكن تفعل شيئًا سوى الخروج معه كل يوم في الملابس الرياضية ، وعند العودة مباشرة تشعر أنهم لا يعرف أحدهم الآخر ، وكأنهما اجتمعا فقط من خلال الطريق.

هو يذهب للقراءة في المكتب ، وهي تصعد للاستحمام ، ثم تنكب على أوراقها.

حتى أنني تجرأت وسألتها عما إذا كانت بصدد إصدار كتاب؟

لكنها أخبرتني أنها تكتب مذكراتها باستمرار يومًا بيوم.

كما أنها لم تكن لتستغني أبدًا عن شيء واحد من أشياءها ، حتى ولو كان تالفًا.

س- هل كانت تتحدث العربية ؟

نعم ,كانت تتحدثها جيدا و تفهم كل شئ ..

س- عن ماذا كانوا يتشاجرون في الحساب الشهري؟

إن السيدة إقبال والطبيب يتناولون الطعام ، وكأنه النذر اليسير

من الممكن أن تقول أنهم في حالة صوم دائم .

أما السيدة (إيلا) فهي نهمة شرهة تتناول الطعام بكثرة ، فقد كانت ضخمة الجثة بشكل غريب بالنسبة لمرأة.

س- متى رحلت؟

ليلة الثلاثاء الماضي

س- هل كنت متواجدة حينما رحلت؟

كنت متواجدة في الظهيرة وساعدتها في نقل الحقائب ، اثنين من الحجم الكبير، وأخرى من طراز (الهاندباج) كانت ستحملها مع حقيبة يدها ، ثم أعددت لهم طعام الغداء , ورحلت !

س- متى تناولوا غداءهم يوم الثلاثاء ؟

لديهم مواعيد ثابتة ومقدسة للطعام ، الثامنة للإفطار، والرابعة للغداء ، أما العشاء أسمع أنه يكون في التاسعة .

ولا يمكن أن أجزم بذلك يا سيدي، إذ أن مهمتي تنتهي في المنزل برفع طعام الغداء من فوق المائدة ، في تمام الرابعة والنصف بالضبط ، ثم أذهب لاستبدال ملابسي وأغادر في الخامسة تمامًا .

obeikandl.com

س- هل تتذكري وقوع أي نقاش أو مشادة بينهم على مائدة الغداء ؟

لا شيء يا سيدي ، بخلاف سؤال السيدة إقبال اليومي لولدها ، عما إذا كان تناول الأدوية الخاصة به أم لا ؟

س- وهل كان ثلاثتهم يحرصون على تناول الأدوية؟

ضحكت سعاد متهكمة ، وعقبت بحقد دفين...

أوليس كلهم كذلك يا سيدي، شيمة الأغنياء، دائمًا ما يحملون معهم أدوية مختلفة ومتعددة من أجل كافة الأغراض .

س- هل كانت تعانى زوجته أى أمراض ؟

صمتت الخادمة قليلا ثم قالت بهدوء ..

كل معلوماتي يا سيدي أنها كانت تعاني مرضا ما فى القلب , و على أثره تم استدعاء الطبيب إلى المنزل مرة أو مرتين .

س- ونهاد ، ووالدته ؟

لا أعلم للطبيب مرضًا معينًا ، لكنه حريص كل الحرص على تناول الأدوية باستمرار في نفس المواعيد ، أما السيدة فهي تتناول بعض الأقراص قبل الأكل وبعده .

لكنها لا تسمح لأي شخص أن يمس تلك الأدوية غيرها هي فقط ، حتى ولدها غير مسموح له بذلك !

ثم عقبت قبل أن يسأل رمزي مزيدًا من الأسئلة...

هل يمكنني يا سيدي أن أعلم السر وراء كل تلك الأسئلة؟

عاد رمزي إلى الوراء ، وقال بأريحية :

لقد اختفت السيدة الأجنبية ، ولم تلحق بالطائرة ، وبالتالي لم تصل إلى وطنها ، وأغلب الظن أن تكون قتلت .

لمعت عينا سعاد في دهشة وانبهار، ثم عقبت...

و هل قبضتم على القاتل يا سيدي؟

ابتسم رمزي ، قائلًا ببرود..

حتى الآن نحن نجمع الأدلة ، والبوصلة تشير إلى أن نهاد هو الذي قام بقتلها .

ثم استطرد في هدوء :

هل يمكننا أن نعود لما كنا عليه؟

هزت السيدة رأسها في حماس.

و بدأ رمزي من جديد...

س- على المائدة لم يحدث بينهما أي تواصل من أي نوع؟

obeikandl.com

لا شيء يا سيدي ، إنهم قليلي الكلام جدًّا، فقد كانت معظم الأيام تمر دون أن يتوجه أحدهم إلى الآخر بكلمة أو اثنين على الأكثر .

س- كيف كانت أحوال الأسرة المادية قبل الزواج؟

جيدة على ما أعتقد .

س- والسيدة الأجنبية ؟

تهكمت سعاد...

جيدة , بالتأكيد وإلا لماذا تزوج بها رغم علتها !

س- متى تبدأين بالتواجد في المنزل؟

منذ التاسعة صباحًا ، فطعام الأفطار تعده الأم بنفسها.

س- هل كنت بالمنزل يوم حادث كسر الزجاج ؟

نعم ، وقد أخذ الطبيب سيارته وذهب لإحضار لوح آخر من المحل الذي أخبرتك عنه .

س- ومن الذي أعاد تركيبه ؟

هو بنفسه ، إنهم يأنفون دخول أي كائن غريب إلى منزلهم المحرم ، لذلك تجد كل الناس تخافهم ، فليس لديهم أي أصدقاء أو أقرباء أو حتى معارف !

obeikandl.com

ابتسم رمزي في سخرية ، وسألها مازحًا...

و لماذا كل ذلك الحماس في الإجابات؟

لمعت عين سعاد مرة أخرى، وقالت في شرود...

صدقني يا سيدي ليس أحب إلى نفسي من أن أرى هؤلاء القوم ، وقد تدلى جسدهم من حبل المشنقة .

تفاجأ رمزي من ذلك الرد ، وانتفض جسده أكثر عندما ارتفع جرس الهاتف ، ليخبروه بوصول (عادل) .

كانت هناك حالة من الذعر و القلق تسيطرعلى الشاب ، وتضاعفت عندما رأى والدته في المكتب تجلس في سكون .

ولم يضع رمزي الوقت في المقدمات ، وسأله مباشرة :

س- هل انت على علاقة وثيقة بالدكتور/ نهاد رفعت ؟

هز الشاب رأسه دليل على عدم الفهم ، قائلًا بتردد :

إنني ليس لي أي علاقة بالطبيب ، فقط والدتي هي التي تعمل عندهم وليس أنا !

نهض رمزي من خلف المكتب ، ثم بدأ يدور في الغرفة حتى يغالب النعاس ، قبل أن يحط بيده على كتف الشاب الذي كاد أن ينهار، وسأله بهدوء :

س- عادل، إنني أعلم أن والدتك تعمل لديهم ، لكنك أنت الذي كنت السبب في ذلك ، فكيف كان ذلك؟

رد الشاب ، وقد بدأت أعصابه تنهار كليًا ، نظرًا لأنه لا يعلم سببًا لذلك الاستجواب ..

إن الدكتور نهاد اعتاد أن يقصد المحل الذي أعمل به ، ودائمًا

ما كان يطلب مني أن أحمل له بعض الأغراض حتى السيارة ؛

لأنه يأنف أن يحملها أمام العامة .

س- هل كان يمنحك بقشيشًا جيدًا ؟

بعض الفكة لا غير ، كما كان يحرص على عدم ركن السيارة في المكان المخصص لزائري المحل ، حتى لا يدفع شيئًا لعامل الجاراج .

لطالما وصفهم بأنهم متسولين ، لا عمل لهم سوى أن يمدوا أيديهم للناس !

س- ومتى يغلق المحل؟

إنه لا يغلق أبدًا يا سيدي ، إنه مفتوح طوال الـ24 ساعة.

س- ومتى رأيت الدكتور نهاد آخر مرة؟

الأسبوع الماضي يا سيدي ، لقد اشترى بعض أدوات السباكة ،

ولوح من الزجاج الغامق الذي يفضله دائمًا .

س- هل أتى للمحل مرة أو مرتين خلال الفترة الأخيرة؟

فكر الشاب قليلًا ، ثم طرقع بأصبعه قائلًا:

من السهل أن نتأكد من ذلك يا سيدي، حيث أن صديقًا شخصيًا لي قائم على الحسابات ، ويمكننا مراجعة الفاتورة .

انشغل الشاب ببعض المكالمات الهاتفية ، على أثرها نظر نحو رمزي وقال في هدوء :

لقد زار الدكتور نهاد المحل مرتين متتاليتين ، مرة ليلة الخميس قبل الماضي ، واشترى بعض أدوات السباكة و لوح من الزجاج ، ثم عاد ليشتري نفس اللوح الزجاجي ليلة الثلاثاء الماضي مباشرة .

ظهر شبح ابتسامة مرهقة على وجه رمزي ، وصافح الشاب ووالدته في حرارة ، قائلًا بصدق :

إنني مدين لك بالكثير من الشكر يا عادل ، لكني سأرسل معك أحدًا من العساكر كي يأخذ صورة من ذلك المستند الخاص بالفاتورة لضمه إلى ملف القضية .

ثم نظر لسعاد قائلًا بود :

أشكرك يا مدام سعاد على كل الجهد الذي قدمته إلينا ، وسعة صدرك أنت وولدك , و لكِ أن تعلمى أن عملك انتهى بالفعل من ذلك المكان القاتم الكئيب , و سوف أتدبر لكِ عملا مناسبا فى أقرب وقت ممكن ..

تهللت أسارير سعاد , و شكرته بحرارة و انصرفت فى هدوء .

***

الضربة القاضية...

كانت الساعة حوالي التاسعة صباحًا عندما اقتحم رمزي المكتب الذي ترك فيه نهاد ، مع عصام وكريم وحسن .

اقتحمه بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وبدأ حديثه بقسوة

وعنف...

نهاد، اسمعني جيدًا ، وفكر قبل أن تجيب ألف مرة ، قد تكون تلك هي المرة الأخيرة التي سوف أطلب منك فيها تغيير أقوالك ، قبل أن يتم تحويلك إلى النيابة فيما بعد...

أنت تعشق الحياة في هذه القلعة ، مع والدتك البخيلة المريضة بداء المال ، وكأنها الأم الرئيسة لأهم أديرة الرهبان في العالم...

obeikandl.com

كما أنك سعيدًا وأنت تعيش معها هذا الحلم ، تارة سلطان من سلاطين ألف ليلة وليلة ، وأحيانًا تتقمص شخصية واحدًا من أهم الدبلوماسيين ، وأراك في مذكرات زوجتك صبيًّا لم يبلغ الحلم بعد ترتعد خوفًا وفرقًا من والدتك إذا ما أظهرت غضبها عليك .

الآن وقد تأكدت من أنك اشتريت لوحين من الزجاج ، واحدًا ليلة الخميس ، مما يؤيد قصة والدتك , وآخر ليلة الثلاثاء، لدي مستند وشهود على ذلك ، إذن فإن قصة اللص حقيقية .

كما أني واثق من أنك أقدمت على قتل زوجتك الأولى ، كما سبق أن أخبرتك ، وسوف أثبت ذلك عندما يتم استخراج جثتها وجثة والدك...

ران الصمت على المكان ، قبل أن يحاول نهاد استيعاب ما قاله رمزي، استكمل الأخير قائلًا...

لقد قتلت زوجتك الألمانية يا نهاد ، وألقيت بجثتها في نهرالنيل ، لكن اللغز الذي لم أستطع التوصل إلى حل له ، هو السبب الذي جعلها تعود إلى ذلك المنزل المشؤوم مرة أخرى بعد أن غادرته .

وإن لم تعترف بذلك الآن ، سوف ألجأ معك لتلك الأساليب التي سبق أن أخبروا والدتك عنها .

بدا نهاد في تلك اللحظة ، كأنه تمثال من الجرانيت ، قائلًا ببرود مرتعش :

أنا لم أقتل زوجتي ...

لم يحاول رمزي الضغط عليه ، فقد كان يعلم جيدًا أنه ينهار داخليًا ، خرج وهو يقول لعصام بصوت مسموع :

استمروا... إلى أن آمركم بالتوقف...

****

أتروبس[3]...

داعب النوم عيون الكاتب ، بدأ يغفو بالفعل عندما أغلق رمزي الباب بعنف ، وأمر باستدعاء السيدة العجوز التي تنتظر في الخارج منذ منتصف ليل الليلة الماضية .

وفور دخولها ، لاحظت المزاج المتغير لرمزي، فهو ليس كما تعودت عليه ، ذلك الضابط المهذب الذي سبق أن تعاملت معه ، كما أنه كان يجلس فوق المكتب ، وليس خلفه...

أمرها بالجلوس في شيء من الجفاء ، وبدأ حديثه قائلًا:

[3]- أتروبس (اللفظ اليونانى لعقار الأتروبين ، كما ورد في الأساطير اليونانية).

obeikandl.com

لم أعتد مطلقًا ازدراء نساء تجاوز عمرهن الخامسة والسبعين , لكنكِ أنتِ وولدك أثبتم أنكم مزعجين بالفعل ، لقد قتل ولدك زوجته ، وأنت تعلمين ذلك جيدًا .

جمدت المرأة العجوز مكانها، قائلة في شرود...

هل اعترف لك بذلك؟

مط رمزي شفتيه ، وقال نافيًا :

لم يعترف بعد ، لكن تحت يدي الأدلة الدامغة على أنه قتلها ، وهو الآن في غرفة لن يخرج منها أبدًا ...

بعد ذلك إلى النيابة ، ومنها إلى السجن ، الذي لن يبارحه أبدًا ،إلا إذا كان محظوظًا ، ليتدلى عنقه الطويل في حبل المشنقة...

أمسكت المراة العجوز بصدرها في ضعف ، وهي تستمع إلى ما يقول في اهتمام ، لاحظ هو ذلك فسألها على الفور...

س- مدام/ إقبال هل سبق لكِ أن عانيت من أي مرض من الأمراض؟

لا، ثم أكملت في ضعف مصطنع .

هل من الممكن أن أرى ابني؟

ظهر الضيق على وجه رمزي، فقال متأففًا...

مدام/ إقبال ، أنت هنا كي يتم توجيه الأسئلة إليك فقط ، وليس العكس ، ويكفي أنكم أضعتم ليلة كاملة أرهقتم فيها كل الإدارة حتى تعترفوا بجريمتكم هذه .

ثم استطرد في سرعة...

ولا تجزعي كثيرًا، فهو ليس بحجرة للتعذيب ، ولو أنه يستحق ذلك أيضًا .

لكني لست من هواة ذلك النوع من الأساليب ، إنني أضغط على

أعصابه فقط !

توسلت العجوز قائلة :

خمس دقائق فقط ...

هز رمزي رأسه ، علامة الرفض ، و استدرك حديثه...

هل تعلمي أني سبق وواجهت من هم في مثل عناده وغروره؟

لكن بعد مرور36 ساعة من الاستجواب المتكرر ، فتح المتهم نافذة المكتب فجأة , وألقى بنفسه منها !!

ظهرالعرق على وجه إقبال ، لكنها حاولت أن لا يظهر عليها أي نوع من التوتر ، فسألها رمزي بخبث...

س- سعاد قالت أنكِ تتناولين الأدوية بانتظام مع ولدك ، وزوجته على مائدة الطعام كل يوم؟

إنها مجرد فيتامينات لمن هم في مثل عمري !

س- وولدك؟

يعاني تضخمًا طفيفًا في القلب ، وزوجته كذلك...

س- هل تنكرين أن ابنك أطلق على زوجته الرصاص في مكتبه ؟ نظرت له السيدة بصلف ، وبدأت تستجمع قواها...

ألم تقل منذ قليل أنك تملك الدليل !

س- أين كنتِ وقت رحيل إيلا من المنزل؟

معه في غرفة المكتب.

تغيرت ملامح رمزي ، وصرخ قائلًا...

لقد ذكرتي من قبل أنكِ صعدت إلى غرفتكِ مباشرة ، لأن الأمر لا يعنيك .

أخذ صدر السيدة العجوز في الارتفاع نتيجة التوتر والضغط،

ثم قالت بنفس النبرة الجامدة...

ضع نفسك مكاني يا حضرة الضابط ، ودعني أوجه إليك خلال اثنا عشر ساعة أكثر من ألف سؤال ، ثم انظر إلى تطابق الإجابات .

س- ما السبب الذي يجعلك تصرين على مقابلته ؟

إنه ولدي الوحيد ، نحن معًا منذ خمسون عامًا تقريبًا ، هل من الممكن أن تفهم معنى العلاقة التي تربط بيننا .

س- إذن، أنتِ على استعداد أن تشاركيه نفس المصير في حالة السجن أو الأعدام !

اختلجت ملامح السيدة العجوز، لتقول مرتعشة :

حتى إذا كان بريئًا !

جلس رمزي في المقعد المقابل لها ، ثم قال بصوت متعب...

أنا متأكد تمام التأكد أنك كنت مع ولدك في غرفة المكتب ، فمثلك لا يترك شيئًا للظروف...

ثم مال عليها هامسًا :

هل أخبرتك أنني أمرت باستخراج جثة زوجكِ الراحل ؟ وكذلك زوجة ابنك الأولى؟

وسوف نعيد تحليل الجثتين مرة أخرى، وبالطبع مع تقدم وسائل العلم ، سيتم اكتشاف الكثير!

obeikandl.com

كادت المرأة أن يغشى عليها بعد سماع تلك الكلمات، زاغ بصرها بشكل ملحوظ ، ثم تصطنعت الهدوء المضطرب ، وسألته متضرعة...

لماذا نقلق الموتى يا سيدي؟ ألا يكفي ما تفعله بالأحياء!

ثم هل ما أمرت به هذا قانوني؟

رد رمزي بحسم...

لا مجال لمناقشة قانونية ذلك الآن ، لكني أشك بنسبة كبيرة من أن زوجك المستشار (رفعت رستم) قتل ، فهولم يمت نتيجة نوبة قلبية حادة كما قيل .

ذلك بالطبع لأنه كان بصدد الزواج من فتاة أصغر منكِ ، اعتاد أن يبعثر كل أمواله عليها .

ثم أكمل ببطء متعمد...

ولما كنت أنتِ حريصة كل الحرص على مالك ، وذهبك الغالي قررت أن تقفي حائلًا بينه وبين تحقيق ذلك .

انتظر تعليق منها ، لكنها ظلت جامدة ، فاستمر في هدوء...

ثم قررت أن يتزوج ابنك ، فاخترت له تلك الزوجة الثرية ، التي تم التعرف عليها في عيادة طبيب أمراض القلب ، وما إن توفي والد الزوجة المسكينة ، حتى...

قاطعته المرأة بسخرية :

ماذا؟ قتلتها أيضًا ؟

علق رمزي في صرامة...

نعم .

ثم نأتي إلى تلك الأجنبية التي سأمت العيش والحياة السخيفة معكم تحت سقف منزل واحد ، وأعيتها حيلك المريضة أيتها العجوز الحرباء...

قد ضاق بها الأمر الذي جعلها تقرر الرحيل عنكم نهائيًا ، ولما كانت تختلف عن الأولى ، وأوسع منها باعًا في التعامل مع أمثالكم ، فقد طالبتكم برد جميع أموالها مرة أخرى.

وهذا ما جعلكم تفقدون صوابكم تمامًا ، فقد كان من السهل أن تدخل الأموال إلى الخزنة الخاصة بكم ، لكن من المستحيل خروجها منها مرة أخرى ...

هنا وقع الخلاف بينكم ، ولا أستبعد أن تكون هي من سحبت السلاح عليكم أولًا ، عندما توترت وشعرت بأعراض الأزمة القلبية تهاجمها في حدة ، لكنها ربما كانت مجرد نوبة توتر عادية !

اقترب رمزي منها أكثر ، حتى لفحت أنفاسه وجهها ، هامسًا بغضب :

إقبال هانم ، إن ابنك لا يريد إقحامك في هذا الأمر، ظنًا منه أنه يحميكِ بذلك ، لكنه دون توجيهاتك تجدي أنه كالغريق لا يمكنه التنفس دونك !

حاولت السيدة العجوز الابتعاد عنه ، قبل أن تقول باشمئزاز...

أراك واثقًا من نفسك أكثر من اللازم يا سيادة الضابط .

هنا قال رمزي في صوت ملئ بالكراهية...

إنه يحاول حمايتك ، بل ويرى أن كل ما قمت به ، ليس إلا من أجله هو ، ومن أجل مصلحته .

كما أنكِ استطعت إقناعه بأنك لم تخطط لقتل هؤلاء النسوة ، إلامن أجل حياة رغيدة ، يأمن بها من غدر الزمن ، حرصًا منكِ على تأمين مستقبله المالي .

تندرت السيدة في سخرية :

لك أن تقول ما تشاء ، فأنا أرى أنك تدفع لمخيلتك العنان كيف تشاء في ذلك الاستجواب ، لكنه ولدي ، فماذا تتوقع منه ؟

منع رمزي نفسه من صفعها على وجهها ، وصرخ غاضبًا ..

أفيقي أيتها الحرباء ، أن كل ذلك لم يكن من اجله هو، بل من أجلك أنتِ !

هو كالطفل الأبله لا يعرف أي شيء عن خططك الشيطانية – نعم - فإن لديكِ الأمل والدافع كي تعمري طويلًا مثل باقي أفراد عائلتك المعمرين .

حياة طويلة مع ذهبك وأموالك ، وأنتِ تستمتعين بها كل يوم ، حتى لو كان ذلك على حساب حياة ولدك الوحيد .

ثم استطرد بعنف...

فأنتِ لا تكترثين لأمر أحد في هذا العالم إلا لنفسك فقط ، فليدخل السجن ، أو لتطر رأسه على حبل المشنقة ، إن ذلك لا يعنيكِ من قريب أو بعيد ، ما دمت أنتِ في أمان !

و بحركة مفاجئة ، وعلى حين غرة...

انتزع حقيبة يدها التي كانت تمسك بها بحرص شديد ، وقال فيما يشبه الهياج :

سوف نتأكد الآن إذا ما كنت أهذي ، أم أنها حقيقة ؟

ألقى بمحتويات الحقيبة على المكتب ، وأخذ يقلب فيها بحثًا عن شيء معين ..

وما إن لمعت عيناه ، حتى تأكدت إقبال أنه وجد ما كان يبحث عنه ، فمن بين كل محتويات الحقيبة ، وجد منديل أبيض مطوي بعناية وحرص ..

ما إن فتحه حتى وجد قرصين من الدواء ، حملهم في راحة يده ، ونظر إليهم طويلًا ..

ثم توجه نحوها ، صارخًا في هياج كامل...

ما هذا يا إقبال هانم ؟ هل تخبريني أنتِ ؟ أم أخبركِ أنا!!

التزمت إقبال الصمت ، وقد زمت شفتيها الرفيعتين تمامًا ، ووضعت إحدى يديها فوق الأخرى، فأكمل رمزي في غضب عارم مما اكتشفه...

أليس ذلك (أتروبين) يا إقبال هانم ؟

استمرت على صمتها ، فأجاب هو بدلًا منها ..

نعم إنه أتروبين ، ذلك الدواء المنشط للقلب ، و الذى من الممكن أن ينقذ حياتك إذا كنت على شفير الموت , شريطة أن يكون قلبك سليما لا يشكو من أى عيب ..

لكنه محظور على مرضى القلب ، لأن أي جرعة زائدة منه تسبب أزمة قلبية حادة في الحال ..

ذلك ما حدث مع المستشار ، زوجة ابنك الأولى ، والثانية ..

تلك الزوجة التي اكتشفت لعبتكم القذرة ، وأرادت أن تودي بحياتكم قبل حياتها ، لكنكم تكاتفتم عليها ، وقضيتم على حياتها بطلق ناري!!

توجه نحو إقبال ، وبكل الكره داخله صرخ في وجهها...

س- ألهذا السبب تودين مقابلة نهاد ؟

و استمر متسائلًا..

ألم تلحظِ أنكِ في مثل عمرك هذا قد أزهقت العديد من الأرواح حتى الآن ، حتى ولدك الذي يثق بك ثقة عمياء ، والذي سيأخذ من يدك الدواء دون أن ينظر إليه , أو حتى يتحقق منه !

ثم رفع سماعة الهاتف ، وطلب من عصام في لهجة آمرة...

توقف عن استجوابه يا عصام ، لقد اعترفت بكل شيء...

فزعت إقبال مما قال ، فقالت وشفتها ترتعد خوفًا...

أنا لم أعترف بشيء...

حدجها رمزي بنظرة قاسية ، وصرخ غاضبًا...

الأمر عندي سواء يا إقبال ، فأنا لم أكن لأخسر شيئًا إذا ما نفذت رغبتك ، ومنحتك تلك المقابلة الخاصة التي تصرين عليها و تتوقين إليها منذ أن أتيتِ إلى هنا ، وبذلك تأمني لسانه وشره إلى الأبد ..

دخل كريم الغرفة ، قائلًا في لهفة ..

وجد الغطاسون حقيبة يشتبه أن تكون لأنجيلكا ، يا رمزي باشا ..

جلس رمزي على المقعد وأغمض عينيه في ارتياح ، مرددًا في بهدوء :

قل لهم يستمروا في البحث ، سيمكنهم العثورعلى المزيد...

ثم قال في صرامة...

وخذ هذه الحرباء معك ، وضعها في الحبس الانفرادي ، وكذلك ولدها .

لكن إياك أن تجعل أحدهما يقابل الآخر، كما يمنع تمامًا أي اتصال لهما دون أن أخطر بذلك .

تذكر فجأة سوسن ومها ، فقفز من مكانه ليجد كلًا منهما قد راحت في سبات عميق ، أيقظهما برفق ، وما إن لمحت سوسن الابتسامة على وجهه ، حتى قالت بصوت يغالبه النعاس...

هل اعترف؟

قال وهو يجلس على مقعده بثقة وهدوء...

بل هي التي اعترفت ...

تمت...

opelkanal.com

obeikandl.com

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com
ت -02 35860372- 011-27772007

obeikandl.com